بعض مناقب
أمير المؤمنين
من
شرح ابن أبي الحديد

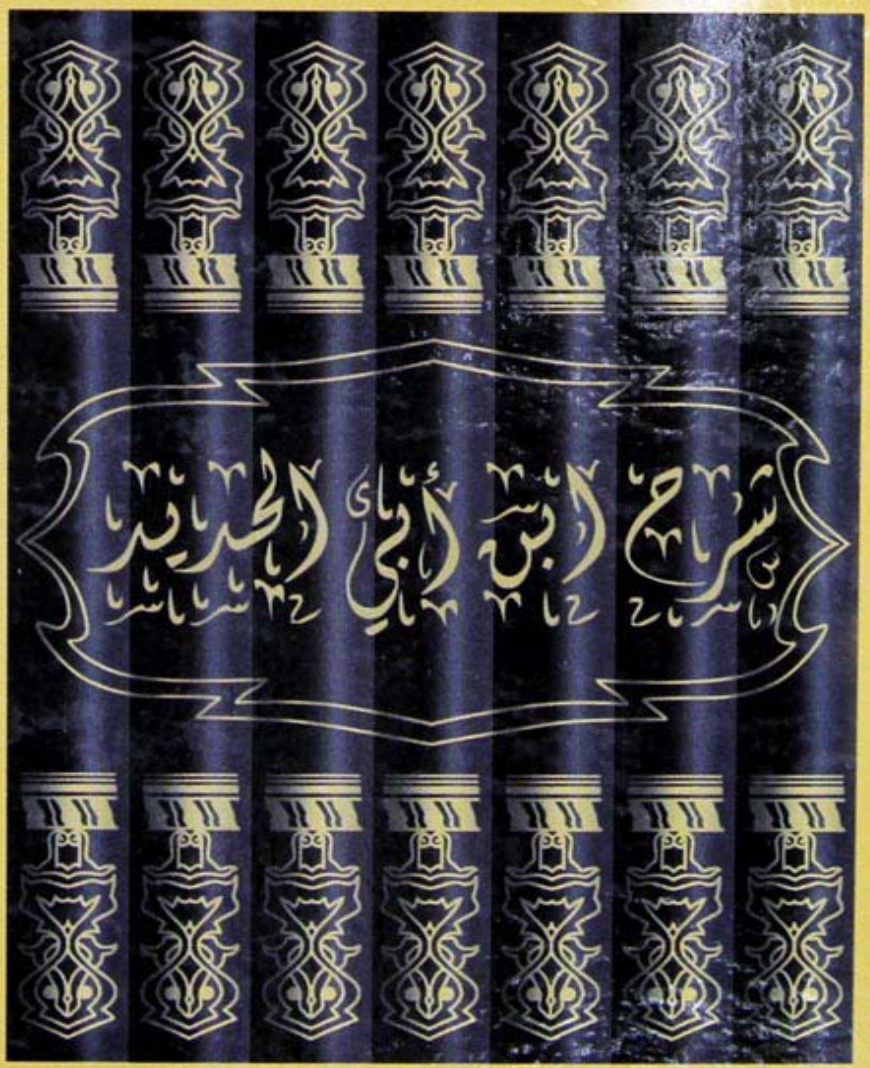

جمع وتحقيق
الشيخ علي حسين زهوة

دار الكوثر

www.haydarya.com

بعض مناقب أمير المؤمنين (ع)
من شرح ابن أبي الحديد

الحقوق كافة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ٢٠٠٥

موافقة الإعلام / ٧٥٩٠٢/تا /٩ /١٢ / ٢٠٠٣

دار الكوثر

سوريا ـ دمشق

هاتف: ٥٤١٤٧٩٤ فاكس: ٢٢٤٨١٨٠ ص. ب: ٢٦١٢٦

بعض مناقب أمير المؤمنين (ع)
من شرح ابن أبي الحديد

جمع وتحقيق

الشيخ علي حسين زهوة

دار الكوثر

BP
٣٨/٠٢
٢٢٤ألف
٢٠١٤ ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى قطب رحى هذا الوجود

إلى المدَّخر لإقامة عدل الله في أرضه

إلى وارث الأنبياء والمرسلين

إلى وارث أجداده المعصومين

إلى من اسمه اسم النبي وكنيته كنيته

إلى محيي دين جده المصطفى صلى الله عليه وآله

مولانا صاحب العصر والزمان الحجة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف أقدم هذه الكلمات وأنا أقف بين يديه قائلاً: (يأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين)

الطامع في رحمة الله ومغفرته

علي حسين زهوة

تعريف بالكتاب

هذه المناقب مأخوذة من الكتاب المشهور (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي) وأحببت أن أستخلصها منه لأن الرجوع إلى الكتب المطولة غالباً ما يكون لأصحاب الاختصاصات من مؤلفين وكتاب وحتى تعم الفائدة لجميع المستويات خاصة بالتعرف على رجل عظيم كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) سارعت في تحقيق مثل هذا المطلب.

علي حسين زهوة

دمشق/ ١٠/ تشرين الأول/ ٢٠٠٣

١٢/ شعبان/ ١٤٢٤

ترجمة ابن أبي الحديد

هذه الترجمة مقتبسة من مقدمة أبو الفضل إبراهيم محقق كتاب شرح نهج البلاغة:

ابن أبي الحديد ومؤلف هذا الشرح هو عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد المدائني، أحد العلماء، والمؤرخين، في العصر العباسي الثاني، الذي حفل بالشعراء والكتاب والأدباء والمؤرخين واللغويين وأصحاب المعاجم والموسوعات. كان فقيهاً أصولياً، وله في ذلك مصنفات معروفة مشهورة، وكان متكلماً جدلياً نظاراً، اصطنع مذهب الاعتزال، وعلى أساسه جادل وناظر، وحاج وناقش، وفى شرح النهج وكثير من كتبه آراء منثورة مما ذهب إليه، وله مع الأشعري والغزالي والرازي مواقف. وكان أديباً ناقداً، ثاقب النظر، خبيراً بمحاسن الكلام ومساوئه، وكتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) دليل على بعد غوره، ورسوخ قدمه في نقد الشعر وفنون البيان. وكان متقناً لعلوم اللسان، عارفاً بأخبار العرب، مطلعاً على لغاتها، راوياً لأشعارها وأمثالها، حافظاً لملحها وطرفها، كما كان كاتباً بديع الإنشاء حسن الترسل ناصع البيان.

ولد بالمدائن في غرة ذي الحجة سنة ست و ثمانين وخمسمائة، ونشأ بها، وتلقى عن شيوخها، ودرس المذاهب الكلامية فيها، ثم مال إلى مذهب الاعتزال منها، ونظم قصائد كثيرة منها في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) منها:

علم الغيوب إليه غير مدافع ... والصبح أبيض مسفر لا يدفع[1]

وإليه في يوم المعاد حسابنا ... وهو الملاذ لنا غدا والمفزع

هذا اعتقادي قد كشفت غطاءه ... سيضر معتقداً له أو ينفع

يا من له في أرض قلبي مترل ... نعم المراد الرحب والمستربع

وتكاد نفسي أن تذوب صبابة ... خلقا وطبعا لا كمن يتطبع

ورأيت دين الاعتزال واني ... أهوى لأجلك كل من يتشيع

ولقد علمت بأنه لابد من ... مهديكم وليومه أتوقع

تحميه من جند الإله كتائب ... كاليم أقبل زاخرا يتدفع

فيها لآل أبي الحديد صوارم ... مشهورة ورماح خط شرع

ورجال موت مقدمون كأنهم ... أسد العرين الربد لا تتكعكع

تلك المنى إما أغب عنها فلي ... نفس تنازعني وشوق يترع

تالله لاأنسى الحسين وشلوه ... تحت السنابك بالعراء موزع

متلفعا حمر الثياب وفي غد ... بالخضر من فردوسه يتلفع

تطأ السنابك صدره وجبينه ... والأرض ترجف خيفة وتضعضع

والشمس ناشرة الذوائب ثاكل ... والدهر مشقوق الرداء مقنع

---

١ - إشارة إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

لهفي على تلك تراق في أيدي أمية عنوة وتضيع

يأبى أبو العباس أحمد إنه خير الورى من أن يطل ويمنع[1]

فهو الولي لثأرها وهو الحمو ل لعبئها إذ كل عود يضلع

والدهر طوع والشبيبة غضة والسيف غضب والفؤاد مشيع[2]

وحينما انقضت أيام صباه، وطوى رداء شبابه، خف إلى بغداد، حاضرة الخلافة، وكعبة القصاد، وعش العلماء، وكانت خزائنها بالكتب معمورة، ومجالسها بالعلم والأدب مأهولة، فقرأ الكتب واستزاد من العلم، وأوغل في البحث، واختلط بالعلماء من أصحاب المذاهب، ثم جنح إلى الاعتزال، وأصبح كما يقول صاحب "نسمة السحر": معتزلياً جاحظياً... في أكثر شرحه "للنهج" وفي بغداد أيضاً نال الحظوة عند الخلفاء من العباسيين ومدحهم، وأخذ جوائزهم، ونال عندهم سني المراتب ورفيع المناصب، فكان كاتباً في دار التشريفات، ثم في الديوان، ثم ناظراً للبيمارستان، وأخيراً فوض إليه أمر خزائن الكتب في بغداد، وفي كل هذا كان مرموق الجانب، عزيز المحل، كريم المنزلة إلى أن مات. وكان مع اشتغاله بالمناصب، ومعاناته للتأليف، شاعراً مجيداً.

---

١ - هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله المعروف بالناصر، بويع بالخلافة سنة (٥٧٥) ومات سنة (٦٢٩).

٢ - المشيع: الشجاع (الصحاح ج٣ ص١٢٤٠).

وقد اضطرب المؤرخون في تاريخ وفاته، فذكر بعضهم أنه توفي في سنة ٦٥٥، ذهب إلى ذلك ابن شاكر في كتابيه: فوات الوفيات وعيون التواريخ، وكذلك ابن كثير، والعيني، وابن حبيب الحلبي في كتابه درة الأسلاك. ونقل صاحب كتاب "نسمة السحر" عن الديار بكري أنه توفي قبل الدخول التتار بغداد بنحو سبعة عشر يوماً، وكان دخولهم إليها في العشرين من المحرم سنة ٦٥٦، على ما ذكره المؤرخون، وقال الذهبي في سير النبلاء: أنه توفي في الخامس من جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وستمائة.

فرثاه أخوه عز الدين عبد الحميد بقوله:

أأبا المعالي هل سمعت تأوهي ... فلقد عهدتك في الحياة سميعا

عيني بكتك ولو تطيق جوانحي ... وجوارحي أجرت عليك نجيعا

أنفا غضبت على الزمان فلم تطع ... حبلا لأسباب الوفاء قطوعا

ووفيت للمولى الوزير فلم تعش ... من بعده شهراً ولا أسبوعا

وبقيت بعد كما فلو كان الردى ... بيدي لفارقنا الحياة جميعا

وله من المصنفات:

١ - الاعتبار، على كتاب الذريعة في أصول الشريعة، ذكره ابن الفوطي وصاحب روضات الجنات.

٢ - انتقاد المستصفى للغزالي، ذكره ابن الفوطي.

٣ - الحواشي على كتاب المفضل في النحو، ذكره ابن الفوطي.

٤ - شرح المحصل للإمام فخر الدين الرازي، وهو يجري مجرى النقض له، ذكره ابن الفوطي.

٥ - شرح مشكلات الغرر لأبي الحسين البصري في أصول الكلام، ذكره ابن الفوطي وصاحب روضات الجنات.

٦ - ديوان شعره، ذكره ابن شاكر الكتبي.

٧ - شرح نهج البلاغة.

٨ - شرح الياقوت لابن نوبخت في الكلام، ذكره ابن الفوطي وصاحب روضات الجنات.

٩ - العبقري الحسان، ذكره صاحب الجنات، وقال: وهو كتاب غريب الوضع قد اختار فيه قطعة وافرة من الكلام والتواريخ والأشعار وأودعه شيئا من إنشائه وترسلاته ومنظوماته.

١٠ - الفلك الدائر على الملك السائر[1]، ألفه برسم الخليفة المستنصر، بدأ في تأليفه في أول ذي الحجة سنة ٦٣٣، وفرغ منه في خمسة عشر يوماً.

---

١ - طبع بالهند سنة (١٣٠٩) هـ.

١١ – القصائد السبع العلويات[1]، ذكر ابن الفوطي أنه نظمها في صباه وهو بالمدائن سنة ٦١١.

١٢ – المستنصريات، كتبها برسم الخليفة المستنصر، ومنه نسخة بمكتبة السماوي بالنجف.

١٣– نظم فصيح ثعلب، ذكره ابن شاكر وصاحب الظنون.

١٤ – نقض المحصول في علم الأصول للإمام فخر الدين الرازي، ذكره ابن الفوطي وصاحب روضات الجنات وصاحب كشف الظنون.

١٥ – الوشاح الذهبي في العلم الأبي، ذكره ابن الفوطي.

---

١ – طبع بمصر سنة (١٣١٧) هـ.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم من الآنَ إلى قيام يوم الدين.

بعد أن اطلعت على كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي وقرأت ما فيه أعجبني ذكره لبعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ذاك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: (والذي نفسي بيده، لولا أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً: لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة)[1].

فأحببت أن أذكر هذه الفضائل حتى أحصل على ثواب من كتب فضيلة لعلي بن أبي طالب عليه السلام وذلك إيماناً بقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله: (إن الله تبارك وتعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب فضايل لا يحصي عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها

---

١ - ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في "المسند" (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ج٩ ص١٦٨).

غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائل علي لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم أو أثر، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتابة فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النظر إلى علي بن أبي طالب عبادة، وذكره عبادة ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته، والبراءة من أعداءه.)[1] وحتى تعم هذه الفائدة لغيري بقراءة هذه الفضائل فقد ذكرت ما أمكنني ذكره محاولاً سردها وفق الترتيب الذي جاءت به في نفس الكتاب مراعياً الأمانة في النقل وفقاً للطبعة الموجودة بين يدي وهي بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

أولاً- (أن علياً عليه السلام أفضل الصحابة)

ذكر ابن أبي الحديد في الجزء الأول (صفحة:٧) أقوال مشائخه في تفضيل علي عليه السلام قائلاً:

قال البغداديون قاطبة، قدماؤهم ومتأخروهم، كأبي سهل بشر بن المعتمر، وأبي موسى عيسى بن صبيح، وأبي عبد الله جعفر بن مبشر، وأبي جعفر الاسكافي، وأبي الحسين الخياط، وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي وتلامذته إن علياً (عليه السلام) أفضل من أبي بكر.

---

١ - روضة الواعظين - الفتال النيسابوري - (ص ١١٤)

وإلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيراً وكان من قبل من المتوقفين، كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته. وقال في كثير من تصانيفه: إن صح خبر الطائر فعليٌّ أفضل[1]، ثم إن قاضي القضاة رحمه الله ذكر في شرح "المقالات" لأبي القاسم البلخي إن أبا علي رحمه الله ما مات حتى قال بتفضيل علي (عليه السلام)، وقال أنه نقل ذلك عنه سماعاً، و لم يوجد في شيء من مصنفاته.

وقال أيضاً: إن أبا علي رحمه الله يوم مات استدنا ابنه أبا هاشم إليه، وكان قد ضعف عن رفع الصوت فألقى إليه أشياء؛ من جملتها القول بتفضيل علي (عليه السلام). وممن ذهب من البصريين إلى تفضيله (عليه السلام) الشيخ أبو عبد الله الحسين بن علي البصري رضي الله عنه، كان متحققاً بتفضيله، ومبالغاً في ذلك وصنف فيه كتاباً مفرداً. وممن ذهب إلى تفضيله (عليه السلام) من البصريين قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رحمه الله، ذكر ابن متويه عنه في كتاب "الكفاية" في علم الكلام أنه كان من المتوقفين بين علي (عليه السلام) وأبي بكر، ثم قطع على تفضيل علي (عليه السلام) بكامل المنزلة.

---

١ – يشير إلى ما روي في التاريخ الكبير للبخاري (ج١ ص٣٥٨)، والمستدرك (ج٣ ص١٣٠) والكامل لعبد الله بن عدي (ج٦ ص٣٠٧) والسنن الكبرى (ج٥ ص١٠٧) ومن أراد التحقق من صحة هذا الحديث فليراجع كتاب حديث الطير للسيد علي الميلاني.

ومن البصريين الذاهبين إلى تفضيله (عليه السلام) أبو محمد الحسن بن متويه صاحب "التذكرة" نص في كتاب "الكفاية" على تفضيله (عليه السلام) على أبي بكر، احتج لذلك، وأطال في الاحتجاج. فهذان المذهبان كما عرفت.

وذهب كثيرٌ من الشيوخ رحمهم الله إلى التوقف فيهما، وهو قول أبي حذيفه واصل بن عطاء، وأبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف، من المتقدمين. وهما وإن ذهبا إلى التوقف بينه (عليه السلام) وبين أبي بكر وعمر قاطعان على تفضيله على عثمان. ومن الذاهبين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي رحمهما الله، والشيخ أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري رحمه الله. وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون، من تفضيله (عليه السلام). وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل، وهل المراد به الأكثر ثواباً أو الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة، وبينا أنه (عليه السلام) أفضل على التفسيرين معاً. وليس هذا الكتاب موضوعاً لذكر الحِجَاج في ذلك أو في غيره من المباحث الكلامية لنذكره، ولهذا موضع هو أملك به[1].

وذكر ابن أبي الحديد في موضع آخر من كتابه مناقشة لشيخه أبي عبد الله البصري حول أفضلية علي عليه السلام على باقي الصحابة قائلاً:

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص٩).

قيل لشيخنا أبي عبد الله البصري رحمه الله تعالى: أتجد في النصوص ما يدل على تفضيل علي (عليه السلام)، بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه، فإن ذاك أمر مفروغ منه؟ فذكر حديث الطائر المشوي[1]، وأن المحبة من الله تعالى إرادة الثواب. فقيل له: قد سبقك الشيخ أبو علي رحمه الله تعالى إلى هذا، فهل تجد غير ذلك قال: نعم قول الله تعالى: {**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**}[2]، فإذا كان أصل المحبة لمن ثبت كثبوت البنيان المرصوص، فكل من زاد ثباته، زادت المحبة له، ومعلوم أن علياً (عليه السلام) ما فر في زحف قط، وفر غيره في غير موطن[3].

١ - (أنه عليه السلام وصي النبي صلى الله عليه وآله):

ذكر ابن أبي الحديد في شرحه لكلام طويل[4] لأمير المؤمنين عليه السلام عندما وصل لقوله: "وفيهم الوصية والوراثة"، أما الوصية فلا ريب

---

١ - روى الترمذي في صحيحه بسنده عن السدي عن أنس بن مالك، قال:(كان عند النبي صلى الله عليه (وآله)وسلم طير فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي هذا الطير. فجاء علي فأكل معه).(الإمامة وأهل البيت لمحمد بيومي مهران ج٢ ص٣٣٨).

٢ - الصف (٤)

٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج ٣ ص ٢٦٤).

٤ - أحمده استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزته، واستعصاماً من معصيته. وأستعينه فاقة إلى كفايته، إنه لا يضل من هداه، ولا يئل من عاداه، ولا يفتقر من كفاه، فإنه أرجح ما وزن، وأفضل ما خزن. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ممتحناً إخلاصها، معتقداً مصاصها(المصاص:خالص كل شيء صحاح ج٣ ص١٠٥٧)، نتمسك بها أبدا ما أبقانا، ونتذخرها لأهاويل ما يلقانا، فإنها عزيمة الإيمان، وفاتحة الإحسان، ومرضاة الرحمن، ومدحرة الشيطان. وأشهد

عندنا أن علياً (عليه السلام) كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله.

أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحة للشبهات، واحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات، والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت سوارى اليقين، واختلف النجر، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمى المصدر، فالهدى خامل، والعمى شامل، عصى الرحمن، ونصر الشيطان، وخذل الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكرت معالمه، ودرست سبله، وعفت شركه. أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه. في فتن داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون، جاهلون مفتونون، في خير دار وشر جيران، نومهم سهود، وكحلهم دموع، بأرض عالمها ملجم، وجاهلها مكرم. ومنها، (ويعني آل النبي صلى الله عليه وآله): هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه. الشرح: اللجأ: ما تلتجئ إليه، كالوزر ما تعتصم به. والموئل: ما ترجع إليه، يقول: إن أمر النبي صلى الله عليه وآله، أي شأنه ملتجئ إليهم، وعلمه مودع عندهم، كالثوب يودع العيبة. وحكمه، أي شرعه يرجع ويؤول إليهم. وكتبه - يعني القرآن والسنة عندهم، فهم كالكهوف له، لاحتوائهم عليه. وهم جبال دينه لا يتحلحلون عن الدين، أو أن الدين ثابت بوجودهم، كما أن الأرض ثابتة بالجبال، ولولا الجبال لمادت بأهلها. والهاء في "ظهره" ترجع إلى الدين، وكذلك الهاء في "فرائصه"، والفرائص: جمع فريصة، اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة. زرعوا الفجور، وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور، لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص١٣٢).

٢ ـ (أنه عليه السلام وارث النبي صلى الله عليه وآله).

ثم قال: وأما الوراثة فالإمامية يحملونها على ميراث المال، والخلافة، ونحن نحملها على وراثة العلم[1].

---

١ - وهل قول الإمامية إلا بدليل ما جاء في القرآن حيث قال تعالى:(وورث سليمان داود) (النمل١٦) فهل معنى الوراثة هنا العلم فقط؟ أم في كل شيء؟ من منصب وحسب ومال وما إلى آخره مما يمكن إنتقاله؟ ثم من فمك أدينك حيث أن ابن أبي الحديد شَرَحَ في (ج١٠ ص١٨٦) من شرحه نهج البلاغة قوله (عليه السلام): (فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً!) قائلاً: انتصابهما على الحال من الضمير المجرور في (به)، أي أي شخص أحق برسول الله صلى الله عليه وآله حال حياته وحال وفاته مني! ومراده من هذا الكلام، أنه أحق بالخلافة بعده وأحق الناس بالمنزلة منه حيث كان بتلك المنزلة منه في الدنيا، وليس يجوز أن يكونا حالين من الضمير المجرور في (مني) لأنه لا يحسن أن يقول: أنا أحق به إذا كنت حياً من كل أحد، وأحق به إذا كنت ميتاً من كل أحد، لأن الميت لا يوصف بمثل ذلك، ولأنه لا حال ثبتت له من الأحقية إذا كان حيا إلا وهي ثابتة له إذا كان ميتاً، وإن كان الميت يوصف بالأحقية، فلا فائدة في قوله: (وميتاً) على هذا الفرض، ولا يبقى في تقسيم الكلام إلى قسمين فائدة، وأما إذا كان حالاً من الضمير في (به)، فإنه لا يلزم من كونه أحق بالمنزلة الرفيعة من رسول الله صلى الله عليه آله وهو حي أن يكون أحق بالخلافة بعد وفاته، أي ليس أحدهما يلزم الآخر، فاحتاج إلى أن يبين أنه أحق بالرسول صلى الله عليه وآله من كل أحد إن كان الرسول حياً، وإن كان ميتاً، ولم يستهجن أن يقسم الكلام إلى القسمين المذكورين.

وقال ابن أبي الحديد في (ج١٣ ص٢٢٨): روى محمد بن عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده أبي رافع، قال أتيت أبا ذر بالربذة أودعه، فلما أردت الانصراف، قال لي ولا ناس معي ستكون فتنة، فاتقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب، فاتبعوه، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (له أنت أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري، وخير من أترك بعدي، تقضي ديني وتنجز موعدي). إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي ما لو أردنا استقصاءها لأحوجنا ذلك إلى تصنيف المجلدات.

٣ ـ (أنه عليه السلام أفضل البشر بعد النبي صلى الله عليه وآله):

قال ابن أبي الحديد: ثم ذكر (عليه السلام) أن الحق رجع الآن إلى أهله، وهذا يقتضي أن يكون فيما قبل في غير أهله، ونحن نتأول ذلك على غير ما تذكره الإمامية، ونقول: إنه (عليه السلام) كان أولى بالأمر وأحق، لا على وجه النص، بل على وجه الأفضلية، فإنه أفضل البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأحق بالخلافة من جميع المسلمين، لكنه ترك حقه لما علمه من المصلحة، وما تفرس فيه هو والمسلمون من اضطراب الإسلام، وانتشار الكلمة، لحسد العرب له، وضغنهم عليه. وجائز لمن كان أولى بشيء فتركه ثم استرجعه أن يقول: قد رجع الأمر إلى أهله.

٤ ـ (أنه عليه السلام له الولاية على الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله):

ثم قال ابن أبي الحديد بعد ذلك: ثم ذكر[1] خصائص حق الولاية، والولاية الإمرة، فأما الإمامية فيقولون: أراد نص النبي صلى الله عليه وآله عليه وعلى أولاده. ونحن نقول: لهم خصائص حق ولاية الرسول صلى الله عليه وآله على الخلق[2].

---

١ - أي أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ - كأنّ ابن أبي الحديد لم يطلع على نصوص القرآن كقوله تعالى:(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)(المائدة٥٥). أو السنة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم في علي يوم غدير خم من كنت مولاه فهذا علي مولاه. وثبت أن هذه الرواية

٥ ـ (أنه عليه السلام صاحب فضل ونعمة على الخلق):

ثم قال: فإن قيل: ما معنى قوله (عليه السلام): (لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً). قيل لا شبهة أن المنعم أعلى وأشرف من المنعم عليه، ولا ريب أن محمداً (صلى الله عليه وآله) وأهله الأدنين من بني هاشم، لا سيما علياً (عليه السلام)، أنعموا على الخلق كافةً بنعمة لا يقدر قدرها، وهي الدعاء إلى الإسلام والهداية إليه، فمحمدٌ صلى الله عليه وآله وإن كان هدى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانه ويده، ونصرة الله تعالى له بملائكته وتأييده، وهو السيد المتبوع، والمصطفى المنتجب الواجب الطاعة، إلا أن لعليٍ (عليه السلام) من الهداية أيضاً - وإن كان ثانياً لأول، ومصلياً على إثر سابق - ما لا يجحدُ، ولو لم يكن إلا جهاده بالسيف أولاً وثانياً، وما كان بين الجهادين من نشر العلوم وتفسير القرآن وإرشاد العرب إلى ما لم تكن له فاهمةٌ ولا متصورةٌ، لكفى في وجوب حقه، وسبوغ نعمته (عليه السلام).

فإن قيل: لا ريب في أن كلامه هذا تعريض بمن تقدم عليه، فأي نعمة له عليهم؟ قيل: نعمتان؛

الأولى منهما الجهاد عنهم وهم قاعدون، فإنّ من أنصف علم أنه لولا سيفُ عليٍ (عليه السلام) لاصطلم المشركون، من أشار إليه

متواترة عند الفريقين والتواتر يفيد القطع وأبو الحديد يقر بتواترها فكيف له أن ينكر صراحة مدلولها.

وغيرهم من المسلمين، وقد علمت آثاره في بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وحنين، وأن الشرك فيها فغر[1] فاه، فلولا أن سده بسيفه لالتهم المسلمين كافةً.

والثانيةُ علومه التي لولاها لحكم بغير الصواب في كثير من الأحكام، وقد اعترف عمر له بذلك، والخبر مشهور: "لولا علي لهلك عمر".[2]

٦ ـ (أسمائه عليه السلام أفضل الأسماء):

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي. الغالب عليه من الكنية (عليه السلام) أبو الحسن. وكان ابنه الحسن (عليه السلام) يدعوه في حياه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا الحسين، ويدعوه الحسين (عليه السلام) أبا الحسن، ويدعوان رسول الله صلى الله عليه وآله أباهما، فلما توفي النبي صلى الله عليه وآله دعواه بأبيهما. وكناهُ رسول الله صلى الله عليه وآله أبا تراب، وجده نائماً في تراب، قد سقط عنه رداؤه، أصاب التراب جسده، فجاء حتى جلس عند رأسه، وأيقظه، وجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول له: اجلس، إنما أنت أبو تراب. فكانت: من أحب كناه إليه صلوات الله عليه، وكان يفرح إذا دعي بها، وكانت ترغّب بنو أميه خطباءها أن يسبوه بها على

---

١ - فغر فاه: فتحه (الصحاح ص٧٨٢).

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص١٤٠).

المنابر، وجعلوها نقيصةً له ووصمةً عليه[1]، فكأنما كسوه هذا الحلي والحلل، كما قال الحسن البصري رحمه الله.

وقيل: اسمه الأول الذي سمته به أمه حيدرة، باسم أبيها أسد بن هاشم والحيدرة: الأسد فغير أبوه اسمه، وسماه علياً. وقيل: إن حيدرة اسم كانت قريش تسميه به. والقول الأول أصح، يدل عليه خبره يوم برز إليه مرحب، وارتجز عليه فقال:

أنا الذي سمتني أمي مرحباً

فأجابه (عليه السلام) رجزاً:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة

ورجزهما معاً مشهورٌ منقولٌ لا حاجةَ لنا الآن إلى ذكره[2].

---

١ - رواية الخبر كما في صحيح البخاري، في كتاب فضائل الصحابة (ج٤ ص٢٠٨)، بسنده عن عبد الله ابن مسلمة: أن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد، فقال: هذا فلان - لأمير المدينة - يدعو علياً عند المنبر، قال: فيقول ماذا؟ فضحك،وقال له: أبو تراب. فضحك، قال: والله ما سماه إلا النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم، وما كان له اسم أحب إليه منه. فاستطعمت الحديث سهلا، وقلت: يا أبا عباس، كيف؟ قال: دخل علي على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: اجلس يا أبا تراب، مرتين. ولهذا الخبر رواية أخرى ذكرها صاحب الرياض النضرة (٢: ١٥٤(٣)).

٢ - الخبر رواه مسلم مفصلا بسنده عن إياس بن سلمة عن أبيه، في كتاب الجهاد والسير (ص ١٤٣٣- ١٤٤١) في غزوة خيبر. رواية مسلم: قد علمت خيبر أني مرحب ❁ شاكي السلاح بطل مجرب ❁ إذا الحروب أقبلت تلهب.

بقيته كما رواه مسلم: كليث غاب كريه المنظرة ❁ أوفيهم بالصاع كيل السندره. والسندرة: مكيال واسع.

وتزعم الشيعة أنه خوطب في حياه رسول الله صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين، خاطبه بذلك جملة المهاجرين والأنصار، و لم يثبت ذلك في أخبار المحدثين، إلا أنهم قد رووا ما يعطي هذا المعنى، وإن لم يكن اللفظ بعينه، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله له: (أنت يعسوب الدين والمال يعسوب الظلمة).

وفي رواية أخرى: (هذا يعسوب المؤمنين).

واليعسوب: ذكر النحل وأميرها. روى هاتين الروايتين أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني في "المسند" في كتابه "فضائل الصحابة"، ورواهما أبو نعيم الحافظ في "حليه الأولياء"، ودعيَّ بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله بوصي رسول الله، لوصايته إليه بما أراده. وأصحابنا لا ينكرون ذلك، ولكن يقولون: إنها لم تكن وصية بالخلافة، بل بكثير من المتجددات بعده، أفضى بها إليه (عليه السلام).وسنذكر طرفاً من هذا المعنى فيما بعد[1].

٧ ـ (أمه عليها السلام من أفضل الأمهات):

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أول هاشمية ولدت لهاشمي، كان علي (عليه السلام) أصغر بنيها، وجعفر

---

١ – ورواه أيضاً الطبراني في الكبير، ونقله صاحب الرياض النضيرة ٢: ١٥٥، مع اختلاف في اللفظ. (حلية الأولياء ١: ٦٣)، بسنده عن أنس، ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: يا أنس، أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين. وجاء كذلك في تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٨٦.

أسن منه بعشر سنين، وعقيل أسن منه بعشر سنين، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين، وفاطمة بنت أسد أمهم جميعاً. وأم فاطمة بنت أسد، فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص(ابن عامر بن لؤي وأمها حدية بنت) وهب بن ثعلبه بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر.(وأمها فاطمة بنت عبيد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي. وأمها سلمى بنت عامر بن ربيعه بن هلال بن أهيب بن ضبه بن الحارث بن فهر). وأمها عاتكه بنت أبي همهمة واسمه عمرو بن عبد العزى بن عامر بن عميره بن وديعه بن الحارث بن فهر. (وأمها تماضر بنت عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي). وأمها حبيبه، وهي أمة الله بنت عبد الليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي، وهو ثقيف. وأمها فلانة بنت مخزوم بن أسامه بن ضبع بن وائلة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبه بن كنانه بن عمرو بن قين بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان[1] ابن مضر. وأمها ربطه بنت يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف. وأمها كلة بنت حصين بن سعد بن بكر بن هوازن. وأمها حبي بنت الحارث بن النابغة بن عميره بن عوف بن نصر بن بكر بن هوازن.

ذكر هذا النسب أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب(مقاتل الطالبيين).

---

١ - قد تكون غيلان.

أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشرة من المسلمين، وكانت الحادي عشر، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرمها ويعظمها ويدعوها: أمي، وأوصت إليه حين حضرها الوفاة، فقبل وصيتها، وصلى عليها، ونزل في لحدها، واضطجع معها فيه بعد أن ألبسها قميصه، فقال له أصحابه إنا ما رأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها، فقال إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها ضغطه القبر.

وفاطمة أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله من النساء. وأم أبي طالب بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. وهي أم عبد الله، والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأم الزبير بن عبد المطلب، وسائر ولد عبد المطلب بعد لأمهات شتى.

٨ ـ (أنه عليه السلام ولد في أشرف الأمكنة):

واختلف في مولد علي (عليه السلام) أين كان؟ فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة، والمحدثون لا يعترفون بذلك، ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.[1]

---

١ - وهذه حقيقة ناصعة أطبق على إثباتها الفريقان، وتضافرت بها الأحاديث، وطفحت بها الكتب، فلا نعبأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نص جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه

٩ ـ (أنه عليه السلام أول الناس إسلاماً):

ثم بعد ذلك ذكر ابن أبي الحديد فضل علي عليه السلام في سبقه جميع الناس للإسلام وإتباع النبي صلى الله عليه وآله مع صغر سنه قائلاً:

واختُلِفَ في سنه حين أظهر النبي صلى الله عليه وآله الدعوة، إذ تكامل له صلوات الله عليه أربعون سنة، فالأشهر من الروايات أنه

الأثارة. قال الحاكم في "المستدرك" (٣: ٤٨٣): وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة. وحكى الحافظ الكنجي الشافعي في(الكفاية) من طريق ابن النجار عن الحاكم النيسابوري أنه قال: ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمكة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل و لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراما له بذلك، وإجلالاً لمحله في التعظيم. وتبعه أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الشهير بشاه ولي الله والد عبد العزيز الدهلوي مصنف (التحفة الاثني عشرية في الرد على الشيعة) فقال في كتابه (إزالة الخفاء): تواترت الأخبار إن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علياً في جوف الكعبة فإنه ولد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة و لم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده. قال شهاب الدين السيد محمود الآلوسي صاحب التفسير الكبير في (شرح الفريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية) لعبد الباقي أفندي العمري ص ١٥ عند قول الناظم:

أنت العلي الذي فوق العلى رفعا ببطن مكة عند البيت إذ وضعا

وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة – إلى أن قال: و لم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه بل لم تتفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين؟ وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين. وقال في ص ٧٥ عند قول العمري:

وأنت أنت الذي حطت له قدم في موضع يده الرحمن قد وضعا

أحب عليه الصلاة والسلام (يعني علياً) أن يكافئ الكعبة حيث ولد في بطنها بوضع الصنم على ظهرها فإنها كما ورد في بعض الآثار كانت تشتكي إلى الله تعالى عبادة الأصنام حولها وتقول: أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي؟ والله تعالى يعدها بتطهيرها من ذلك.(الغدير ج٦).

كان ابن عشر. وكثير من أصحابنا المتكلمين يقولون: إنه كان ابن ثلاث عشرة سنة، ذكر ذلك شيخنا أبو القاسم البلخي وغيره من شيوخنا. ومن الناس من يزعم أن سنه كانت دون العشر، والأكثر الأظهر خلاف ذلك.

١٠ ـ (أنه عليه السلام ترعرع في حجر النبي صلى الله عليه وآله):

وذكر أحمد بن يحيى البلاذري وعلي بن الحسين الأصفهاني أن قريشاً أصابتها أزمة وقحط، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعميه: حمزة والعباس: ألا نحمل ثقل أبي طالب في هذا المحل! فجاءوا إليه وسألوه أن يدفعَ إليهم ولده ليكفوه أمرهم، فقال: دعوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم وكان شديد الحب لعقيل فأخذ العباس طالباً، وأخذ حمزة جعفراً، وأخذ محمدٌ صلى الله عليه وآله علياً، وقال لهم: قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً.

١١ ـ (أنه عليه السلام عبد الله قبل الناس):

قال ابن أبي الحديد:

قالوا فكان علي (عليه السلام) في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، منذ كان عمره ست سنين. وكان ما يسدي إليه صلى الله عليه وآله من إحسانه وشفقته وبره وحسن تربيته، كالمكافأة والمعاوضة لصنيع أبي طالب به، حيث مات عبد المطلب وجعله في حجره. وهذا يطابق قوله (عليه السلام): لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة

سبع سنين. وقوله كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً، ورسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ صامت ما أذن له في الإنذار والتبليغ، وذلك لأنه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة، وتسليمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبيه وهو ابن ست، فقد صح أنه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين، وابن ست تصح منه العبادة إذا كان ذا تمييز على أن عبادة مثله هي التعظيم والإجلال وخشوع القلب، واستخذاء[1] الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وآياته الباهرة، ومثل هذا موجود في الصبيان.[2]

١٢ ـ (ليلة شرف الشهادة عليه السلام):

وقتل (عليه السلام) ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقين من شهر رمضان، سنه أربعين. لرواية أبي عبد الرحمن السلمي وهي الرواية المشهورة، وفي رواية أبي مخنف أنها كانت لإحدى عشرة ليلة بقين من شهر رمضان، وعليه الشيعة في زماننا[3]. والقول الأول أثبت عند المحدثين، والليلة السابعة عشرة من شهر رمضان هي ليلة بدر، وقد كانت الروايات وردت أنه يقتل في ليلة بدر، (عليه السلام).

---

١ – خذأ: الكسائي: خذئت له وخذأت له خذوءاً فيهما: أي خضعت (الصحاح ج١ ص٤٦).

٢ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص١٦).

٣ – ليلة التاسع عشر من شهر رمضان هي الليلة التي ضرب فيها على رأسه الشريف وهو ساجد في صلاة الصبح ضربه عبد الرحمان بن ملجم الخارجي (لعنه الله) وبقي أمير المؤمنين عليه السلام جريحاً إلى ليلة الحادي والعشرين من نفس الشهر حيث كان إستشهاده عليه السلام. راجع مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب حتى تتحقق من صحة القول.

١٣ - (مكان قبره عليه السلام):

وقبره بالغري[١]. وما يدعيه أصحاب الحديث من الاختلاف في قبره، وأنه حمل إلى المدينة، أو أنه دفن في رحبة الجامع، أو عند باب قصر الأمارة أو نَدَّ البعير الذي حُمِلَ عليه فأخذته الأعراب باطل كله، لا حقيقة له، وأولاده أعرف بقبره، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذي زاره بنوه لما قدموا العراق، منهم جعفر بن محمد (عليه السلام) وغيره من أكابرهم وأعيانهم. وروى أبو الفرج في (مقاتل الطالبيين) بإسناد ذكره هناك إن الحسين (عليه السلام) لما سئل: أين دفنتم أمير المؤمنين؟ فقال: خرجنا به ليلاً من منزله بالكوفة، حتى مررنا به على مسجد الأشعث، حتى انتهينا به إلى الظهر بجنب الغري[٢].

ثانياً - (ميزاته عليه السلام):

فأما فضائله (عليه السلام)، فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا يسمجُ[٣] معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد: رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على

---

١ - وهي النجف.

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص١٦).

٣ - سمج سَمُجَ الشيءُ بالضم سَماجَةً فهو قبيح (الصحاح ج١ ص٣٢٢).

الناظر، فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الأخبار عنك إلى علم الناس بك. وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمانُ فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أن يسمي أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسموا، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه[1]، وكلما كتم تضوع[2] نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة! وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها[3]، وسابق مضمارها، ومجلي حلبتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى.

---

١ - والعرف: الريح طيبة كانت أو منتة (الصحاح ج٤ ص١٤٠٠).

٢ - وضاع المسك وتضوع وتضيع، أي تحرك وانتشرت رائحته (الصحاح ج٣ ص١٢٥٢).

٣ - يقال: فلانٌ أبو عُذْرِهَا، إذا كان هو الذي افْتَرَعَهَا وافْتَضَّها (الصحاح باب الراء ج٢ ص٧٣٨).

١ـ (أنه عليه السلام أعلم الخلق ومبدع العلوم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله):

١ـ (علم الكلام):

قال: وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي[١]، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم. ومن كلامه (عليه السلام) اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ، فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر[٢]، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه[٣]، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه (عليه السلام). وأما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن (إسماعيل بن) أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام). وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر[٤].

---

١ – وهو الذي يبحث فيه عن وحدانية الله تعالى وصفاته وعدله ونبوة الأنبياء والإقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله والمعاد.

٢ – هل باقي الملل ليست من أهل التوحيد؟ أم أن الإمامية المنتسبين لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لم يقولوا بعدل الله سبحانه وتعالى؟ وهم يعتبرون أن الأصل الثاني بعد التوحيد هو العدل.

٣ – هل هولاء الذين زعم أن الناس تعلمت منهم كانوا أقرب إلى علي عليه السلام من أولاد علي صلوات الله عليه؟ ثم إن التأريخ يشهد بأن أولاد علي عليهم السلام الأئمة الإثني عشر المعصومين هم الذين علموا الناس مختلف العلوم وأفاضوا عليهم بنور الحكمة وهذه حقيقة ناصعة لا يحاجج فيها ذي لب.

٤ – شرح نهج البلاغة (ج١ ص١٨).

وقال في موضع آخر من كتابه شارحاً خطبة له (عليه السلام):

الأصل:

(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، الأول لا شـيء قبلـه، والآخر لا غاية له، لا تقع الأوهام له على صفة، ولا تعقـد القلـوب منـه على كيفية، ولا تنالـه التجزئـة والتبعـيض، ولا تحـيط بـه الأبصـار والقلوب).

الشرح:

في هذا الفصل على قِصَرِهِ ثماني مسائل من مسائل التوحيد:

الأولى: أنه لا ثاني له سبحانه في الإليهة.

والثانية: أنه قديم لا أول له. ليس يـدل كلامـه علـى القـدم، لأنـه قال:(الأول لا شيء قبله) فيوهم كونه غـير قـديم بـأن يكـون محـدثاً وليس قبله شيء، لأنه محدث عن عدم والعـدم لـيس بشـيء. قلـت: إذا كان محدثاً كان له محدثٌ، فكان ذلك المحـدث قبلـه، فثبـت أنـه متـى صدق أنه ليس شيء قبله صدق كونه قديماً.

والثالثة: أنه أبدي لا انتهاء ولا انقضاء لذاته.

والرابعة: نفي الصفات عنه أعني المعاني.

والخامسة: نفي كونه مكيفاً، لأن "كيف" إنمـا يسـأل بهـا عـن ذوي الهيئات والأشكال وهو منزه عنها.

والسادسة: أنه غير متبعض، لأنه ليس بجسم ولا عرض.

والسابعة: أنه لا يرى ولا يدرك.

والثامنة: أن ماهيته غير معلومة، وهو مذهب الحكماء وكثير من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم. وأدلة هذه المسائل مشروحة في كتبنا الكلامية.

واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية، ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً، ولا كانوا يتصورونه، ولو تصوروه لذكروه. وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله (عليه السلام)[1].

وقال في شرح خطبة أخرى في موضع آخر:

الأصل:

الحمد لله خالق العباد، وساطح المهاد، ومسيل الوهاد، مخصب النجاد ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، هو الأول ولم يزل، والباقي بلا أجل خرت له الجباه، ووحدته الشفاه. حد الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها لا تقدره الأوهام بالحدود والحركات، ولا بالجوارح والأدوات، لا يقال له: "متى" ؟ ولا يضرب له أمد بـ "حتى" الظاهر لا يقال: "مم" ؟ والباطن لا يقال: "فيم" ؟ لا شبح فيتقصى[2]، ولا محجوب فيحوى. لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق، ولا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة، ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة، ولا انبساط خطوة. في ليل داج، ولا غسق ساج، يتفيأ عليه القمر المنير، وتعقبه الشمس ذات النور في

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٦ ص٣٤٥).

٢ – يقال: نزلنا منزلاً لا يُقْصيه البصر أي لا يُبْلغ أقصاه (الصحاح ج٦ ص٢٤٦٣).

الأفول والكرور، وتقليب الأزمنة والدهور، من إقبال ليل مقبل، وإدبار نهار مدبر. قبل كل غاية ومدة، وكل إحصاء وعدة، تعالى عما ينحله المحددون من صفات الأقدار، ونهايات الأقطار، وتأثل[1] المساكن، وتمكن الأماكن. فالحد لخلقه مضروب، وإلى غيره منسوب. لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية، بل خلق ما خلق فأقام حده، وصور ما صور فأحسن صورته. ليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء انتفاع. علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين، وعلمه بما في السماوات العلا كعلمه بما في الأرضين السفلى.

الشرح:

المهاد هنا: هو الأرض، وأصله الفراش: وساطحه: باسطه، ومنه تسطيح القبور خلاف تسنيمها، ومنه أيضاً المسطح، للموضع الذي يبسط فيه التمر ليجفف. والوهاد: جمع وهدة، وهي المكان المطمئن. ومسيلها: مجرى السيل فيها. والنجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. ومخصبها: مروضها وجاعلها ذوات خصب.

---

١ - والتأثيل: التأصيل، يقال: مجد مؤثل (الصحاح ج٤ ص١٦٢٠).

مباحث كلامية:

واعلم أنه (عليه السلام) أورد في هذه الخطبة ضروباً من علم التوحيد، وكلها مبنية على ثلاثة أصول:

الأصل الأول:

أنه تعالى واجب الوجود لذاته، ويتفرع على هذا الأصل فروع:

أولها: أنه ليس لأوليته ابتداء، لأنه لو كان لأوليته ابتداء، لكان محدثاً، ولا شيء من المحدث بواجب الوجود، لأن معنى واجب الوجود، أن ذاته لا تقبل العدم، ويستحيل الجمع بين قولنا: هذه الذات محدثة، أي كانت معدومة من قبل، وهي في حقيقتها لا تقبل العدم.

وثانيها: أنه ليس لأزليته انقضاء، لأنه لو صح عليه العدم لكان لعدمه سبب، فكان وجوده موقوفاً على انتفاء سبب عدمه، والمتوقف على غيره، يكون ممكن الذات، فلا يكون واجب الوجود. وقوله (عليه السلام): "هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل" تكرار لهذين المعنيين السابقين على سبيل التأكيد، ويدخل فيه أيضاً قوله: "لا يقال له متى، ولا يضرب له أمدٌ بحتى"، لأن "متى" للزمان وواجب الوجود يرتفع عن الزمان، و "حتى" للغاية وواجب الوجود لا غاية له: ويدخل أيضاً فيه قوله: "قبل كل غاية ومدة وكل إحصاء وعدة".

وثالثها: أنه لا يشبه الأشياء البتة، لأن ما عداه إما جسم أو عرض أو مجرد، فلو أشبه الجسم أو العرض لكان إما جسماً أو عرضاً، ضرورة تساوى المتشابهين المتماثلين في حقائقهما. ولو شابه غيره من

المجردات (مع أن كل مجرد غيره ممكن) لكان ممكناً، وليس واجب الوجود بممكن، فيدخل في هذا المعنى قوله(عليه السلام): "حد الأشياء عند خلقه لها، إبانة له من شبهها" أي جعل المخلوقات ذوات حدود ليتميز هو سبحانه عنها، إذ لا حدَّ له، فبطل أن يشبهه شيء منها. ودخل فيه قوله (عليه السلام): "لا تقدره الأوهام بالحدود والحركات، ولا بالجوارح". والأدوات: جمع أداة وهي ما يعتمد به ودخل فيه قوله: الظاهر فلا يقال:"مم" ؟ أي لا يقال: من أي شيء ظهر، "والباطن" فلا يقال: "فيم" أي لا يقال فيما ذا بطن؟ ويدخل فيه قوله: "لا شبح فيتقصى"[1] والشبح: الشخص ويتقصى يطلب أقصاه. ويدخل فيه قوله: "ولا محجوب فيحوى"، وقوله: "لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق" لأن هذه الأمور كلها من خصائص الأجسام وواجب الوجود لا يشبه الأجسام ولا يماثلها. ويدخل فيه قوله (عليه السلام): "تعالى عما ينحله المحددون من صفات الأقدار" أي ما ينسبه إليه المشبهة والمجسمة من صفات المقادير وذوات المقادير. ونهايات الأقطار، أي الجوانب. وتأثل المساكن، (بمجد مؤثل، أي أصيل وبيت مؤثل، أي معمور، وكان أصل الكلمة أن تبنى الدار بالأثل، وهو شجر معروف) وتمكن الأماكن: ثبوتها واستقرارها. وقوله: "فالحمد لخلقه مضروب، وإلى غيره منسوب".

---

١ - وفي النسخة التي بشرح محمد عبده (لاشبح فيتقصى) أي ليس بجسم فيفنى بالانحلال، هكذا شرحها الشيخ محمد عبده.

وقوله: "ولا بطاعة شيء انتفاع" لأنه إنما ينتفع الجسم الذي يصح عليه الشهوة والنفرة، كل هذا داخل تحت هذا الوجه[1].

الأصل الثاني:

أنه تعالى عالم لذاته، فيعلم كل معلوم، ويدخل تحت هذا الأصل قوله (عليه السلام): "لا تخفى عليه من عباده شخوص لحظة" أن تسكن العين فلا تتحرك.

ولا كرور لفظة، أي رجوعها. ولا ازدلاف ربوة، صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض، وهي الموضع المرتفع. ولا انبساط خطوة. في ليل داج. أي مظلم. ولا غسق ساج، أي ساكن. ثم قال: "يتفيأ عليه القمر المنير" هذا من صفات الغسق ومن تتمة نعته، ومعنى: "يتفيأ عليه" يتقلب ذاهبا وجائياً في حالتي أخذه في الضوء إلى التبدر، وأخذه في النقص إلى المحاق. وقوله: "وتعقبه" أي وتتعقبه، فحذف إحدى التاءين، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[2] أي "تتوفاهم" والهاء في "وتعقبه" ترجع إلى القمر، أي وتسير الشمس عقبه في كروره. وأفوله، أي غيبوبته، وفي تقليب الأزمنة والدهور، من إقبال ليل وإدبار نهار. فإن قلت: إذا كان قوله: "يتفيأ عليه القمر المنير" في موضع جر، لأنه صفة "غسق"، فكيف تتعقب الشمس والقمر مع وجود الغسق؟ وهل يمكن اجتماع الشمس والغسق. قلت: لا يلزم من تعقب الشمس للقمر ثبوت الغسق. بل قد يصدق تعقبها

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج ٩ص ٢٥٢).

٢ - سورة النساء (٩٧).

له ويكون الغسق معدوماً، كأنه (عليه السلام) قال: "لا يخفى على الله حركة في نهار ولا ليل، يتفيأ عليه القمر، وتعقبه الشمس" أي تظهر عقيبه، فيزول الغسق بظهورها. وهذا التفسير الذي فسرناه يقتضي أن يكون حرف الجر وهو "في" التي في قوله: "في الكرور" متعلقاً بمحذوف، ويكون موضعه نصباً على الحال، أي وتعقبه كاراً وآفلاً. ويدخل تحته أيضاً قوله (عليه السلام): "علمه بالأموات الماضين، كعلمه بالأحياء الباقين، وعلمه بما في السماوات العلا، كعلمه بما في الأرضين السفلى"[1].

الأصل الثالث:

أنه تعالى قادر لذاته، فكان قادراً على كل الممكنات، ويدخل تحته قوله: "لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية، بل خلق ما خلق فأقام حده، وصور ما صور فأحسن صورته" والرد في هذا على أصحاب الهيولى[2] والطينة التي يزعمون قدمها. ويدخل تحته قوله: "ليس لشيء امتناع" لأنه متى أراد إيجاد شيء أوجده، ويدخل تحته قوله: "خرت له الجباه" أي سجدت. و "وحدته الشفاه" يعني الأفواه، فعبر بالجزء عن الكل مجازاً، وذلك لأن القادر لذاته هو المستحق للعبادة لخلقه أصول النعم. كالحياة والقدرة والشهوة.

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٩ ص٢٥٢).

٢ - والهَيولَى، وتُشَدَّدُ الياءُ مضمومَةً عن ابنِ القَطّاعِ: القُطْنُ. وشَبَّهَ الأَوائِلُ طِينَةَ العالَمِ بِه، أو هو في اصْطِلاحِهِمْ موصوفٌ بما يَصِفُ به أَهْلُ التَّوْحِيدِ اللّهَ تَعالى، أنه موجودٌ بِلا كَمِّيَّةٍ وكَيْفِيَّةٍ، ولم يَقْتَرِنْ به شيءٌ من سِماتِ الحَدَثِ، ثم حَلَّتْ به الصَّنْعَةُ، واعْتَرَضَتْ بِه الأَعْراضُ، فَحَدَثَ منه العالَمُ (القاموس المحيط فصل الهاء هالَ ج٤ ص٧٢).

واعلم أن هذا الفن هو الذي بان به أمير المؤمنين (عليه السلام) عن العرب في زمانه قاطبة واستحق به التقدم والفضل عليهم أجمعين، وذلك لأن الخاصة التي يتميز بها الإنسان عن البهائم هي العقل والعلم، ألا ترى أنه يشاركه غيره من الحيوانات في اللحمية والدموية والقوة والقدرة، والحركة الكائنة على سبيل الإرادة والاختيار، فليس الامتياز إلا بالقوة الناطقة، أي العاقلة العالمة، فكلما كان الإنسان أكثر حظاً منها، كانت إنسانيته أتم ومعلوم أن هذا الرجل انفرد بهذا الفن، وهو أشرف العلوم، لأن معلومه أشرف المعلومات، و لم ينقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد، ولا كانت أذهانهم تصل إلى هذا، ولا يفهمونه بهذا الفن فهو منفرد فيه، وبغيره من الفنون - وهي العلوم الشرعية - مشارك لهم، وراجح عليهم، فكان أكمل منهم، لأنّا قد بينا أن الأعلم أدخل في صورة الإنسانية، وهذا هو معنى الأفضلية.

وقد بين ابن أبي الحديد في أكثر من موضع أن أمير المؤمنين عليه السلام كان عنده من العلوم ما لم يكن موجوداً عند غيره بل أشار إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان عالماً بجميع العلوم القديمة والجديدة وإليك بعض ما أورده في حق أمير المؤمنين عليه السلام في شرح الخطبة التي ذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم:

قوله عليه السلام: "ولا همامة نفس اضطرب فيها"، قال ابن أبي الحديد مفسراً معنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام: (فيه رد على المجوس[1]

---

١ - المجوسية: الياء في المجوسية نسبة إلى مجوس. وصف رجل صغير الأذنين يقال له بالفارسية منج كوش، فعربت بمجوس كان قد وضع دينا ودعا له قديما قبل الخليل (الصحاح ج٣ ص٩٧٧).

والثنوية[1] القائلين بالهمامة، ولهم فيها خبط طويل يذكره أصحاب المقالات، وهذا يدل على صحة ما يقال: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين، ويعلم العلوم كلها، وليس ذلك ببعيد من فضائله ومناقبه (عليه السلام))[2].

٢ - (علم الفقه):

ومن العلوم: علم الفقه، وهو (عليه السلام) أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل، فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد (عليه السلام)، وقرأ جعفر على أبيه (عليه السلام)، وينتهي الأمر إلى علي (عليه السلام). وأما مالك بن أنس، فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب، وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة. وأما فقه الشيعة:فرجوعه إليه ظاهر

وفي الحديث: كلُّ مَوْلودٍ يُولَدُ على الفِطْرَة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمَجِّسانِه (شرح الأخبار ج١ ص١٩٠).

١ - الثَنَوِيَّة، وهم أصحاب المُقَنَّع، سُمُّوا بذلك لتبييضهم ثيابَهم مخالفةً للمُسَوِّدَة من أصحاب الدولة العباسية (الصحاح فصل الضاد باب الباء ج٣ ص١٠٦٨).

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص٨٠).

وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذ عن علي (عليه السلام). أما ابن عباس فظاهر، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: (لولا علي لهلك عمر)، وقوله: (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن). وقوله: (لا يفتيَنَّ أحد في المسجد وعلي حاضر).

فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه[1]. وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وآله:(أقضاكم علي)، والقضاء هو الفقه، فهو إذاً أفقههم. وروى الكل أيضاً أنه (عليه السلام) قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: (اللهم اهد قلبه وثبت لسانه) قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين[2]، وهو (عليه السلام) الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر(ذكر القرطبي في تفسيره ١٦: ١٩٣، عند الكلام على قوله تعالى: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً}[3] أن عثمان

---

١ - لاشك ولاريب عندنا في انتهاء الفقه والفقهاء إليه لأنه باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكن هل التزم الجميع بالأخذ عنه صلوات الله عليه وعملوا بذلك كما فعل الشيعة الإمامية الذين لايفتون إلا بما صدر عن أولاده عليهم السلام عنه (عليه السلام) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ إذاً لرأيت الناس أمة واحدة وهذا خلف.

٢ - نقله السيوطي في الجامع الصغير (١: ٥٨) عن مسند أبي يعلي، رواه أبو داود في كتاب الأقضية ٣: ٤٠٩ بسنده عن علي، ولفظه: بعثني رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم إلى اليمن قاضيا فقلت: يا رسول الله، ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء! فقال: "إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء"، قال: فما زلت قاضياً - أو ما شككت في قضاء بعد.

٣ - أحقاف (١٥).

قد أُتِي بامرأة ولدت لستة أشهر، فأراد أن يقضي عليها بالحد، فقال له علي رضي الله عنه: ليس ذلك عليها، قال الله تعالى: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً}، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية، وهو الذي قال في المنبرية: صار ثمنها تُسعاً. وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهة، واقتضبه ارتجالاً(سميت المنبرية، لأنه سئل عنها وهو على المنبر، فأفتى من غير روية، وبيانها أنه سئل في ابنتين وأبوين وامرأة، فقال: صار ثُمنها تُسعاً، قال أبو عبيد، أراد أن السهام عالت حتى صار للمرأة التسع، ولها في الأصل الثمن، وذلك أن الفريضة لو لم تعل كانت أربعة وعشرين، فلما عالت صارت من سبعة وعشرين، فللابنتين الثلثان: ستة عشر سهماً، وللأبوين السدسان، ثمانية أسهم، وللمرأة ثلاثة من سبع وعشرين، وهو التسع، وكان لها قبل العول ثلاثة من أربعة وعشرين، وهو الثمن[1]).

٣ - (علم تفسير القرآن):

ومن العلوم: علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرع. وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه. وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟

---

١ - وانظر النهاية لابن الأثير (ج٣ ص١٣٩)، واللسان (ج١٣ ص٥١٢)، وحاشية البقري على متن الرحبية (٣٤).

فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط. ومن العلوم: علم الطريقة والحقيقة، وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام، إليه ينتهون، وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي، والجنيد، وسري[1]، وأبو يزيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم. ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة[2] التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يسندونها بإسناد متصل إليه (عليه السلام)[3][4].

٤ - (علم النحو):

ومن العلوم: علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله، من جملتها الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف. ومن جملتها: تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع

---

١ - هو سري بن المغلس السقطي، خال الجنيد وأستاذه، وصاحب معروف الكرخي، وأول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال. مات سنة ٢٥١. " طبقات الصوفية للسلمي ص ٤٨".

٢ - فصل السهروردي في الباب الثاني عشر من كتابه عوارف المعارف " ٤: ١٩١ وما بعدها - على هامش الأحياء " الكلام في شرح خرقة المشايخ الصوفية ولبسها.

٣ - احتياج الكل إليه لاشك فيه لكن نسبة كل شيء إليه دون دليل (أي إرجاع كل مافعله الصوفية وأمثالهم كالخرقة وغيرها) غير صحيح ونحن لانسلم فيه.

٤ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص١٩).

والنصب والجر والجزم[1]، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

٥ ـ (أنه عليه السلام إمام على البديع):

وقد ذكر في الفصل الخامس من الجزء السادس (صفحة ٤٥١) بعد أن شرح خطبة له عليه السلام في صفة الأرض ودحوها على الماء:

وأصل الخطبة:(كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة، ولجج بحار زاخرة، تلتطم أواذي[2] أمواجها، وتصطفق متقاذفات أثباجها، وترغو زبدا كالفحول عند هياجها، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها، وسكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها، وذل مستخذياً إذ تمعكت عليه بكواهلها، فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجياً مقهوراً، وفي حكمة الذل منقاداً أسيراً، وسكنت الأرض مدحوة في لجة تياره، وردت من نخوة بأوه واعتلائه، وشموخ أنفه وسمو غلوائه، وكعمته على كظة جريته، فهمد بعد نزقاته، ولبد بعد زيفان وثباته. فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها، وحمل شواهق الجبال الشمخ البذخ على أكتافها، فجر ينابيع العيون من عرانين أنوفها، وفرقها في سهوب بيدها وأخاديدها، وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها، وذوات الشناخيب الصم من صياخيدها، فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع أديمها، وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها،

---

١ – معجم الأدباء (١٤: ٤٢ – ٥٠).

٢ – أواذيه: أمواجه، الواحد آذى (الصحاح ج٢ ص٧٣٣).

وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها، وفسَّح بين الجو وبينها، وأعد الهواء متنسماً لساكنها، وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها. ثم لم يدع جرز الأرض التي تقصر مياه العيون عن روابيها، ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها، حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تحي مواتها، وتستخرج نباتها. ألَّف غمامها بعد افتراق لمعه، وتباين قزعه، حتى إذا تمخضت لجة المزن فيه، والتمع برقه في كففه، ولم ينم وميضه في كنهور ربابه، ومتراكم سحابه، أرسله سحاً متداركاً، قد أسف هيدبه، يمريه الجنوب درر أهاضيبه، ودفع شآبيبه. فلما ألقت السحاب برك بوانيها، وبعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها، أخرج به من هوامد الأرض النبات، ومن زعر الجبال الأعشاب، فهي تبهج بزينة رياضها، وتزدهي بما ألبسته من ريط[1] أزاهيرها، وحلية ما سمطت به من ناضر أنوارها، وجعل ذلك بلاغاً للأنام، ورزقاً للأنعام، وخرق الفجاج في آفاقها، وأقام المنار للسالكين على جوادّ طرقها).

قال ابن أبي الحديد بعد شرح هذه الخطبة في بيان أنه (عليه السلام) إمام أرباب صناعة البديع: وذلك لأن هذا الفن لا يوجد منه في كلام غيره ممن تقدمه إلا ألفاظ يسيرة غير مقصودة، ولكنها وبالاتفاق كما وقع التجنيس في القرآن العزيز اتفاقاً غير مقصود، وذلك نحو قوله {**يَأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ**}[2]، وكما وقعت المقابلة أيضاً غير مقصودة في

---

١ - ريط: الرَّيْطةُ: المُلاءةُ إذا كانت قِطْعَةً واحدة ولم تكن لِفْقَيْنِ (الصحاح ج٣ ص١١٢٨).

٢ - سورة يوسف (٨٤).

قوله: {وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ}[1] على أنها ليست مقابلة في المعنى، بل من اللفظ خاصة. ولما تأمل العلماء شعر امرئ القيس ووجدوا فيه من الاستعارة بيتاً أو بيتين نحو قوله يصف الليل:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً ونآء بكلكل

وقوله:

وإن يك قد ساءتك مني خليقةٌ فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

ولم ينشدوا مثل ذلك في أشعار الجاهلية، حكموا له بأنه إمام الشعراء ورئيسهم. وهذا الفصل من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد اشتمل من الاستعارة العجيبة وغيرها من أبواب البديع على ما لو كان موجوداً في ديوان شاعر مكثر، أو مترسل مكثر لكان مستحقٌ التقديم بذلك، ألا تراه كيف وصف الأمواج بأنها مستفحلة، وأنها ترغو رغاء فحول الإبل. ثم جعل الماء جماحاً ثم وصفه بالخضوع، وحصل للأرض كلكلاً، وجعلها واطئة للماء به، ووصف الماء بالذل والاستخذاء، لما جعل الأرض متمعكة عليه كما يتمعك الحمار أو الفرس، وجعل لها كواهل، وجعل للذل حكمة، وجعل الماء في حكمة الذل منقاداً أسيراً، وساجياً مقهوراً. وجعل الماء قد كان ذا نخوة وبأو واعتلاء، فردته الأرض خاضعاً مسكيناً، وطأطأت من شموخ أنفه، وسمو غلوائه، وجعلها كاعمة له، وجعل الماء ذا كظة بامتلائه، كما تعترى الكظة المستكثر من الأكل. ثم جعله هامداً بعد أن كانت له

---

١ - سورة الرحمن (٨).

نزقات، ولابداً بعد أن كانت له وثبات، ثم جعل للأرض أكتافا وعرانين، وأنوفاً وحياشيم، ثم نفى النوم عن وميض البرق، وجعل الجنوب مارية درر السحاب، ثم جعل للسحاب صدراً وبوانا، ثم جعل الأرض مبتهجة مسرورة مزدهاة، وجعل لها ريطاً من لباس الزهور، وسموطاً تحلى بها. فيالله وللعجب! من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بعضه بعضاً لاشتماله على أمثال هذه الصنعة، فإذا وجدوا في مائة ورقة كلمتين أو ثلاثا منها، أقاموا القيامة، ونفخوا في الصور وملئوا الصحف بالاستحسان لذلك والاستظراف، ثم يمرون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على ألطف وجه، وأرصع وجه، وأرشق عبارة، وأدق معنى، وأحسن مقصد، ثم يحملهم الهوى والعصبية على السكوت عن تفضيله إذا أجملوا وأحسنوا، ولم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه. على أنه لا عجب، فإنه كلام علي (عليه السلام)، وحظ الكلام حظ المتكلم، وأشبه امرأ بعض بزه!

٦ ـ (أنه عليه السلام إمام الأئمة وحكيم العرب):

قال ابن أبي الحديد في الجزء الحادي عشر (صفحة:٤٨):

واعلم أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان مخصوصاً من دون الصحابة رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلو بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله لا يطلع أحدٌ من الناس على ما يدور بينهما وكان كثير السؤال للنبي صلى الله عليه وآله عن معاني القرآن وعن معاني كلامه صلى الله عليه وآله وإذا لم يسأل ابتدأه النبي صلى الله عليه وآله

بالتعليم والتثقيف ولم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله كذلك بل كانوا أقساماً فمنهم من يهاب أن يسأله وهم الذين يحبون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ فيسأله وهم يسمعون ومنهم من كان بليداً بعيد الفهم قليل الهمة في النظر والبحث ومنهم من كان مشغولا عن طلب العلم وفهم المعاني إما بعبادة أو دنيا ومنهم المقلد يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال ومنهم المبغض الشانئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه ويضاف إلى الأمر الخاص بعلي (عليه السلام) ذكاؤه وفطنته وطهارة طينته وإشراق نفسه وضوءها وإذا كان المحل قابلاً متهيئاً كان الفاعل المؤثر موجوداً والموانع مرتفعة حصل الأثر على أتم ما يمكن فلذلك كان علي (عليه السلام) كما قال الحسن البصري رباني هذه الأمة وذا فضلها ولذا تسميه الفلاسفة إمام الأئمة وحكيم العرب.

٢ ـ (أنه عليه السلام أقوى الناس):

وذكر ابن أبي الحديد قوة أمير المؤمنين عليه السلام وبيان ما اختصه الله على غيره من الخلق وكيف أن أمير المؤمنين عليه السلام سخر تلك النعمة في خدمة الدين ورضا رب العالمين قائلاً:

١ ـ (قوته البدنية):

(وأما القوة والأيد: فبه يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبه في "المعارف": ما صارع أحداً قط إلا صرعه. وهو الذي قلع باب خيبر،

واجتمع عليه عصبه من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جداً، وألقاه إلى الأرض. وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته (عليه السلام) بيده بعد عجز الجيش كله عنها، وأنبط الماء من تحتها.)[1]

(وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها.

---

١ - مستدرك سفينة البحار. الشيخ علي النمازي (ج ٩ ص ٤٩٨)

خرجنا مع أمير المؤمنين (عليه السلام) نريد صفين، فمررنا بكربلاء فقال: أتدرون أين هاهنا؟ والله مصارع الحسين وأصحابه. ثم سرنا يسيراً فانتهينا إلى راهب في صومعة وقد تقطع الناس من العطش، فشكوا ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وذلك أنه أخذ طريق البر وترك الفرات عياناً، فدنا من الراهب وهتف به، فأشرف من صومعته، فقال: يا راهب، هل قرب قائمك ماء؟ فقال: لا. فسار قليلاً، ثم نزل بموضع فيه رمل، فأمر الناس فنزلوا، وأمرهم أن يبحثوا ذلك الرمل. فأصابوا تحته صخرة بيضاء، فاقتلعها أمير المؤمنين (عليه السلام) بيده ودحاها، وإذا تحتها ماء أرق من الزلال وأعذب من كل ماء. فشربوا وارتووا وحملوا منه. ورد الصخرة والرمل كما كان. قال: فسرنا قليلاً وقد علم كل واحد من الناس مكان العين، فقال أمير المؤمنين: بحقي عليكم إلا رجعتم إلى موضع العين فنظرتم هل تقدرون عليها؟ فرجع الناس يقفون الأثر إلى موضع الرمل. فبحثوا ذلك الرمل فلم يصيبوا العين، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لا والله ما أصبناها ولا ندري أين هي. قال: فأقبل الراهب فقال: أشهد يا أمير المؤمنين أن أبي أخبرني عن جدي - وكان من حواري عيسى - أنه قال: إن تحت هذا الرمل عيناً من ماء أبيض من الثلج وأعذب من كل ماء عذب، لا يقع عليه إلا نبي أو وصي نبي، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك وصي رسول الله وخليفته والمؤدي عنه، وقد رأيت أن أصحبك في سفرك هذا فيصيبني ما أصابك من خير وشر، فقال له: خيراً، ودعا له بخير. وقال (عليه السلام): يا راهب، ألزمني وكن قريباً مني ففعل، فلما كان ليلة الهرير والتقى الجمعان واضطرب الناس فيما بينهم، قتل الراهب. فلما أصبح أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لأصحابه: إنهضوا بنا فادفنوا قتلاكم، وأقبل أمير المؤمنين يطلب الراهب حتى وجده فصلى عليه ودفنه بيده في لحده، ثم قال والله لكأني أنظر إليه وإلى منزله وزوجته التي أكرمه الله بها.

٢ - (شجاعته عليه السلام):

وأما الشجاعة: فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث "كانت ضرباته وتراً"، ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم! أ تأمرني بمبارزه أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي (وانتبه يوماً معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت، فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر، قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب! قال: لا جرم إنه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة، يطلب من يقتله بها)! وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه (عليه السلام) قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبداً ما دمت في الأبد

وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي، وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها.)[1]

وذكر أيضاً[2] في غير هذا الموضع(أنه سُمِعَ من السماء يوم أُحد: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي).

٣ ـ (أنه عليه السلام سيد المجاهدين):

وأما الجهاد في سبيل الله: فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين، وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له! وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وأشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى، قتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر. وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك، دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما، وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه، لأنه من المعلومات الضرورية، كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما.

٤ ـ (سخاؤه عليه السلام):

وأما السخاء والجود: فحاله فيه ظاهرة، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وفيه أُنزلَ {**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً**

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص٢٠).

٢ – أي أبو الحديد

وَأَسِيراً ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلاَ شُكُوراً}[1] وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فأنزل فيه {ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً}[2].

وروي عنه أنه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة، حتى مجلت[3] يده، ويتصدق بالأجرة، ويشد على بطنه حجراً.

وقال الشعبي وقد ذكره (عليه السلام): كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود، ما قال: "لا" لسائل قط. وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبي لمّا قال له: جئتك من عند أبخل الناس، فقال: "ويحك"! كيف تقول إنه أبخل الناس، لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه. وهو الذي كان يكنس بيوتَ الأموال ويصلي فيها، وهو الذي قال: يا صفراء، ويا بيضاء، غري غيري. وهو الذي لم يُخلّف ميراثاً، وكانت الدنيا كلها بيده إلا ماكان من الشام.

---

١ - سورة الإنسان (٩، ١٠).

٢ - سورة البقرة (٢٧٤)، انظر أسباب النزول للواحدي (٥٨)، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني (ج١ ص١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧). وتفسير الثعالبي (ج١ ص٥٣٤).

٣ - مجلت يده تمجل مجلا، أي تنفطت من العمل. ويقال أيضاً مجلت يده بالكسر مجلاً (الصحاح ج٥ ص١٨١٦). ومنه حديث فاطمة (عليها السلام)، أنها شكت إلى علي مجل يديها من الطحن.

٥ ـ (أنه ﷺ أحلم الناس):

وأما الحلم والصفح: فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل، حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له، وأشدهم بغضاً فصفح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: (قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب) وكان علي (عليه السلام) يقول: ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شب عبد الله فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينك، لم يزده على ذلك. وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة، وكان له عدواً، فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً. وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم، وقلدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، وتأففت وقالت: هتك سترى برجاله وجنده الذين وكلهم بي فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن، وقلن لها: إنما نحن نسوة. وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يتبع مولٍ، ولا يجهز على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن. ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبي ذراريهم، ولا غنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك

لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو وتقيل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تسن. ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم علي (عليه السلام) وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان، فلما رأى (عليه السلام) أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة، لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين، كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجه لك إلى الحرب، فقال: لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم، أفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك. فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسنا، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأحلق بمثلها أن تصدر عن مثله (عليه السلام)!.

٦ ـ (أنه عليه السلام إمام الفصحاء):

وأما الفصاحة: فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين. ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين

خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت. وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كتراً لا يزيده الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب. ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية: جئتك من عند أعيا الناس، قال له: "ويحك"! كيف يكون أعيا الناس! فو الله ما سن الفصاحة لقريش غيره، ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة، ولا يبارى في البلاغة. وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر، ولا نصف العشر مما دون له، وكفاك في هذا الباب مايقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب "البيان والتبيين" وفي غيره من كتبه.

وقال[1]: في موضع آخر مقايساً بين خطب ابن نباتة وأمير المؤمنين عليه السلام:

وأما باقي خطبة ابن نباتة فمسروق من خطب لأمير المؤمنين عليه السلام أخر، سيأتي ذكرها. واعلم أني أضرب لك مثلاً تتخذه دستوراً في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وكلام الكتاب والخطباء بعده كابن نباتة والصابيء وغيرهما، انظر نسبة شعر أبي تمام والبحتري وأبي نؤاس ومسلم، إلى شعر امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى، هل إذا تأملت أشعار هؤلاء وأشعار هؤلاء، تجد نفسك حاكمة بتساوي القبيلين أو بتفضيل أبي نؤاس وأصحابه عليهم؟ ما أظن أن ذلك مما تقوله أنت ولا قاله غيرك، ولا يقوله إلا من لا يعرف علم البيان،

---

١ – أي أبو الحديد

وماهية الفصاحة، وكنه البلاغة، وفضيلة المطبوع على المصنوع، ومزية المتقدم على المتأخر، فإذا أقررت من نفسك بالفرق والفضل، وعرفت فضل الفاضل، ونقص الناقص، فاعلم أن نسبة كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هؤلاء هذه النسبة، بل أظهر، لأنك تجد في شعر امرئ القيس وأصحابه من التعجرف والكلام الوحشي، واللفظ الغريب المستكره شيئاً كثيراً، ولا تجد من ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، وأكثر فساد الكلام ونزوله إنما هو باستعمال ذلك. فإن شئت أن تزداد استبصاراً، فانظر القرآن العزيز - واعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه في أعلى طبقات الفصاحة - وتأمله تأملاً شافياً، وانظر إلى ما خص به من مزية الفصاحة والبعد عن التقعير[1] والتقعيب[2] والكلام الوحشي الغريب، وانظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام فإنك تجده مشتقاً من ألفاظه، ومقتضباً من معانيه ومذاهبه، ومحذواً به حذوه، ومسلوكاً به في منهاجه، فهو وإن لم يكن نظيراً ولا نداً يصلح أن يقال إنه ليس بعده كلام أفصح منه ولا أجزل، ولا أعلى ولا أفخم ولا أنبل، إلا أن يكون كلام ابن عمه صلى الله عليه وآله وهذا أمر لا يعلمه إلا من ثبتت له قدم راسخة في علم هذه الصناعة[3]، وليس كل الناس يصلح لانتقاد

---

١ - والتقعيرُ: التعميق. و التَّقْعير في الكلام: التَّشَدُّق فيه (الصحاح ج٢ ص٦٧٥).

٢ - التَّقْعِيبُ في الكلام: كالتَّقْعِير.

٣ - يقصد علم البلاغة

الجوهر، بل ولا لانتقاد الذهب، ولكل صناعة أهلٌ، ولكل عملٍ رجالٌ[1].

ولعل عائباً يعيب علينا فيقول: شرعتم في المقايسة والموازنة بين كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبين كلام ابن نباتة، وهل هذا إلا بمنزلة قول من يقول: السيف أمضى من العصا، وفي هذه غضاضة على السيف! فنقول: إنه قد اشتملت كتب المتكلمين على المقايسة بين كلام الله تعالى وبين كلام البشر، ليبينوا فضل القرآن وزيادة فصاحته على فصاحة كلام العرب، نحو مقايستهم بين قوله تعالى: {**وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ**}[2] وبين قول القائل: " القتل أنفى للقتل " ونحو مقايستهم بين قوله تعالى: {**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ**}[3] وبين قول الشاعر:

فإن عرضوا بالشر فاصفح تكرما وإن كتموا عنك الحديث فلا تسل

ونحو إيرادهم كلام مسيلمة، وأحمد بن سليمان المعري، وعبد الله بن المقفع، فصلاً فصلاً، والموازنة والمقايسة بين ذلك وبين القرآن المجيد، وإيضاح أنه لا يبلغ ذلك إلى درجة. القرآن العزيز، ولا يقاربها، فليس بمستنكر منا أن نذكر كلام ابن نباتة في معرض إيرادنا كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لتظهر فضيلة كلامه (عليه السلام)، بالنسبة إلى هذا الخطيب الفاضل، الذي قد اتفق الناس على أنه أوحد عصره

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٢ ص٨٠).

٢ - سورة البقرة (١٧٩).

٣ - سورة الأعراف (١٩٩).

في فنه. واعلم أنّا لا ننكر فضل ابن نباتة وحسن أكثر خطبه، ولكن قوماً من أهل العصبية والعناد، يزعمون أن كلامه يساوي كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ويماثله، وقد ناظر بعضهم في ذلك، فأحببت أن أبين للناس في هذا الكتاب أنه لا نسبة لكلامه إلى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأنه بمنزلة شعر الأبله وابن المعلم بالإضافة إلى زهير والنابغة. واعلم أن معرفة الفصيح والأفصح، والرشيق والأرشق، والحلو والأحلى، والعالي والأعلى من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه، وهو بمنزلة جاريتين: إحداهما بيضاء مشربة حمرة دقيقة الشفتين، نقية الثغر، كحلاء العينين، أسيلة الخد، دقيقة الأنف، معتدلة القامة، والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن، لكنها أحلى في العيون والقلوب منها، وأليق وأصلح، ولا يدرى لأي سبب كان ذلك، ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف، ولا يمكن تعليله، وهكذا الكلام، نعم يبقى الفرق بين الموضعين. إن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة، وأما الكلام فلا يعرفه إلا أهل الذوق، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا[1] أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر، وصارت لهم بذلك دربة

---

١ - يقال أراضَ الحوضُ: شربوا حتى أراضوا أي رووا فنقعوا بالري (الصحاح ج٣ ص١٠٨١).

وملكة تامة، فإلى أولئك ينبغي أن ترجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض، إن كنت عادماً لذلك من نفسك[1].

وقد ذكر في الجزء السادس (صفحة ٢٧٧):

أن أستاذه أبو عثمان قال:حدثني ثمامة، قال: سمعت جعفر بن يحيى، وكان من أبلغ الناس وأفصحهم، يقول: الكتابة ضم اللفظة إلى أختها، ألم تسمعوا قول شاعر لشاعر، وقد تفاخرا: أنا أشعر منك لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه! ثم قال: وناهيك حُسناً بقول علي بن أبي طالب (عليه السلام): (هل من مناص أو خلاص، أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار). قال أبو عثمان: وكان جعفر يعجب أيضاً بقول علي (عليه السلام): أين من جد واجتهد، وجمع واحتشد، وبنى فشيد، وفرش فمهد، وزخرف فنجد، قال: ألا ترى أن كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها، جاذبة إياها إلى نفسها، دالة عليها بذاتها! قال أبو عثمان: فكان جعفر يسميه فصيح قريش.

واعلم أننا لا يتخالجنا الشك في أنه (عليه السلام) أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين، إلا من كلام الله سبحانه، وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لأن فضيلة الخطيب والكاتب في خطابته وكتابته تعتمد على أمرين هما: مفردات الألفاظ ومركباتها. أما المفردات فأن تكون سهلة سلسة غير وحشية ولا معقدة، وألفاظه (عليه السلام) كلها كذلك، فأما المركبات فحسن

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٧ ص٢١٥).

المعنى وسرعة وصوله إلى الأفهام، واشتماله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض، وتلك الصفات هي الصناعة التي سماها المتأخرون البديع، من المقابلة، والمطابقة، وحسن التقسيم، ورد آخر الكلام على صدره، والترصيع، والتسهيم، والتوشيح، والمماثلة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة، والتكافؤ، والتسميط، والمشاكلة. ولا شبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطبه وكتبه، مبثوثة متفرقة في فرش كلامه (عليه السلام)، وليس يوجد هذان الأمران في كلام أحد غيره، فإن كان قد تعلمها وأفكر فيها، وأعمل رويته في رصفها[1] ونثرها، فلقد أتى بالعجب العجاب، ووجب أن يكون إمام الناس كلهم في ذلك، لأنه ابتكره ولم يعرف من قبله، وإن كان اقتضبها ابتداء، وفاضت على لسانه مرتجلة، وجاش بها طبعه بديهة، من غير روية ولا اعتمال، فأعجب وأعجب! وعلى كلا الأمرين فلقد جاء مجلياً[2] والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره. وبحق ما قال معاوية لمحفن الضبي، لما قال له: جئتك من عند أعيا الناس: يابن اللخناء[3] ألعلي تقول هذا؟ وهل سن الفصاحة لقريش غيره! واعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب،

---

١ – الرصف بالتحريك: وحدة الرصف، وهي حجارة مرصوف بعضها إلى بعض. (الصحاح ج٤ ص١٣٦٥).

٢ – الجلي: نقيض الخفي، والجلاء بالفتح والمد: الأمر الجلي (الصحاح ج٦ ص٢٣٠٣).

٣ – لخن السقاء بالكسر لخنا، أي أنتن. ومنه قولهم أمة لخناء، ويقال للخناء التي لم تختن (الصحاح ج٦ ص٢١٩٤).

وصاحبه منسوب إلى السفه، وليس جاحد الأمور المعلومة علماً ضرورياً بأشد سفهاً ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها.

ثالثاً ـ (أخلاقه عليه السلام):

وأما سجاحة الأخلاق، وبشر الوجه، وطلاقة المحيا، والتبسم: فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه، قال عمرو بن العاص لأهل الشام: أنه ذو دعابة شديدة. وقال علي (عليه السلام) في ذلك: عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن فيَّ دعابة، وأني امرؤ تلعابة[1]، أعافس وأمارس[2]! وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله له لما عزم على استخلافه: لله أبوك لولا دعابة فيك! إلا أن عمر اقتصر عليها، وعمرو زاد فيها وسمجها. قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: كان فينا كأحدنا، لينُ جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه. وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن، فلقد كان هشاً بشاً، ذا فكاهة، قال قيس: نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويتبسم إلى أصحابه، وأراك تسر حسواً في ارتغاء[3]، وتعيبه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة

---

١ – التلعابة، رجل تلعابة كثير اللعب والتلعاب (الصحاح ج١ ص٢١٩).

٢ – المعافسة: المعالجة وفي الحديث وعافسنا النساء (الصحاح ج٣ ص٩٥١). فالمعافسة والممارسة تعني ملاعبة النساء.

٣ – في المثل: " هو يسر حسوا في ارتغاء "، يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره (الصحاح ج٦ ص٢٣٦٠).

أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى، تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طغام أهل الشام!. وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلاً في محبيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك.

وقد ذكر ابن أبي الحديد في مكان آخر ما نصه:(ولم يكن جِدٌّ أعظم من جِدِّه، ولا وقار أتم من وقاره، وما هزل قط ولا لعب، ولا فارق الحق والناموس الديني سرًا ولا جهراً، وكيف يكون هازلاً، ومن كلامه المشهور عنه:(ما مزح امرؤ مزحة إلا ومج معها من عقله مجة)! ولكنه خلق على سجية لطيفة وأخلاق سهلة، ووجه طلق، وقول حسن، وبشر ظاهر، وذلك من فضائله (عليه السلام)، خصائصه التي منحه الله بشرفها، واختصه بمزيتها، وإنما كانت غلظته وفظاظته فعلاً لا قولاً، وضرباً بالسيف لا جبهاً بالقول، وطعناً بالسنان لا عضهاً[1] باللسان، كما قال الشاعر:

وتسفه أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال،لا بالتكلم[2]

وذكر في الجزء الثالث (صفحة٢٠٣):

أنه جاء علي (عليه السلام) حتى مر بالأنبار، فاستقبله بنو خشنوسك[3]، دهاقينها.

---

١ – عضهه عضها: رماه بالبهتان (الصحاح ج٦ ص٢٢٤١).

٢ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٦ ص٣٣٧).

٣ – في الأصول (خشوش)، وما أثبته من كتاب صفين.

قال نصر: الكلمة فارسية، أصلها (خش) أي الطيب[1]. قال: فلما استقبلوه، نزلوا عن خيولهم، ثم جاءوا يشتدون معه، وبين يديه ومعهم براذين قد أوقفوها في طريقه، فقال: ما هذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء، وأما هذه البراذين فهدية لك، وقد صنعنا للمسلمين طعاماً، وهيأنا لدوابكم علفاً كثيراً. فقال (عليه السلام): أما هذا الذي زعمتم أنه فيكم خلق تعظمون به الأمراء فو الله ما ينفع ذلك الأمراء، وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم: فلا تعودوا له. وأما دوابكم هذه، فإن أحببتم أن آخذها منكم، وأحسبها لكم من خراجكم أخذناها منكم. وأما طعامكم الذي صنعتم لنا، فإنا نكره أن نأكل من أموالكم إلا بثمن. قالوا: يا أمير المؤمنين، نحن نقومه ثم نقبل ثمنه، قال: إذاً لا تقومونه قيمته، نحن نكتفي بما هو دونه. قالوا: يا أمير المؤمنين، فإن لنا من العرب موالي ومعارف، أتمنعنا أن نهدي لهم أو تمنعهم أن يقبلوا منا؟ فقال: كل العرب لكم موال، وليس ينبغي لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم، وإن غصبكم أحد فأعلمونا. قالوا: يا أمير المؤمنين، إنا نحب أن تقبل هديتنا وكرامتنا. قال: ويحكم! فنحن أغنى منكم. وتركهم وسار.

---

١ - العبارة كما في كتاب صفين: (قال سليمان: خش: طيب. نوشك: راض، يعني بني الطيب الراضي، بالفارسية).

١ ـ (أنه ﷺ أزهد الناس)

وأما الزهد في الدنيا: فهو سيد الزهاد، وبدل الأبدال، وإليه تشد الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قط. وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً، قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جراباً[١] مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت. وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة، وليف أخرى، ونعلاه من ليف. وكان يلبس الكرباس[٢] الغليظ، فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة، ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدىً لا لحمة له، وكان يأتدم إذا ائتدم بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً، ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان. وكان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم أيداً، لا ينقض الجوع قوته، ولا يخون[٣] الإقلال مُنَّته[٤]. وهو الذي طلق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام، فكان يفرقها ويمزقها، ثم يقول:

---

١ – الجراب: وعاء من إهاب الشاة(ه) لا يوعى فيه إلا يابس.والجراب معروف: الوعاء. والعامة تفتحه، والجمع أجربة وجُرب وجرب (الصحاح ج١ ص٩٨).

٢ – الكرباس فارسي معرب بكسر الكاف والكرباس أخص منه والجمع الكرابيس وهي ثياب خشنة (الصحاح ج٣ ص٩٧٠).

٣ – يخون: ينقص، التخون التنقص (الصحاح ج٥ ص٢١٠٩).

٤ – المُنَّة بالضم: القوة (الصحاح ج٦ ص٢٢٠٧).

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه[1]

ولقد ولّي الخلافة، وأتته الأموال، فما كان حلواه إلا التمر، ولا ثيابه إلا الكرابيس. وروى العوّام بن حوشب، عن أبي صادق، قال: تزوج علي (عليه السلام) ليلى بنت مسعود النهشلية، فضربت له في داره حجلة، فجاء فهتكها، وقال: حسب أهل علي ما هم فيه! وروى حاتم بن إسماعيل المدني، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: ابتاع علي (عليه السلام) في خلافته قميصاً سملاً[2] بأربعة دراهم، ثم دعا الخياط، فمد كم القميص، وأمره بقطع ما جاوز الأصابع. وإنما ذكرنا هذه الأخبار والروايات - وإن كانت خارجة عن مقصد الفصل - لأن الحال اقتضى ذكرها، من حيث أردنا أن نبين أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن يذهب في خلافته مذهب الملوك الذين يصانعون بالأموال ويصرفونها في مصالح ملكهم وملاذّ أنفسهم، وأنه لم يكن من أهل الدنيا، وإنما كان رجلاً متألها صاحب حق، لا يريد بالله ورسوله بدلا.

ثم قال ابن أبي الحديد: وجاء في أخبار علي (عليه السلام) التي ذكرها أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله وهو روايتي عن

---

١ - البيت أنشده عمرو بن عدي حين كان غلاماً، وكان يخرج مع الخدم يجتنون للملك (جذيمة الأبرش) الكمأة، فكانوا إذا وجدوا كمأة خياراً أكلوها وأتوا بالباقي إلى الملك وكان عمرو لا يأكل منه، ويأتي به كما هو وينشد البيت. انظر القاموس (ج٣ ص٢٥٩). وحديث علي ورد مفصلاً في حلية الأولياء (ج١ ص٨١).

٢ - السمل: الخلق من الثياب (الصحاح ج٥ ص١٧٣٢).

قريش بن السبيع بن المهنا العلوي، عن نقيب الطالبيين أبي عبد الله أحمد بن علي بن المعمر، عن المبارك بن عبد الجبار أحمد بن القاسم الصيرفي المعروف بابن الطيوري عن محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف المزني، عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان ابن مالك القطيعي، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه أبي عبد الله أحمد رحمه الله قال: قيل لعلي (عليه السلام): يا أمير المؤمنين، لم ترقّع قميصك؟ قال: ليخشع القلب ويقتدي بي المؤمنون. وروى أحمد رحمه الله أن علياً كان يطوف الأسواق مؤتزراً بإزار، مرتدياً برداء، ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي، فطاف مرة حتى بلغ سوق الكرابيس، فقال لواحد: يا شيخ بعني قميصاً تكون قيمته ثلاثة دراهم، فلما عرفه الشيخ لم يشتر منه شيئاً، ثم أتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً، فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، فلما جاء أبو الغلام، أخبره، فأخذ درهماً. ثم جاء إلى علي (عليه السلام) ليدفعه إليه، فقال له: ما هذا؟ أو قال ما شابه هذا، فقال: يا مولاي، إن القميص الذي باعك ابني كان يساوي درهمين، فلم يأخذ الدرهم، وقال: باعني رضاي وأخذ رضاه. وروى أحمد رحمه الله عن أبي النوار بائع الخام بالكوفة. قال: جاءني علي بن أبي طالب إلى السوق، ومعه غلام له وهو خليفة، فاشترى مني قميصين، وقال لغلامه: اختر أيهما شئت، فأخذ أحدهما، وأخذ علي الآخر، ثم لبسه ومد يده، فوجد كمه فاضلة، فقال: اقطع الفاضل. فقطعته، ثم كفه وذهب.

وروى أحمد رحمه الله عن الصمال بن عمير، قال: رأيت قميص علي (عليه السلام) الذي أصيب فيه، وهو كرابيس سبيلاني[1] ورأيت دمه قد سال عليه كالدردي[2]. وروى أحمد رحمه الله قال: لما أرسل عثمان إلى علي (عليه السلام)، وجده مؤتزراً بعباءة، محتجزاً بعقال، وهو يهنأ[3] بعيراً له. والأخبار في هذا المعنى كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية[4].

٢ ـ (أنه عليه السلام أعبد الناس):

وأما العبادة: فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع[5] بين الصفين ليلة الهرير، فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه[6] يميناً وشمالا، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده. وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه

---

١ – وسبيلاني: لعلها منسوبة إلى سبيلة. بنو سبيلة وهي قبيلة (القاموس المحيط ج٣ ص٣٩٣).

٢ – الدردى: ما رسب من الزيت في أسفل الإناء. دردي الزيت وغيره ما يبقى في أسفله (الصحاح ج٢ ص٤٧٠).

٣ – صوفة يهنأ بها البعير تزيل عنه المشقة (الصحاح ج٤ ص١٦٤٩).

٤ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٩ ص٢٣٥).

٥ – النطع، بالكسر وبالفتح وبالتحريك بساط من الأدم. وفيه أربع لغات نَطَع ونُطْع ونُطَع ونِطْع (الصحاح ج٣ ص١٢٩١).

٦ – الصِّماخ: خرق الأُذن، ويقال هو الأذن نفسها (الصحاح ج١ ص٤٢٦).

وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته والاستحذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت!. وقيل لعلي بن الحسين (عليه السلام) وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وأما قراءته القرآن واشتغاله به: فهو المنظور إليه في هذا الباب.

٣ ـ (أنه عليه السلام أول من جمع القرآن وحفظه):

اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة[1]، بل يقولون: تشاغل بجمع القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن، لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله. وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه، كأبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي

---

١ – لاشك في أنه عليه السلام أول من جمع القرآن لأنه وصي النبي صلى الله عليه وآله وخليفته بالنص القرآني والنبوي الصريح وهي مسؤليته عليه السلام وأما قضية تخلفه عن البيعة فهي أمر بديهي قد بينه التأريخ ومن أراد أن يتبين فليراجع كتاب الإمامة وأهل البيت لمحمد بيومي وكتاب السقيفة للمظفر والغدير للعلامة الأميني للتحقق من صحة قول الإمامية في أنه تخلف عن البيعة ولم يبايع أولاً وآخراً وأنهم لم ينفردوا بهذا القول لوحدهم.

النحود وغيرهما، لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً، مثل كثير مما سبق.

٤ ـ (أنه عليه السلام أكثر الخلق اقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله):

وقال ابن أبي الحديد في الجزء الثاني صفحة ١٩٧:

روى علي بن محمد بن أبي سيف المدائني، عن فضيل بن الجعد، قال: آكد الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أمر المال، فإنه لم يكن يفضل شريفاً على مشروف ولا عربياً على عجمي، ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل، كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه. وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية: فشكا علي (عليه السلام) إلى الأشتر تخاذل أصحابه، وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين، إنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة، ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد، وتعادوا وضعفت النية، وقل العدد، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عُمُّوا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقلّ من ليس

للدنيا بصاحب، وأكثرهم يجتوي[1] الحق ويشتري الباطل، ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الرجال، وتُصْنِفُ نصيحتهم لك، وتستخلص ودهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين! وكبت أعداءك، وفض جمعهم، وأوهن كيدهم، وشتت أمورهم، إنه بما يعملون خبير.

فقال علي (عليه السلام): أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل، فإن الله عز وجل يقول: {مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}[2] وأنا من أن أكون مقصراً فيما ذكرت أخوف. وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم كان قد فارقوها، وليسألن يوم القيامة: أللدنيا أرادوا أم لله عملوا؟ وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال، فإنه لا يسعنا أن نؤتي امرأً من الفيء أكثر من حقه، وقد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ}[3] وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وحده، فكثره بعد القلة، وأعز فئته بعد الذلة، وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه[4]، وأنا قابل من رأيك ما

---

١ – والجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق وحزن. تقول منه: جوى الرجل بالكسر فهو جو (الصحاح ج٦ ص٢٣٠٦).

٢ – سورة فصلت (٤٦).

٣ – سورة البقرة (٢٤٩).

٤ – والحزن: ما غلظ من الأرض. وفيها حزونة (الصحاح ج٥ ص٢٠٩٨).

كان لله عز وجل رضا، وأنت من آمن الناس عندي، وأنصحهم لي، وأوثقهم في نفسي إن شاء الله.

وذكر الشعبي، قال: دخلت الرحبة بالكوفة - وأنا غلام - في غلمان، فإذا أنا بعلي (عليه السلام) قائماً على صبرتين[1] من ذهب وفضة، ومعه مخفقة[2]، وهو يطرد الناس بمخفقته ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس، حتى لم يبق منه شيء، ثم انصرف ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً. فرجعت إلى أبي، فقلت له: لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحمق الناس. قال: من هو يا بني، قلت: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، رأيته يصنع كذا، فقصصت عليه، فبكى، وقال: يا بني بل رأيت خير الناس.

وروى محمد بن فضيل عن هارون بن عنترة، عن زاذان، قال: انطلقت مع قنبر غلام علي (عليه السلام)، فإذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين، فقد خبأت لك خبيئاً، قال: وما هو، ويحك! قال: قم معي، فانطلق به إلى بيته، وإذا بغرارة[3] مملوءة من جامات[4] ذهباً وفضة، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسمته، فادخرت لك هذا من بيت المال، فقال علي (عليه السلام): ويحك يا قنبر! لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة. ثم سل سيفه وضربه ضربات

---

١ - الصبرة، بالضم: ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن (الصحاح ج ٢ ص٧٠٧).

٢ - والمخفقة الدرة التي يضرب بها (الصحاح ج٤ ص١٤٦٩).

٣ - الغِرارةُ واحدة الغَرائر التي للتِّبن (الصحاح ج٢ ص٧٦٩).

٤ - والجام إناء من فضة جمعها جامات (لسان العرب ج١٢ ص١١٢).

كثيرة، فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه، وآخر ثلثه، ونحو ذلك، ثم دعا بالناس، فقال: اقسموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبراً ومسال، فقال: ولتقسموا هذا، فقالوا: لا حاجة لنا فيه، وقد كان علي (عليه السلام) يأخذ من كل عامل مما يعمل. فضحك، وقال: ليؤخذن شره مع خيره.

وروى عبد الرحمن بن عجلان، قال: كان علي (عليه السلام) يقسم بين الناس الأبزار والحرف[1] والكمون، وكذا وكذا. وروى مجمع التيمي، قال: كان علي (عليه السلام) يكنس بيت المال كل جمعة، ويصلي فيه ركعتين، ويقول: ليشهد لي يوم القيامة. وروى بكر بن عيسى عن عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه، قال: شهدت علياً (عليه السلام) وقد جاءه مال من الجبل، فقام وقمنا معه، وجاء الناس يزدحمون، فأخذ حبالاً فوصلها بيده، وعقد بعضها إلى بعض، ثم أدارها حول المال، وقال: لا أحل لأحد أن يجاوز هذا الحبل، قال: فقعد الناس كلهم من وراء الحبل، ودخل هو، فقال: أين رؤوس الأسباع؟ وكانت الكوفة يومئذ أسباعاً - فجعلوا يحملون هذه الجوالق[2] إلى هذه الجوالق، وهذا إلى هذا، حتى استوت القسمة سبعة أجزاء، ووجد مع المتاع رغيف، فقال: اكسروه سبع كسر، وضعوا على كل جزء كسرة، ثم قال:

---

١ - الحرف: الخردل (الصحاح ج١ ص٣٩).

٢ - الجُوالِقُ: وعاء والجمع الجوالق (الصحاح ج٤ ص١٤٥٤).

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

ثم أقرع عليها ودفعها إلى رؤوس الأسباع، فجعل كل رجل منهم يدعو قومه فيحملون الجواليق.

وروى مجمع، عن أبي رجاء، قال: أخرج علي (عليه السلام) سيفاً إلى السوق، فقال: من يشتري مني هذا؟ فو الذي نفس علي بيده، لو كان عندي ثمن إزار ما بعته، فقلت له: أنا أبيعك إزاراً وأنسئك[1] ثمنه إلى عطائك، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه، فلما قبض عطاءه دفع إلي ثمن الإزار.

وروى هارون بن سعيد، قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي (عليه السلام): يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة! فو الله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي، فقال: لا والله ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك. وروى بكر بن عيسى، قال: كان علي (عليه السلام) يقول: يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي، ورحلي وغلامي فلان، فأنا خائن. فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد[2] بالزيت.

وروى أبو إسحاق الهمداني أن امرأتين أتتا علياً (عليه السلام): إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فسألتاه، فدفع إليهما دراهم

---

١ - النسئ: هو فعيل بمعنى مفعول من قولك: نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته (الصحاح ج١ ص٧٧).

٢ - ثردت الخبز ثردا: كسرته، فهو ثريد ومثرود (الصحاح ج٢ ص٤٥١).

وطعاماً بالسواء، فقالت إحداهما إني امرأة من العرب، وهذه من العجم، فقال: إني والله لا أجد في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق.

وروى معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: ما اعتلج[1] على علي (عليه السلام) أمران في ذات الله، إلا أخذ بأشدهما، ولقد علمتم أنه كان يأكل - يا أهل الكوفة - عندكم من ماله بالمدينة، وإن كان ليأخذ السويق[2] فيجعله في جراب[3]، ويختم عليه مخافة أن يزاد عليه من غيره. ومن كان أزهد في الدنيا من علي (عليه السلام)! وروى النضر بن منصور، عن عقبة بن علقمة، قال: دخلت على علي (عليه السلام)، فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته، وكسر يابسة، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا! فقال لي: يا أبا الجنوب، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فإن أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألا ألحق به. وروى عمران بن مسلمة، عن سويد بن علقمة، قال: دخلت على علي (عليه السلام) بالكوفة، فإذا بين يديه قعب[4] لبن أجد ريحه من شدة حموضته، وفي يده رغيف، ترى قشار الشعير على وجهه، وهو يكسره، ويستعين أحياناً بركبته، وإذا جاريته فضة قائمة على

---

١ - امتعلج: أي غلظ. وعلجت الشيء معالجة وعلاجاً، إذا زاولته (الصحاح ج١ ص٣٣٠).

٢ - والسويق: جشيش، حششته دققته وكسرته (الصحاح ج٣ ص٩٩٨) خليط من الحنطة والشعير مدقوق غير مطحون.

٣ - الجراب: وعاء من إهاب الشاة(ه) لا يوعى فيه إلا يابس.والجراب معروف: الوعاء. والعامة تفتحه، والجمع أجربة وجُرب وجرب (الصحاح ج١ ص٩٨).

٤ - القعب: قدح من خشب مقعر (الصحاح ج١ ص٢٠٤).

رأسه، فقلت: يا فضة، أما تتقون الله في هذا الشيخ! ألا نخلتم دقيقه؟ فقالت: إنا نكره أن نؤجر ويأثم، نحن قد أخذ علينا ألا ننخل له دقيقاً ما صحبناه - قال: وعلي (عليه السلام) لا يسمع ما تقول، فالتفت إليها فقال: ما تقولين؟ قالت: سله، فقال لي: ما قلت لها؟ قال: فقلت إني قلت لها: لو نخلتم دقيقه! فبكى، ثم قال: بأبي وأمي من لم يشبع ثلاثاً متوالية (من) خبز بر[1] حتى فارق الدنيا، ولم ينخل دقيقه، قال: يعني رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى يوسف بن يعقوب، عن صالح بياع الأكسية، أن جدته لقيت علياً (عليه السلام) بالكوفة، ومعه تمر يحمله، فسلمت عليه، وقالت له: أعطني يا أمير المؤمنين هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك، فقال: أبو العيال أحق بحمله. قالت: ثم قال لي: ألا تأكلين منه؟ فقلت: لا أريد، قالت: فانطلق به إلى منزله ثم رجع مرتدياً بتلك الشملة، وفيها قشور التمر، فصلى بالناس فيها الجمعة. وروى محمد بن فضيل بن غزوان، قال: قيل لعلي (عليه السلام): كم تتصدق! كم تخرج مالك! ألا تمسك! قال: إني والله لو أعلم أن الله تعالى قبل مني فرضاً واحداً لأمسكت، ولكني والله ما أدري: أ قبل مني سبحانه شيئاً أم لا! روى عنبسة العابد عن عبد الله بن الحسين بن الحسن، قال: أعتق علي (عليه السلام) في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ألف مملوك مما مجلت[2] يداه، وعرق جبينه،

---

١ - البر: القمح (الصحاح ج١ ص٣٩٧).

٢ - مجلت يده: أي تنفطت من العمل (الصحاح ج٥ ص١٨١٦).

وروى علي بن محمد بن أبي سيف المدائني أن طائفة من أصحاب علي (عليه السلام) مشوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين: أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، واستمل من تخاف خلافه من الناس وفراره، وإنما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال، فقال لهم: أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور، لا والله لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح في السماء نجم، والله لو كان المال لي لواسيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم. ثم سكت طويلاً واجماً[1]، ثم قال: الأمر أسرع من ذلك. قالها ثلاثاً[2].

وقال ابن أبي الحديد في الجزء الأول (صفحة ٢٤٧):

قال الكلبي: قلت لأبي صالح: كيف لم يضع علي (عليه السلام) السيف في أهل البصرة يوم الجمل بعد ظفره، قال: سار فيهم بالصفح والمن الذي سار به رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة يوم الفتح، فإنه أراد أن يستعرضهم بالسيف، ثم منّ عليهم، وكان يحب أن يهديهم الله. قال فطر بن خليفة: ما دخلت دار الوليد بالكوفة التي فيها القصارون إلا وذكرت بأصواتهم وقع السيوف يوم الجمل. حرب بن جيهان الجعفي: لقد رأيت الرماح يوم الجمل قد أشرعها الرجال، بعضها في صدور بعض، كأنها آجام[3] القصب، لو شاءت الرجال أن

---

١ – والواجم: الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام (الصحاح ج٥ ص٢٠٤٩).

٢ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٢ ص ١٩٩).

٣ – الأجم أيضاً: حصن بناه أهل المدينة من حجارة. قال يعقوب: كل بيت مربع مسطح أجم (الصحاح ج٥ ص١٨٥٨).

تمشي عليها لمشت، ولقد صدقونا القتال حتى ما ظننت أن ينهزموا، وما رأيت يوماً قط أشبه بيوم الجمل من يوم جلولاء الوقيعة[1].

٥ ـ (أن سيرته عليه السلام مثل سيرة النبي صلى الله عليه وآله):

وذكر ابن أبي الحديد في الجزء الأول ص ٢١٤:

وكان أبو جعفر بن أبي زيد الحسني نقيب البصرة رحمه الله إذا حدثناه في هذا يقول: إنه لا فرق عند من قرأ السيرتين: سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسياسة أصحابه أيام حياته، وبين سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وسياسة أصحابه أيام حياته، فكما أن علياً (عليه السلام) لم يزل أمره مضطرباً معهم بالمخالفة والعصيان والهرب إلى أعدائه، وكثرة الفتن والحروب، فكذلك كان النبي صلى الله عليه وآله لم يزل ممنواً بنفاق المنافقين وأذاهم، وخلاف أصحابه عليه وهرب بعضهم إلى أعدائه، وكثرة الحروب والفتن. وكان يقول: ألست ترى القرآن العزيز مملوءاً بذكر المنافقين والشكوى منهم، والتألم من أذاهم له، كما أن كلام علي (عليه السلام) مملوء بالشكوى من منافقي أصحابه والتألم من أذاهم له، والتوائهم عليه! وذلك نحو قوله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِٱلإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيۤ أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ**

---

١ ـ جلولاء: موضع في خراسان كانت بها وقعة المسلمين على الفرس سنة ١٦، وسميت الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون ياقوت (معجم البلدان ج٢ ص١٥٦).

بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ}[1]. وقوله: {إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ...}[2] الآية. وقوله تعالى: {إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[3] السورة بأجمعها. وقوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ}[4]. وقوله تعالى: {رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ}[5]. وقوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۞ وَلَوْ نَشَآءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}[6]. وقوله تعالى: {سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ

---

١ – سورة المجادلة (٨).

٢ – سورة المجادلة (١٠).

٣ – سورة المنافقين (١–٢).

٤ – سورة محمد (١٦).

٥ – سورة محمد (٢٠).

٦ – سورة محمد (٢٩–٣٠).

بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ۞ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً}[1]. وقوله تعالى: {سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلاَمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}[2]. وقوله: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[3].

قال: وأصحابه هم الذين نازعوا في الأنفال وطلبوها لأنفسهم، حتى أنزل الله تعالى: {قُلِ ٱلأَنفَالُ للَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[4]. وهم الذين التووا عليه في الحرب يوم بدر، وكرهوا لقاء العدو حتى خيف خذلانهم، وذلك قبل أن تتراءى الفئتان، وأنزل فيهم: {يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ}[5]. وهم الذين كانوا يتمنون لقاء العير دون لقاء العدو، حتى إنهم ظفروا برجلين في الطريق، فسألوهما عن العير، فقالا لا علم لنا بها، وإنما رأينا

---

١ - سورة الفتح (١١، ١٢).

٢ - سورة الفتح (١٥).

٣ - سورة الحجرات (٤، ٥).

٤ - سورة الأنفال (١).

٥ - سورة الأنفال (٦).

جيش قريش من وراء ذلك الكثيب، فضربوهما ورسول الله صلى الله عليه وآله قائم يصلي، فلما ذاقا مس الضرب قالا: بل العير أمامكم فاطلبوها، فلما رفعوا الضرب عنهما، قالا: والله ما رأينا العير ولا رأينا إلا الخيل والسلاح والجيش، فأعادوا الضرب عليهما مرة ثانية، فقالا وهما يضربان: العير أمامكم، فخلوا عنا، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من الصلاة، وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم خليتم عنهما! دعوهما، فما رأيا إلا جيش أهل مكة، وأنزل قوله تعالى: {**وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ**}[1]. قال المفسرون: الطائفتان: العير ذات اللطيمة الواصلة إلى مكة من الشام صحبة أبي سفيان بن حرب، وإليها كان خروج المسلمين، والأخرى الجيش ذو الشوكة، وكان (عليه السلام) قد وعدهم بإحدى الطائفتين، فكرهوا الحرب، وأحبوا الغنيمة. قال: وهم الذين فروا عنه صلى الله عليه وآله يوم أحد، وأسلموه وأصعدوا في الجبل، وتركوه حتى شج الأعداء وجهه، وكسروا ثنيته، وضربوه على بيضته[2]، حتى دخل جماجمه، ووقع من فرسه إلى الأرض بين القتلى، وهو يستصرخ بهم، ويدعوهم فلا يجيبه أحد منهم إلا من كان جارياً مجرى نفسه، وشديد الاختصاص به، وذلك قوله تعالى:

---

١ - سورة الأنفال (٧).

٢ - والبيضة واحدة البيض من الحديد. وابتاض الرجل: لبس البيضة (الصحاح ج٣ ص١٠٦٧).

{إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَاكُمْ}[1] أي ينادى فيسمع نداءه آخر الهاربين لا أولهم، لأن أولهم أو غلوا في الفرار، وبعدوا عن أن يسمعوا صوته، وكان قصارى الأمر أن يبلغ صوته واستصراخه من كان على ساقة الهاربين منهم.

قال: ومنهم الذين عصوا أمره في ذلك اليوم، حيث أقامهم على الشعب في الجبل، وهو الموضع الذي خاف أن تكر عليه منه خيل العدو من ورائه، وهم أصحاب عبد الله ابن جبير، فإنهم خالفوا أمره وعصوه فيما تقدم به إليهم، ورغبوا في الغنيمة، ففارقوا مركزهم: حتى دخل الوهن على الإسلام بطريقهم، لأن خالد بن الوليد كر في عصابة من الخيل، فدخل من الشعب الذي كانوا يحرسونه، فما أحس المسلمون بهم إلا وقد غشوهم بالسيوف من خلفهم، فكانت الهزيمة، وذلك قوله تعالى: {حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّن بَعْدِ مَآ أَرَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلآخِرَةَ}[2]. قال: وهم الذين عصوا أمره في غزاة تبوك، بعد أن أكد عليهم الأوامر، وخذلوه وتركوه ولم يشخصوا معه، فأنزل فيهم: {يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ۞ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ

---

١ - سورة آل عمران (٣٥١).

٢ - سورة آل عمران (١٥٢).

قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[1]، وهذه الآية خطاب مع المؤمنين لا مع المنافقين، وفيها أوضح دليل على أن أصحابه وأولياءه المصدقين لدعوته كانوا يعصونه، ويخالفون أمره، وأكد عتابهم وتقريعهم وتوبيخهم بقوله تعالى: {لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاَّتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[2]. ثم عاتب رسول الله صلى الله عليه وآله على كونه أذن لهم في التخلف، وإنما أذن لهم لعلمه أنهم لا يجيبونه في الخروج، فرأى أن يجعل المنة له عليهم في الإذن لهم، وإلا قعدوا عنه ولم تصل له المنة، فقال له: {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَاذِبِينَ}[3]، أي هلا أمسكت عن الإذن لهم حتى يتبين لك قعود من يقعد، وخروج من يخرج، صادقهم من كاذبهم! لأنهم كانوا قد وعدوه بالخروج معه كلهم، وكان بعضهم ينوي الغدر، وبعضهم يعزم على أن يخيس[4] بذلك الوعد، فلو لم يأذن لهم لعلم من يتخلف ومن لا يتخلف، فعرف الصادق منهم والكاذب. ثم بين سبحانه وتعالى أن الذين يستأذنونه في التخلف خارجون من الإيمان، فقال له: {لاَ يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ

---

١ – سورة التوبة (٣٨، ٣٩).

٢ – سورة التوبة (٤٢).

٣ – سورة التوبة (٤٣).

٤ – يخيس: يغدر، خاس يخيس ويخوس: أي غدر به (الصحاح ج٣ ص٩٢٦).

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}[1]. ولا حاجة إلى التطويل بذكر الآيات المفصلة فيما يناسب هذا المعنى، فمن تأمل الكتاب العزيز علم حاله صلوات الله عليه مع أصحابه كيف كانت، ولم ينقله الله تعالى إلى جواره إلا وهو مع المنافقين له والمظهرين خلاف ما يضمرون من تصديقه في جهاد شديد، حتى لقد كاشفوه مراراً، فقال: لهم يوم الحديبية احلقوا وانحروا... مراراً، فلم يحلقوا ولم ينحروا، ولم يتحرك أحد منهم عند قوله، وقال له بعضهم وهو يقسم الغنائم: (اعدل يا محمد فإنك لم تعدل). وقالت الأنصار له مواجهة يوم حنين: أتأخذ ما أفاء الله علينا بسيوفنا فتدفعه إلى أقاربك من أهل مكة! حتى أفضى الأمر إلى أن قال لهم في مرض موته: (ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم مالا تضلون بعده)، فعصوه ولم يأتوه بذلك، وليتهم اقتصروا على عصيانه ولم يقولوا له ما قالوا، وهو يسمع. وكان أبو جعفر رحمه الله يقول من هذا ما يطول شرحه، والقليل منه ينبئ عن الكثير، وكان يقول: إن الإسلام ما حلا عندهم ولا ثبت في قلوبهم إلا بعد موته، حين فتحت عليهم الفتوح، وجاءتهم الغنائم والأموال، وكثرت عليهم المكاسب، وذاقوا طعم الحياة، وعرفوا لذة الدنيا، ولبسوا الناعم، وأكلوا الطيب، وتمتعوا بنساء الروم، وملكوا خزائن كسرى، وتبدلوا بذلك القشف

---

١ - سورة التوبة (٤٤، ٤٥).

والشظف[1] والعيش الخشن وأكل الضباب والقنافذ واليرابيع ولبس الصوف والكرابيس[2]، وأكل اللوزينجات[3] والفالوذجات[4] ولبس الحرير والديباج، فاستدلوا بما فتحه الله عليهم وأتاحه لهم على صحة الدعوة، وصدق الرسالة.

وقد كان صلى الله عليه وآله وعدهم بأنه سيفتح عليهم كنوز كسرى وقيصر، فلما وجدوا الأمر قد وقع بموجب ما قاله عظموه وبجلوه، وانقلبت تلك الشكوك وذاك النفاق وذلك الاستهزاء إيماناً ويقيناً وإخلاصاً، وطاب لهم العيش، وتمسكوا بالدين، لأنه زادهم طريقاً إلى نيل الدنيا، فعظموا ناموسه، وبالغوا في إجلاله وإجلال الرسول الذي جاء به، ثم انقرض الأسلاف وجاء الأخلاف على عقيدة ممهدة، وأمرٍ أخذوه تقليداً من أسلافهم الذين ربوا في حجورهم، ثم انقرض ذلك القرن، وجاء من بعدهم كذلك وهلم جرا.

قال: ولولا الفتوح والنصر والظفر الذي منحهم الله تعالى إياه، والدولة التي ساقها إليهم، لانقرض دين الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يذكر في التواريخ، كما تذكر الآن نبوة

---

١ – الشظف: الضيق والشدة (الصحاح ج٤ ص١٣٨١).

٢ – الكرابيس: جمع كرباس، وهي ثياب خشنة (الصحاح ج٣ ص٩٧٠).

٣ – اللوزينج: الظاهر أنها نوع من أنواع الحلوى الفاخرة.

٤ – وقال أبو الحسن في الفالوذَج: لُبابُ القَمْحِ بلُعابِ النَّحْل لسان العرب باب اللام (ج١ ص٧٣٠).

خالد بن سنان العبسي[1]، حيث ظهر ودعا إلى الدين. وكان الناس يعجبون من ذلك ويتذاكرونه كما يعجبون ويتذاكرون أخبار من نبغ من الرؤساء والملوك والدعاة الذين انقرض أمرهم، وبقيت أخبارهم. وكان يقول: من تأمل حال الرجلين وجدهما متشابهتين في جميع أمورهما أو في أكثرها، وذلك لأن حرب رسول الله صلى الله عليه وآله مع المشركين كانت سجالاً، انتصر يوم بدر، وانتصر المشركون عليه يوم أحد، وكان يوم الخندق كفافاً خرج هو وهم سواء، لا عليه ولا له، لأنهم قتلوا رئيس الأشوس وهو سعد بن معاذ، وقتل منهم فارس قريش وهو عمرو بن عبد ود، وانصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعة التي كانت، ثم حارب بعدها قريشاً يوم الفتح، فكان الظفر له. وهكذا كانت حروب علي (عليه السلام)، انتصر يوم الجمل، وخرج الأمر بينه وبين معاوية على سواء، قتل من أصحابه رؤساء، ومن أصحاب معاوية رؤساء، وانصرف كل واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على مكانه، ثم حارب بعد صفين أهل النهروان، فكان الظفر له. قال: ومن العجب أن أول حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كانت بدراً، وكان هو المنصور فيها، وأول حروب علي (عليه السلام) الجمل، وكان هو المنصور فيها،

---

١ - قيل كان ما بين موسى وعيسى ألف سنة وسبعمائة وألف نبي، وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي، وكان بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة سنة (مجمع البحرين ج٢ ص٢٨٤).

ثم كان من صحيفة الصلح والحكومة يوم صفين نظير ما كان من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحديبية. ثم دعا معاوية في آخر أيام علي (عليه السلام) إلى نفسه وتسمى بالخلافة، كما أن مسيلمة والأسود العنسي دعوا إلى أنفسهما في آخر أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وتسميا بالنبوة، واشتد على علي (عليه السلام) ذلك، كما اشتد على رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الأسود ومسيلمة، وأبطل الله أمرهما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وكذلك أبطل أمر معاوية وبني أمية بعد وفاة علي (عليه السلام). ولم يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله أحد من العرب إلا قريش ما عدا يوم حنين، ولم يحارب علياً (عليه السلام) من العرب أحد إلا قريش ما عدا يوم النهروان، ومات علي (عليه السلام) شهيداً بالسيف، ومات رسول الله صلى الله عليه وآله شهيداً بالسم، وهذا لم يتزوج على خديجة أم أولاده حتى ماتت، وهذا لم يتزوج على فاطمة أم أشرف أولاده حتى ماتت. ومات رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثلاث وستين سنه، ومات علي (عليه السلام) عن مثلها. وكان يقول: انظروا إلى أخلاقهما وخصائصهما، هذا شجاع وهذا شجاع، وهذا فصيح وهذا فصيح، وهذا سخي جواد وهذا سخي جواد، وهذا عالم بالشرائع والأمور الإلهية، وهذا عالم بالفقة والشريعة والأمور الإلهية الغامضة، وهذا زاهد في الدنيا غير نهم ولا مستكثر منها، وهذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها. وهذا مذيب نفسه في الصلاة والعبادة، وهذا مثله. وهذا غير محبب إليه شيء من الأمور العاجلة إلا النساء، وهذا

مثله، وهذا ابن عبد المطلب بن هاشم، وهذا في قعدده[1]، وأبواهما أخوان لأب واحد دون غيرهما من بني عبد المطلب، وربى محمد صلى الله عليه وآله في حجر والد هذا وهو أبو طالب، فكان جارياً عنده مجرى أحد أولاده. ثم لما شب صلى الله عليه وآله وكبر استخلصه من بني أبي طالب وهو غلام، فرباه في حجره مكافأة لصنيع أبي طالب به، فامتزج الخلقان، وتماثلت السجيتان، وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين، فما ظنك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل! فواجب أن تكون أخلاق محمد صلى الله عليه وآله كأخلاق أبي طالب، وتكون أخلاق علي (عليه السلام) كأخلاق أبي طالب أبيه، ومحمد (عليه السلام) مربيه، وأن يكون الكل شيمة واحدة وسوساً[2] واحداً، وطينة مشتركة، ونفساً غير منقسمة ولا متجزئة، وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل، لولا أن الله تعالى اختص محمداً صلى الله عليه وآله برسالته، واصطفاه لوحيه، لما يعلمه من مصالح البرية في ذلك، ومن أن اللطف به أكمل، والنفع بمكانه أتم وأعم، فامتاز رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك عمن سواه، وبقي ما عدا الرسالة على أمر الاتحاد، وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وآله بقوله: (أخصمك[3] بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع)، وقال له أيضاً: (أنت مني بمنزلة

---

١ – القعدد: القريب الآباء من الجد الأعلى (الصحاح ج٢ ص٥٢٥).

٢ – أي أصلاً واحداً، السوس: الطبيعة، يقال: الفصاحة من سوسه أي من طبعه (الصحاح ج٣ ص٩٣٩).

٣ – أخصمك: أغلبك.

هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، فأبان نفسه منه بالنبوة، وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما. وكان النقيب أبو جعفر رحمه الله، غزير العلم، صحيح العقل، منصفاً في الجدال، غير متعصب للمذهب، - وإن كان علوياً[1] - وكان يعترف بفضائل الصحابة، ويثني على الشيخين. ويقول: إنهما مهدا دين الإسلام، وأرسيا قواعده، ولقد كان شديد الاضطراب[2] في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما مهداه بما تيسر للعرب من الفتوح والغنائم في دولتهما[3]. وكان يقول في عثمان: إن الدولة في أيامه كانت على إقبالها وعلو جدها، بل كانت الفتوح في أيامه أكثر، والغنائم أعظم، لولا أنه لم يراع ناموس الشيخين، ولم يستطع أن يسلك مسلكهما، وكان مضعفاً في أصل القاعدة، مغلوباً عليه، وكثير الحب لأهله، وأتيح له من مروان وزير سوء أفسد القلوب عليه، وحمل الناس على خلعه وقتله.

---

١ - يعني يميل إلى تفضيل علي (عليه السلام) على باقي الصحابة

٢ - أي دين الإسلام.

٣ - راجع كتاب السقيفة للشيخ المظفر والمراجعات لشرف الدين حتى تتضح لك الصورة على حقيقتها.

٦ - (كلام أبي جعفر الحسن في الأسباب التي أوجبت محبة الناس لعلي ﷺ):

وذكر ابن أبي الحديد حديثاً بينه وبين أبي جعفر في الجزء العاشر (صفحة٢٢٣) قائلاً:

وكان أبو جعفر رحمه الله لا يجحد الفاضل فضله، والحديث شجون. قلت له مرة: ما سبب حب الناس لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعشقهم له، وتهالكهم في هواه؟ ودعني في الجواب من حديث الشجاعة والعلم والفصاحة، وغير ذلك من الخصائص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها!. فضحك وقال لي: كم تجمع جراميزك[1] علي!. ثم قال: هاهنا مقدمة ينبغي أن تعلم، وهي أن أكثر الناس موتورون[2] من الدنيا، أما المستحقون فلا ريب في أن أكثرهم محرومون، نحو عالم يرى أنه لا حظ له في الدنيا، ويرى جاهلاً غيره مرزوقاً وموسعاً عليه. وشجاع قد أبلى في الحرب، وانتفع بموضعه، ليس له عطاء يكفيه، ويقوم بضروراته، ويرى غيره وهو جبان فشل، يفرق من ظله، مالكاً لقطر عظيم من الدنيا، وقطعة وافرة من المال والرزق، وعاقل سديد التدبير، صحيح العقل، قد قدر[3] عليه رزقه، وهو يرى غيره أحمق مائقاً تدر عليه الخيرات، وتتحلب عليه أخلاف الرزق. وذي دين قويم، وعبادة حسنة، وإخلاص وتوحيد، وهو محروم

---

١ - جراميز الرجل: جَسَده وأعضاؤه. ويقال: جمع جراميزه، إذا تقبض ليثب (الصحاح ج٣ ص٨٦٧). المعنى هنا: تأهب وتجهز ليستمع ويصغي.

٢ - وتره حقه أي نقصه (الصحاح ج٢ ص٨٤٣).

٣ - وقدر على الإنسان رزقه قدرا، مثل قتر (الصحاح ج٢ ص٧٨٧).

ضيق الرزق، ويرى غيره يهودياً أو نصرانياً أو زنديقاً، كثير المال حسن الحال، حتى إن هذه الطبقات المستحقة يحتاجون في أكثر الوقت إلى الطبقات التي لا استحقاق لها، وتدعوهم الضرورة إلى الذل لهم، والخضوع بين أيديهم، إما لدفع ضرر، أو لاستجلاب نفع، ودون هذه الطبقات من ذوي الاستحقاق أيضاً، ما نشاهده عياناً من نجار حاذق أو بناء عالم، أو نقاش بارع، أو مصور لطيف، على غاية ما يكون من ضيق رزقهم، وقعود الوقت بهم، وقلة الحيلة لهم، ويرى غيرهم ممن ليس يجري مجراهم، ولا يلحق طبقتهم، مرزوقاً مرغوباً فيه، كثير المكسب طيب العيش، واسع الرزق. فهذا حال ذوي الاستحقاق والاستعداد. وأما الذين ليسوا من أهل الفضائل، كحشو العامة، فإنهم أيضاً لا يخلون من الحقد على الدنيا والذم لها، والحنق والغيظ منها لما يلحقهم من حسد أمثالهم وجيرانهم، ولا يُرى أحد منهم قانعاً بعيشه، ولا راضياً بحاله، بل يستزيد ويطلب حالاً فوق حاله. قال: فإذا عرفت هذه المقدمة، فمعلوم أن علياً (عليه السلام) كان مستحقاً محروماً، بل هو أمير المستحقين المحرومين، وسيدهم وكبيرهم، ومعلوم أن الذين يناهم الضيم، وتلحقهم المذلة والهضيمة، يتعصب بعضهم لبعض، ويكونون إلباً[1] ويداً واحدة على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا، ونالوا مأربهم منها، لاشتراكهم في الأمر الذي آلمهم وساءهم، وعضهم ومضهم، واشتراكهم في الأنفة والحمية

---

١ - وتألبوا: تجمعوا. وهم ألب وإلب، إذا كانوا مجتمعين (الصحاح ج١ ص٨٨).

والغضب والمنافسة لمن علا عليهم، وقهرهم، وبلغ من الدنيا ما لم يبلغوه، فإذا كان هؤلاء - أعني المحرومين - متساوين في المنزلة والمرتبة، وتعصب بعضهم لبعض، فما ظنك بما إذا كان منهم رجل عظيم القدر جليل الخطر كامل الشرف، جامع للفضائل محتو على الخصائص والمناقب، وهو مع ذلك محروم محدود، وقد جرعته الدنيا علاقمها[1]، وعلته عللا بعد نهل من صابها وصبرها، ولقي منها برحاً[2] بارحاً، وجهداً جهيداً، وعلا عليه من هو دونه، وحكم فيه وفي بنيه وأهله ورهطه من لم يكن ما ناله من الإمرة والسلطان في حسابه، ولا دائراً في خلده، ولا خاطراً بباله، ولا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له ولا يراه له. ثم كان في آخر الأمر أن قتل هذا الرجل الجليل في محرابه، وقتل بنوه بعده، وسبي حريمه ونساؤه، وتتبع أهله وبنو عمه بالقتل والطرد والتشريد والسجون، مع فضلهم وزهدهم وعبادتهم وسخائهم، وانتفاع الخلق بهم. فهل يمكن ألا يتعصب البشر كلهم مع هذا الشخص! وهل تستطيع القلوب ألا تحبه وتهواه، وتذوب فيه وتفنى في عشقه، انتصاراً له، وحمية من أجله، وأنفة مما ناله، وامتعاضاً مما جرى عليه! وهذا أمر مركوز في الطبائع، ومخلوق في الغرائز، كما يشاهد الناس على الجرف إنساناً قد وقع في الماء العميق، وهو لا يحسن السباحة، فإنهم بالطبع البشري يرقون عليه رقة شديدة، وقد يلقي قوم منهم أنفسهم في الماء نحوه، يطلبون تخليصه، لا

---

١ - العلقم: شجر مر ويقال للحنظل ولكل شيء مر علقم (الصحاح ج٥ ص١٩٩١)

٢ - برح به الأمر برحا أي جهده (الصحاح ج١ ص٣٥٥).

يتوقعون على ذلك مجازاة منه بمال أو شكر، ولا ثواباً في الآخرة، فقد يكون منهم من لا يعتقد أمر الآخرة، ولكنها رقة بشرية، وكأن الواحد منهم يتخيل في نفسه أنه ذلك الغريق، فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذا الغريق، كذلك يطلب تخليص من هو في تلك الحال الصعبة، للمشاركة الجنسية. وكذلك لو أن ملكاً ظلم أهل بلد من بلاده ظلماً عنيفاً، لكان أهل ذلك البلد يتعصب بعضهم لبعض في الانتصار من ذلك الملك، والاستعداء عليه، فلو كان من جملتهم رجل عظيم القدر، جليل الشأن، قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه إياهم، وأخذ أمواله وضياعه، وقتل أولاده وأهله، كان لياذهم به، وانضواؤهم إليه، واجتماعهم والتفافهم به أعظم وأعظم، لأن الطبيعة البشرية تدعو إلى ذلك على سبيل الإيجاب الاضطراري، ولا يستطيع الإنسان منه امتناعاً.

٧ ـ (أنه عليه السلام أكثر الناس مواساة للنبي صلى الله عليه وآله):

وذكر في الجزء ١٠ (صفحة ١٨١):

قوله (عليه السلام): (ولقد واسيته بنفسي)، يقال: واسيته وآسيته، وبالهمزة أفصح، وهذا مما اختص (عليه السلام) بفضيلته غير مدافع، ثبت معه يوم أحد وفر الناس، وثبت معه يوم حنين وفر الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفر من كان بُعِثَ بها من قبله.

وروى المحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ارتث[1] يوم أحد، قال الناس: قتل محمد، رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى، إلا أنه حي، فصمدت له. فقال لعلي (عليه السلام): اكفني هذه، فحمل عليها (عليه السلام) وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة أخرى، فقال: يا علي اكفني هذه، فحمل عليها فهزمها، وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة ثالثة، فكذلك، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقول: قال لي جبريل: يا محمد إن هذه للمواساة، فقلت: وما يمنعه وهو مني وأنا منه! فقال جبريل: وأنا منكما. وروى المحدثون أيضاً أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي: (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حضره: (ألا تسمعون! هذا صوت جبريل). وأما يوم حنين فثبت معه في نفر يسير من بني هاشم، بعد أن ولّى المسلمون الأدبار، وحامى عنه، وقتل قوماً من هوازن بين يديه، حتى ثابت إليه الأنصار، وانهزمت هوازن وغنمت أموالها. وأما يوم خيبر فقصته مشهورة. قوله (عليه السلام): (بجدة أكرمني الله سبحانه بها)، النجدة: الشجاعة، وانتصابها هاهنا على أنها مصدر، والعامل فيه محذوف.

ثم بين ابن أبي الحديد أن أمير المؤمنين عليه السلام بقي ملازماً للنبي صلى الله عليه وآله حتى آخر لحظات حياته فقال:

---

١ - ارتث: حمل من المعركة جريحا وفيه رمق (الصحاح ج١ ص٢٨٢).

ثم ذكر (عليه السلام) وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: (لقد قبض وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي)، يقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قاء دماً يسيراً وقت موته، وإن علياً (عليه السلام) مسح بذلك الدم وجهه. وقد روي أن أبا طيبة الحجام شرب دمه (عليه السلام) وهو حي، فقال له: إذن لا يجع بطنك.

٨ ـ (أنت له عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة):

ثم تعرض ابن أبي الحديد لحادثة جرت بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين جماعة الخوارج مبيناً في ذلك اقتداء أمير المؤمنين عليه السلام وتأسيه بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: في الجزء الثاني (صفحة ٢٧٤):

قال أبو العباس: وسبب تسميتهم الحرورية[1] أن علياً عليه السلام لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس إياهم، كان فيما قال لهم: ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف، قلت لكم: إن هذه مكيدة ووهن، وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لأتوني، وسألوني التحكيم! أفتعلمون أن أحداً كان أكره للتحكيم مني؟ قالوا: صدقت، قال: فهل تعلمون أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم إليه، فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله، فمتى خالفاه، فأنا

---

١ – هم جماعة الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين فاجتمعوا في حروراء فنسبوا إليها، والظاهر أنه (عليه السلام) هو الذي سماهم بذلك كما ذكر ابن عباس في رواية ابن أبي الحديد في هذا الكتاب.

وأنتم من ذلك براء، وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني! قالوا: اللهم نعم، قال: وكان معهم في ذلك الوقت ابن الكواء (ابن الكواء، هو عبد الله بن الكواء، من بني يشكر بن بكر بن وائل)[1]، قال: وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خباب، وإنما ذبحوه في الفرقة الثانية بكسكر[2]، فقالوا له: حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرّون بأنا كنا كفرنا، ولكنا الآن تائبون فأقرّ بمثل ما أقررنا به، وتب ننهض معك إلى الشام، فقال: أما تعلمون أن الله تعالى قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامرأته، فقال سبحانه: فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها، وفي صيد أصيب كأرنب يساوي نصف درهم، فقال: يحكم به ذوا عدل منكم! فقالوا له: فإن عمرا[3] لما أبى عليك أن تقول في كتابك: (هذا ما كتبه عبد الله علي أمير المؤمنين) محوت اسمك من الخلافة، وكتبت: (علي بن أبي طالب،) فقد خلعت نفسك.

---

١ -كان رأسا للخوارج وكبيرهم وهو خارجي ملعون وهو الذي قرأ خلف أمير المؤمنين ﷺ جهراً (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)(زمر٦٥) وكان علي ﷺ يؤم الناس ويجهر بالقراءة فسكت علي ﷺ حتى سكت ابن الكواء ثم عاد في قراءته حتى فعلها ثلاث مرات فلما كان في الثالثة قال أمير المؤمنين ﷺ : (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لايوقنون)(الروم، ٦٠) (الكنى للمحدث القمي، معاني الأخبار للصدوق ص١٢١).

٢ - كسكر: كورة بين الكوفة والبصرة. قال صاحب معجم مااستعجم: كسكر هو بلد بالعراق معروف، معناه أرض الشعير (معجم مااستعجم ج٢ ص١١٢٨).

٣ - أي عمرو بن العاص.

فقال: لي في رسول الله ﷺ أسوةٌ، حين أبى عليه سهيل بن عمرو، أن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو، وقال له: لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك، ولكني أقدمك لفضلك، فاكتب محمد بن عبد الله، فقال لي: يا علي، امح رسول الله، فقلت: يا رسول الله، لا تشجعني نفسي على محو اسمك من النبوة، قال: فقضى عليه، فمحاه بيده، ثم قال: (اكتب محمد بن عبد الله،) ثم تبسم إليَّ وقال: يا علي، أما إنك ستسام مثلها فتعطى، فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمعوا بها، فقال لهم علي: ما نسميكم؟ ثم قال: أنتم الحرورية، لاجتماعكم بحروراء وروى جميع أهل السير كافة أن علياً عليه السلام لما طحن القوم طلب ذا الثدية طلباً شديداً وقلب القتلى ظهراً لبطن، فلم يقدر عليه، فساءه ذلك، وجعل يقول: والله ما كَذبتُ، ولا كُذِبتُ، اطلبوا الرجل، وإنه لفي القوم، فلم يزل يتطلبه حتى وجده، وهو رجل مخدج اليد[1]، كأنها ثدي في صدره. وروى إبراهيم بن ديزيل في كتاب صفين عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال: لما شجرهم علي عليه السلام بالرماح، قال: اطلبوا ذا الثدية، فطلبوه طلباً شديداً، حتى وجدوه في وهدة من الأرض تحت ناس من القتلى، فأتى به، وإذا رجل على ثديه مثل سبلات[2] السنور، فكبر علي عليه السلام، وكبر الناس معه سروراً بذلك.

---

١ – الخداج النقصان، محدج اليد: ناقص اليد (الصحاح ج١ ص٣٠٩).

٢ – السبلة: ما على الشارب من الشعر وجمعه سبلات (لسان العرب ج١١ ص٣٢١).

وروي أيضاً عن مسلم الضبي عن حبة العرني، قال: كان رجلا أسود منتن الريح، له ثدي كثدي المرأة، إذا مدت كانت بطول اليد الأخرى، وإذا تركت اجتمعت وتقلصت وصارت كثدي المرأة، عليها شعرات مثل شوارب الهرة فلما وجدوه قطعوا يده، ونصبوها على رمح، ثم جعل علي عليه السلام ينادي: صدق الله وبلّغ رسوله، لم يزل يقول ذلك هو وأصحابه بعد العصر، إلى أن غربت الشمس أو كادت. وروى ابن ديزيل أيضاً، قال: لما عيل[1] صبر علي عليه السلام في طلب المخدج، قال: ائتوني ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله، فركبها واتبعه الناس، فرأى القتلى، ويقول: اقلبوا، فيقلبون قتيلاً عن قتيل، حتى استخرجوه، فسجد علي عليه السلام. وروى كثير من الناس أنه لما دعا بالبغلة ليركبها، قال: ائتوني بها، فإنها هادية فوقفت به على المخدج، فأخرجه من تحت قتلى كثيرين. وروى العوام بن حوشب عن أبيه عن جده يزيد بن رويم، قال: قال علي عليه السلام نقتل اليوم أربعه آلاف من الخوارج، أحدهم ذو الثدية، فلما طحن القوم ورام استخراج ذا الثدية فاتبعه، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة، وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: اطرح على كل قتيل منهم قصبة، فلم أزل كذلك وأنا بين يديه، وهو راكب خلفي، والناس يتبعونه حتى بقيت في يدي واحدة، فنظرت إليه وإذا وجهه أربد[2]، وإذا هو يقول: والله ما كَذبتُ ولا كُذِبتُ، فإذا

---

١ - عيل صبري: أي غلب (الصحاح ج٥ ص١٧٧٧).

٢ - وتربد وجه فلان: أي تغير من الغضب، وتربد الرجل: تعبس (الصحاح ج٢ ص٤٧٣).

خريرُ ماءٍ عند موضع دالية، فقال: فتش هذا ففتشته، فإذا قتيل قد صار في الماء وإذا رجله في يدي، فجذبتها، وقلت: هذه رجل إنسان، فنزل عن البغلة مسرعاً، فجذب الرجل الأخرى، وجررناه، حتى صار على التراب، فإذا هو المخدج فكبر علي عليه السلام بأعلى صوته، ثم سجد، فكبر الناس كلهم. وقد روى كثير من المحدثين أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه يوماً: (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله،) فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ فقال: (لا)، فقال عمر: أنا يا رسول الله؟ فقال: (لا، بل خاصف النعل[1])، وأشار إلى علي عليه السلام. وقال أبو العباس في الكامل: يقال: إن أول من لفظ بالحكومة و لم يُشِدْ[2] بها رجل من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر، من بني صريم، يقال له الحجاج بن عبد الله، ويعرف بالبرك، وهو الذي ضرب آخراً معاوية على أليته، يقال: إنه لما سمع بذكر الحكمين، قال: أيحكّم أمير المؤمنين الرجال في دين الله! لا حكم إلا لله! فسمعه سامع، فقال: طعن والله فأنفذ.

قال أبو العباس: وأول من حَكَّمَ[3] بين الصفين رجل من بني يشكر بن بكر ابن وائل، كان من أصحاب علي عليه السلام، فحمل على رجل منهم فقتله غيلة، ثم مرق بين الصفين يُحَكِّمْ، وحمل على أصحاب

---

١ - خصفت النعل: خرزتها فهي نعل خصيف (الصحاح ج٤ ص١٣٥٠).

٢ - الإشادة: رفع الصوت بالشيء، لم يشد له: أي يرفع صوته به (الصحاح ٢ ص٤٩٥).

٣ - هو قولهم (لا حكم إلا لله) ومعناه إنكار كل حكومة غير حكومة الله واعتبار قضية التحكيم بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية أمر غير جائز وأنه تبديل لحكم وأمر الله.

معاوية، فكثروه، فرجع إلى ناحية علي عليه السلام، فخرج إليه رجل من همدان فقتله، فقال شاعر همدان:

وما كان أغنى اليشكري عن التي تصلى بها جمراً من النار حاميا

غداة ينادى والرماح تنوشه[1] خلعت علياً بادئاً ومعاويا

قال أبو العباس: وقد روى المحدثون[2] أن رجلاً تلا بحضرة علي عليه السلام: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً}[3]، فقال علي عليه السلام: أهل حروراء منهم قال أبو العباس: ومن شعر أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا اختلاف فيه، أنه قال: وكان يردده أنهم لما ساموه أنه يقر بالكفر، ويتوب حتى يسيروا معه إلى الشام، فقال أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله والتفقه في الدين أرجع كافراً! ثم قال:

يا شاهد الله علي فاشهد أني على دين النبي أحمد

من شك في الله فإني مهتدي[4]

---

١ - يقال للرجل إذا تناول رجلاً لبأخذ برأسه ولحيته: ناشه ينوشه نوشاً (الصحاح ج٣ ص١٠٢٣).

٢ - في الكامل: وجاء في الحديث

٣ - سورة الكهف (١٠٤).

٤ - الظاهر أن البيت منسوب لأبيه أبي طالب عليه السلام راجع الاحتجاج للطبرسي (ج١ ص٣٤٨).

وذكر أبو العباس أيضاً أن علياً (عليه السلام) في أول خروج القوم عليه، دعا صعصعة بن صوحان العبدي، وقد كان وجهه إليهم وزياد بن النضر الحارثي، مع عبد الله بن عباس، فقال لصعصعة: بأي القوم رأيتهم أشد إطافة[1]؟ قال: بيزيد بن قيس الأرحبي، فركب علي عليه السلام إلى حروراء، فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن قيس، فصلى فيه ركعتين، ثم خرج فاتكأ على قوسه، وأقبل على الناس، فقال: هذا مقام من فلج فيه فلج[2] يوم القيامة. ثم كلمهم وناشدهم، فقالوا: إنا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم وقد تبنا، فتب إلى الله كما تبنا نعد لك. فقال علي عليه السلام: أنا أستغفر الله من كل ذنب، فرجعوا معه وهم ستة آلاف، فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً عليه السلام رجع عن التحكيم، ورآه ضلالاً، وقالوا إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع[3] وتجبى الأموال، ثم ينهض بنا إلى الشام فأتى الأشعث علياً عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً، فقام علي عليه السلام يخطب، فقال: من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فقد ضل، فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت.

قال ابن أبي الحديد في الجزء ٢ (صفحة ٢٧٩):

---

١ - أطاف به: أي ألم به وقاربه (الصحاح ج٤ ص١٣٩٧).

٢ - الفلج: الظفر والفوز (الصحاح ج١ ص٣٣٥).

٣ - الكراع: اسم يجمع نفسها الخيل (الصحاح ج٢ ص١٢٧٦).

قلت: كل فساد كان في خلافة علي عليه السلام، وكل اضطراب حدث فأصله الأشعث، ولولا محاقته[1] أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الحكومة في هذه المرة لم تكن حرب النهروان، ولكان أمير المؤمنين عليه السلام ينهض بهم إلى معاوية، ويملك الشام فإنه عليه السلام حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض والمواربة، وفى المثل النبوي صلوات الله على قائله: الحرب خدعة وذاك أنهم قالوا له: تب إلى الله مما فعلت، كما تبنا ننهض معك إلى حرب أهل الشام، فقال لهم كلمة مجملة مرسلة قالها الأنبياء والمعصومون، وهي قوله: أستغفر الله من كل ذنب، فرضوا بها وعدوها إجابة لهم إلى سؤلهم، وصفت له عليه السلام نياتهم، واستخلص بها ضمائرهم، من غير أن تتضمن تلك الكلمة اعترافاً بكفر أو ذنب، فلم يتركه الأشعث، وجاء إليه مستفسراً وكاشفاً عن الحال، وهاتكاً ستر التورية والكناية، ومخرجاً لها من مظلمة الإجمال وستر الحيلة إلى تفسيرها بما يفسد التدبير، ويوغر الصدور ويعيد الفتنة، ولم يستفسره عنها إلا بحضور من لا يمكنه عليه السلام أن يجعلها معه هدنة على دخن[2]، ولا توقيفاً عن صبوح[3]، وألجأه بتضييق الخناق عليه إلى أن يكشف ما في نفسه، ولا يترك الكلمة على احتمالها، ولا يطويها على غرها، فخطب بما صدع به عن صورة ما عنده مجاهرة، فانتقض ما دبره،

---

١ - جاده في الأمر أي حاقه (الصحاح ج٢ ص٤٥٢).

٢ - هُدْنة على دَخَن أي سكون لعِلّة لا للصلح (الصحاح ج٥ ص٢١١١)

٣ - الظاهر أنها ولا ترقيقاً وليس ولا توقيفاً لأن الوارد في الصحاح: هو المثل (أعن صبوح ترقق) يضرب لمن يوري عن الخطب العظيم بكناية عنه (الصحاح ج٤ ص١٤٨٣).

وعادت الخوارج إلى شبهتها الأولى، وراجعوا التحكيم والمروق، وهكذا الدول التي تظهر فيها أمارات الانقضاء والزوال،

يتاح لها أمثال الأشعث من أولي الفساد في الأرض، {**سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً**}[1].

قال أبو العباس: ثم مضى القوم إلى النهروان، وقد كانوا أرادوا المضي إلى المدائن، فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر، إذ كان على خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصراني، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم.

قال أبو العباس: ونحو ذلك أن واصل بن عطاء رحمه الله تعالى أقبل في رفقة فأحسوا بالخوارج، فقال واصل لأهل الرفقة: إن هذا ليس من شأنكم، فاعتزلوا ودعوني وإياهم، وكانوا قد أشرفوا على العطب[2]، فقالوا: شأنك، فخرج إليهم، فقالوا: ما أنت وأصحابك؟ فقال: قوم مشركون مستجيرون بكم، ليسمعوا كلام الله، ويفهموا حدوده، قالوا: قد أجرناكم، قال: فعلمونا، فجعلوا يعلمونهم أحكامهم، ويقول واصل: قد قبلت أنا ومن معي، قالوا: فامضوا مصاحبين فقد صرتم إخواننا، فقال: بل تبلغوننا مأمننا، لأن الله تعالى يقول: {**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ**

---

١ - الأحزاب (٦٢).

٢ - العطب: الهلاك (الصحاح ج١ ص١٨٤).

ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}[1]، قال: فينظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فساروا معهم بجمعهم حتى أبلغوهم المأمن.

قال أبو العباس: ولقيهم عبد الله بن خباب في عنقه مصحف، على حمار، ومعه أمرأته وهي حامل فقالوا له: إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا بقتلك، فقال لهم: ما أحياه القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه، فوثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فيه، فصاحوا به، فلفظها تورعاً. وعرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض، وأنكروا قتل الخنزير، ثم قالوا لابن خباب: حدثنا عن أبيك، فقال: إني سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون بعدي فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، فكن عبد الله المقتول، ولا تكن القاتل، قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيراً، قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم، وفي عثمان في السنين الست الأخيرة؟ فأثنى خيراً[2]: قالوا: فما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة؟ قال:

---

١ - التوبة (٦).

٢ - الرواية غير صحيحة على إطلاقها فقد اختلفوا في نقلها وأما ما ذكره أحمد بن حنبل في (مسنده ج٥ ص١١٠) فهو: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا إسماعيل ثنا أيوب عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم قال دخلوا قرية فخرج عبد الله ابن خباب ذعرا يجر رداءه فقالوا لم ترع قال والله لقد رعتموني قالوا أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال نعم قال فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم تحدثناه قال نعم سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي قال فان أدركت ذاك فكن عبد الله المقتول قال أيوب ولا أعلمه إلا قال ولا تكن عبد الله القاتل قالوا أأنت

إن علياً أعلم بالله وأشد توقّياً[1] على دينه، وأنفذ بصيرة، فقالوا: إنك لست تتبع الهدى، إنما تتبع الرجال على أسمائهم، ثم قربوه إلى شاطئ النهر، فأضجعوه فذبحوه. قال أبو العباس: وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال هي لكم، فقالوا: ما كنا لنأخذها إلا بثمن، فقال: واعجباه! أتقتلون مثل عبد الله بن خباب، ولا تقبلون جنا نخلة إلا بثمن.

وروى أبو عبيدة معمر بن المثنى، قال طعن واحد من الخوارج يوم النهروان، فمشى في الرمح، وهو شاهر سيفه، إلى أن وصل إلى طاعنه فضربه فقتله، وهو يقرأ: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ}[2]. وروى أبو عبيدة أيضاً قال: استنطقهم علي عليه السلام بقتل عبد الله بن خباب، فاقروا به، فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبةً كتيبة، فتكتبوا كتائب وأقرت كل كتيبة بمثل ما أقرت به الأخرى، من قتل ابن خباب، وقالوا: ولنقتلنك كما قتلناه، فقال علي: والله لو أقر أهل الدنيا كلهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم، ثم التفت إلى أصحابه فقال لهم: شدوا عليهم، فأنا أول من يشد عليهم. وحمل بذي

سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال نعم قال فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما أبذقر وبقروا أم ولده عما في بطنها حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو النضر ثنا سليمان عن حميد بن هلال نحوه إلا انه قال ما أبذقر يعني لم يتفرق وقال لا تكن عبد الله القاتل.

١ - وقاه وقاية: أي حفظه (الصحاح ج٦ ص٢٥٢٧).

٢ - سورة طه (٨٤).

الفقار حملةً منكرة ثلاث مرات، كل حملة يضرب به حتى يعوج متنه ثم يخرج فيسويه بركبتيه، ثم يحمل به حتى أفناهم.

وقد بين ابن أبي الحديد أن أمير المؤمنين عليه السلام قد بالغ في نصح الخوارج قبل أن يشرع في حربهم منه ما ذكره في الجزء٢ (صفحة٢٨٣):حيث قال:وروى محمد بن حبيب، قال: خطب علي عليه السلام الخوارج يوم النهر، فقال لهم: نحن أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وعنصر الرحمة، ومعدن العلم والحكمة، نحن أفق[1] الحجاز، بنا يلحق البطيء، وإلينا يرجع التائب، أيها القوم، إني نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأهضام هذا الوادي إلى آخر الفصل.

٩ ـ (أنه عليه السلام أكمل الناس عدالة بعد النبي صلى الله عليه وآله):

وذكر ابن أبي الحديد في الجزء السادس (صفحة ٣٧٠) تعريف العدالة وأقسامها وانطباقها عليه عليه السلام بجميع أقسامها قائلاً:

والعدالة: ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقاً لا تخلقاً.

وأقسام العدالة ثلاثة، هي الأصول وما عداها من الفضائل فروع عليها:

الأولى الشجاعة، ويدخلُ فيها السخاءُ لأنه شجاعةٌ وتمويٌن للمال، كما أن الشجاعة الأصلية تمويٌن للنفسِ، فالشجاع في الحرب جواد بنفسه، والجواد بالمال شجاعٌ في إنفاقه، ولهذا قال الطائي:

---

١ – أفق كفرح: بلغ النهاية في الكرم، أو في العلم، أو في الفصاحة، وجميع الفضائل فهو آفق وأفيق وآفقة (الصحاح ج٤ ص١٤٤٦).

أيقنت أن من السماح شجاعة تدمى وأن من الشجاعة جودا[1]

والثانية: الفقه، ويدخل فيها القناعة والزهد والعزلة.

والثالثة: الحكمة، وهي أشرفها. ولم تحصل العدالة الكاملة لأحد من البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا لهذا الرجل، ومن أنصف علم صحة ذلك، فإن شجاعته وجوده، وعفته وقناعته وزهده، يضرب بها الأمثال. وأما الحكمة والبحث في الأمور الإلهية، فلم يكن من فن أحدٍ من العرب، ولا نقل في جهاد أكابرهم وأصاغرهم شيءٌ من ذلك أصلاً، وهذا فن كانت اليونان وأوائل الحكماء وأساطين[2] الحكمة، ينفردون به، وأول من خاض فيه من العرب علي (عليه السلام)، ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل، مبثوثة عنه في فرش[3] كلامه وخطبه، ولا تجد في كلام أحد من الصحابة، والتابعين كلمة واحدة من ذلك، ولا يتصورونه، ولو فهموه لم يفهموه[4]، وأنى للعرب ذلك! ولهذا انتسب المتكلمون الذين لجوا في بحار المعقولات، إليه خاصة دون غيره، وسموه أستاذهم ورئيسهم، واجتذبته كل فرقة من الفرق إلى نفسها، ألا ترى أن أصحابنا ينتمون إلى واصل بن عطاء، وواصل تلميذ أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه محمد، ومحمد تلميذ أبيه علي (عليه السلام). فأما الشيعة من

---

١ - البيت لأبي تمام، ديوانه (ج١ ص٤٢٣).

٢ - أساطين جمع اسطوانة (الصحاح ج٥ ص٢١٣٥): وهي القاعدة والركيزة

٣ - فرشت الشيء أفرشه فراشا: بسطته (الصحاح ج٢ ص١٠١٤)

٤ - الظاهر بدل يفهموه (يفقهوه)

الإمامية والزيدية والكيسانية، فانتماؤهم إليه ظاهر. وأما الأشعرية فإنهم بأخرة ينتمون إليه أيضاً، لأن أبا الحسن الأشعري تلميذ شيخنا أبي علي رحمه الله تعالى، وأبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام،

وأبو يعقوب تلميذ أبي الهذيل، وأبو الهذيل تلميذ أبي عثمان الطويل، وأبو عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء، فعاد الأمر إلى أن الأشعرية إلى علي (عليه السلام). وأما الكرامية فإن ابن الهيصم ذكر في كتاب المقالات أن أصل مقالتهم وعقيدتهم تنتهي إلى علي (عليه السلام) من طريقين:

أحدهما: بأنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ، إلى أن ينتهي إلى سفيان الثوري، ثم قال: وسفيان الثوري من الزيدية، ثم سأل نفسه فقال: إذا كان شيخكم الأكبر الذي تنتمون إليه كان زيدياً، فما بالكم لا تكونون زيديه؟ وأجاب بأن سفيان الثوري رحمه الله تعالى، وإن أشهر عنه الزيدية، إلا أن تزيده إنما كان عبارة عن موالاة أهل البيت، وإنكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم، وإجلال زيد بن علي وتعظيمه، وتصوينه في أحكامه وأحواله، و لم ينقل عن سفيان الثوري أنه طعن في أحد من الصحابة.

الطريق الثاني: أنه عد مشايخهم واحداً فواحدا، حتى انتهى إلى علماء الكوفة من أصحاب علي، كسلمة بن كهيل، وحبة العرني، وسالم بن الجعد، والفضل بن دكين، وشعبة، والأعمش، وعلقمة، وهبيرة بن مريم، وأبي إسحاق الشعبي، وغيرهم، ثم قال: وهؤلاء أخذوا العلم من علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهو رئيس الجماعة

- يعني أصحابه، وأقوالهم منقولة عنه ومأخوذة منه. وأما الخوارج فانتماؤهم إليه ظاهر أيضاً، مع طعنهم فيه، لأنهم كانوا أصحابه،

وعنه مرقوا، بعد أن تعلموا عنه واقتبسوا منه، وهم شيعته وأنصاره بالجمل وصفين، ولكن الشيطان ران على قلوبهم، وأعمى بصائرهم[1].

رابعاً - (أنه عليه السلام من عترة النبي صلى الله عليه وآله):

وذكر ابن أبي الحديد خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في الجزء السادس (صفحة ٣٧٢):

الأصل[2]: وآخر قد تسمى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف[3] الحق على أهوائه، يؤمن الناس من العظائم، ويهون كبير الجرائم، يقول: أقف عند الشبهات - وفيها وقع، ويقول: أعتزل البدع - وبينها اضطجع، فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه، وذلك ميتُ الأحياءِ. فأين تذهبون! وأنى تؤفكون! والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين

---

١ - هولاء الذين ذكرهم ابن أبي الحديد منهم من يعتقد بأفضلية أمير المؤمنين (عليه السلام) على سائر الصحابة، وبعضهم يعتقد بإمامته لكن أن الجميع أخذ عنه وينتسب إليه كما ذكر هو فغير صحيح، ولو صح لوجدت الناس أمة واحدة وليس بصحيح.

٢ - أي من خطب نهج البلاغة.

٣ - عط الثوب يعطه عطا، أي شقه طولاً (الصحاح ج٣ ص١١٤٣).

يتاه بكم! وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم! وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، ورِدُوهم[1] ورود الهيم[2] العطاش. أيها الناس، خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه! إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلى منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون، وأعذروا من لا حجة لكم عليه - وهو - أنا - ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر قد ركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي. فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا تتغلغل[3] إليه الفكر.

قال ابن أبي الحديد في الجزء السادس (صفحة ٣٧٣) في شرح هذه الخطبة:

الجهائل: جمع جهالة، كما قالوا علاقة وعلائق. والأضاليل: الضلال، جمع لا واحد له من لفظه. وقوله: (وقد حمل الكتاب على آرائه)، يعني قد فسر الكتاب وتأوّله على مقتضى هواه وقد أوضح ذلك بقوله: (وعطف الحق على أهوائه).

---

١ - ورد فلان ورودا: حضر، وأورده غيره، واستورده: أي أحضره (الصحاح ج٢ ص٥٤٩). رِدُوهم: أي إعتوا إليهم.

٢ - الهيام: الإبل العطاش (الصحاح ج٥ ص٢٠٦٣).

٣ - والغلغلة: سرعة السير (الصحاح ج٥ ص١٧٨٣).

وقوله: (يؤمن الناس من العظائم)، فيه تأكيد لمذهب أصحابنا في الوعيد، وتضعيف لمذهب المرجئة، الذين يُؤمِّنون الناس من عظائم الذنوب، ويمنّونهم العفو، مع الإصرار وترك التوبة، وجاء في الخبر المرفوع المشهور: (الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله). وقوله: (يقول أقف عند الشبهات)، يعني أن هذا المدعي للعلم يقول لنفسه وللناس: أنا واقف عند أدنى شبهة تحرجاً وتورعاً، كما قال صلى الله عليه وآله: (دع ما يريبك إلى مالا يريبك). ثم قال: (وفي الشبهات وقع)، أي بجهله، لأن من لا يعلم الشبهة ما هي، كيف يقف عندها، ويتخرج من الورطة فيها، وهو لا يأمن من كونها غير شبهة على الحقيقة! وقوله: (اعتزل البدع، وبينها اضطجع)، إشارة إلى تضعيف مذاهب العامة والحشوية الذين رفضوا النظر العقلي، وقالوا: نعتزل البدع. وقوله: (فالصورة صورة إنسان..) وما بعده، فمراد بالحيوان هاهنا الحيوان الأخرس كالحمار والثور، وليس يريد العموم، لأن الإنسان داخل في الحيوان، وهذا مثل قوله تعالى: {**إِنْ هُمْ إِلاَّ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**}[1].

وقال الشاعر:

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أونقصه في التكلم

---

١ - سورة الفرقان (٤٤).

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[1]

قوله: (وذلك ميت الأحياء) كلمة فصيحة، وقد أخذها شاعر فقال:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء[2]

إلا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد لجلهه، والشاعر أراد لبؤسه. وتؤفكون. تقلبون وتصرفون. والأعلام: المعجزات هاهنا، جمع علم، وأصله الجبل أو الراية والمنارة، تنصب في الفلاة ليهتدي بها. وقوله: (فأين يتاه بكم!) أي أين يذهب بكم في التيه! ويقال: أرض تمياء يتحير سالكها. وتعمهون: تتحيرون وتضلون. وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله: أهله الأدنون ونسله، وليس بصحيح قول من قال: إنهم رهطه وإن بعدوا، وإنما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده (نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وبيضته التي فقئت[3] عنه)، على طريق المجاز، لأنهم بالنسبة إلى الأمصار عترة له لا في الحقيقة، ألا ترى أن العدناني يفاخر القحطاني، فيقول له: أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، ليس يعني أنه ابن عمه على الحقيقة، بل هو بالإضافة إلى القحطاني كأنه ابن عمه، وإنما استعمل ذلك ونطق به مجازاً. فإن قدر مقدر أنه على طريق حذف المضافات، أي ابن إبن عم أب الأب، إلى عدد

---

١ - البيتان ينسبان إلى زهير، ملحق ديوانه (من مجموعة الثمين ص١٩٢).

٢ - لابن الرعناي، الكامل لابن الأثير (ص٣٢٦).

٣ - تفقأت السحابة عن مائها: تشققت (الصحاح ج١ ص٦٣)

كثير في البنين والآباء، فكذلك أراد أبو بكر أنهم عترة أجداده، على طريق حذف المضاف. وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله عترته من هي، لما قال: (إني تارك فيكم الثقلين)، فقال: (عترتي أهل بيتي)، وبين في مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم كساء. وقال حين نزلت: {إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}[1]: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم). فإن قلت: فمن هي العترة التي عناها أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الكلام؟ قلت: نفسه وولداه، والأصل في الحقيقة نفسه، لأن ولديه تابعان له، ونسبتهما إليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة، وقد نبه النبي صلى الله عليه وآله على ذلك بقوله: (وأبوكما خير منكما). وقوله: (وهم أزمّة الحق): جمع زمام، كأنه جعل الحق دائراً معهم حيثما داروا وذاهباً معهم حيثما ذهبوا، كما أن الناقة طوع زمامها، وقد نبه الرسول صلى الله عليه وآله على صدق هذه القضية بقوله: (وأدر الحق معه حيث دار). وقوله: (وألسنة الصدق) من الألفاظ الشريفة القرآنية، قال الله تعالى: {وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلآخِرِينَ}[2] لما كان لايصدر عنهم حكم ولا قول إلا وهو موافق للحق، والصواب جعلهم كأنهم ألسنة صدق لا يصدر عنها قول كاذب أصلاً، بل هي كالمطبوعة على الصدق. وقوله: (فأنزلوهم منازل القرآن) تحته سر عظيم، وذلك أنه

---

١ - سورة الأحزاب (٣٣).

٢ - سورة الشعراء (٨٤).

أمر المكلفين بأن يجروا العترة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها، والطاعة لأوامرها مجرى القرآن[1].

(أنه عليه السلام معصوم):

فإن قلت: فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة، فما قول أصحابكم في ذلك؟ قلت: نص أبو محمد بن متويه رحمه الله تعالى في كتاب الكفاية على أن علياً (عليه السلام) معصوم.

ثم قال بأن: أدلة النصوص قد دلت على عصمته، والقطع على باطنه ومغيبه، وأن ذلك أمر اختص هو به دون غيره من الصحابة[2].

وذكر في موضع آخر حول ورع أمير المؤمنين عليه السلام مبيناً أنه لم يسبقه أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طاعة الله والورع عن معاصيه قائلاً:

(روي عن جماعة من الصحابة والتابعين اللعب بالنرد والشطرنج، ومنهم من روي عنهم شرب النبيذ وسماع الغناء المطرب فأما أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فإذا نظرت إلى كتب الحديث والسير،

لم تجد أحداً من خلق الله، عدواً ولا صديقاً روى عنه شيئاً من هذا الفن، لا قولاً ولا فعلاً[1].

---

١ - وهذا تأكيد لما ذكره النبي صلى الله عليه وآله في قوله: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (الاحتجاج ج٢ ص١٤٧).

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٦ ص٣٧٧).

(أن جسده عليه السلام لا يفنى):

ثم قال: (وردوهم ورود الهيم العطاش)، أي كونوا ذوي حرص وانكماش على أخذ العلم والدين منهم، كحرص الهيم الظماء على ورود الماء. ثم قال: (أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين) إلى قوله: (وليس ببال) هذا الموضع يحتاج إلى تلطف في الشرح، لأن لقائل أن يقول: ظاهر هذا الكلام متناقض، لأنه قال: (يموت من مات منا وليس بميت)، وهذا كما تقول: يتحرك المتحرك، وليس بمتحرك، وكذلك قوله: (ويبلى من بلي منا، وليس ببال)، ألا ترى أنه سلب وإيجاب لشيء واحد!

فإن قلتم: أراد بقاء النفس بعد موت الجسد، كما قاله الأوائل وقوم من المتكلمين: قيل لكم، فلا اختصاص للنبي ولا لعلي بذلك، بل هذه قضية عامة في جميع البشر، والكلام خرج مخرج التمدح والفخر. فنقول في الجواب: إن هذا يمكن أن يحمل على وجهين: أحدهما: (أن يكون النبي صلى إليه عليه وآله وعلي ومن يتلوهما من أطايب العترة أحياء بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها، قد رفعهم الله تعالى إلى ملكوت سماواته، وعلى هذا لو قدرنا أن محتفراً احتفر تلك الأجداث الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الأبدان في الأرض، وقد روي في الخبر النبوي صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وهو قوله: (إن الأرض لم تسلّط عليَّ، وأنها لا تأكل لي لحماً ولا تشرب لي دماً) نعم يبقى الإشكال في

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٦ ص٣٣٧).

قوله: (ويبلى من بلي منا وليس ببال)، فإنه إن صح هذا التفسير في الكلام الأول، وهو قوله: (يموت من مات منا وليس بميت)، فليس يصح في القضية الثانية، وهي حديث البلاء، لأنها تقتضي أن الأبدان تبلى وذاك الإنسان لم يبل، فأحوج هذا الإشكال إلى تقدير فاعل محذوف، فيكون تقدير الكلام، يموت من مات حال موته وليس بميت فيما بعد ذلك من الأحوال والأوقات، ويبلى كفن من بلي منا وليس هو ببال، فحذف المضاف كقوله: (وإلى مدين)، أي وإلى أهل مدين، ولما كان الكفن كالجزء من الميت لاشتماله عليه عبر بأحدهما عن الآخر للمجاورة والاشتمال، كما عبروا عن المطر بالسماء، وعن الخارج المخصوص بالغائط، وعن الخمر بالكأس. ويجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى: {**حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ**}[1]، و {**فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ**}[2]. وقول حاتم: (إذا حشرجت)[3] وحذف الفاعل كثير. والوجه الثاني أن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحي الفعال أجزاء أصلية في هذه البنية المشاهدة، وهي أقل ما يمكن أن تأتلف منه البنية التي معها يصح كون الحي حياً، وجعلوا الخطاب متوجهاً نحوها، والتكليف وارد عليها وما عداها من الأجزاء فهي فاضلة ليست داخلة في حقيقة الإنسان، وإذا صح ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء والأوصياء، فيرفعها إليه بعد

---

١ – سورة ص (٣٢).

٢ – الواقعة (٨٣).

٣ – لعمرك ما تغني الثراء على الفتى ❁ إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها في الدار الأولى، كما قال من ذهب إلى قيامة الأنفس والأبدان معاً، فتنعم عنده وتلتذ بضروب اللذات الجسمانية، ويكون هذا مخصوصاً بهذه الشجرة[1].

خامساً ـ (أن علياً عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله والنبي منه):

قال ابن أبي الحديد في الجزء السابع (صفحة ٢٢٠) يصف الشبه بين النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام:

واعلم أنه إن أراد بقوله: "نحن مختلف الملائكة" جماعة من جملتها رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا ريب في صحة القضية وصدقها، وإن أراد بها نفسه وابنيه فهي أيضاً صحيحة، ولكن مدلوله مستنبط، فقد جاء في الأخبار الصحيحة، أنه قال: "يا جبريل، إنه مني وأنا منه"، فقال جبريل: وأنا منكما. وروى أبو أيوب الأنصاري مرفوعاً: "لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين لم تصل على ثالثٍ لنا"، وذلك قبل أن يظهر أمر الإسلام ويتسامع الناس به.

وفي خطبة الحسن بن علي (عليه السلام) لما قبض أبوه: "لقد فارقكم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، كان يبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله للحرب وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره".

---

١ – هذا التعليل الذي ذكره ابن أبي الحديد فيه أخطاء وتمحلات كثيرة حله عند أصحابنا الذين تمسكوا بعترة النبي صلى الله عليه وآله يدور حوله كلام طويل خارج عن غرض هذا الكتاب.

وجاء في الحديث أنه سُمِعَ يوم أحد صوت من الهواء من جهة السماء، يقول: "لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي"، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "هذا صوت جبريل". فأما قوله: "ومعادن العلم، وينابيع الحكم" يعني الحكمة أو الحكم الشرعي، فإنه وإن عنى بها نفسه وذريته، فإن الأمر فيها ظاهر جداً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب"، وقال: "أقضاكم علي" والقضاء أمر يستلزم علوماً كثيرة. وجاء في الخبر أنه بعثه إلى اليمن قاضياً، فقال: يا رسول الله، إنهم كهول وذوو أسنان وأنا فتى، وربما لم أصب فيما أحكم به بينهم، فقال له: "اذهب فإن الله سيثبت قلبك ويهدي لسانك". وجاء في تفسير قوله تعالى: {**وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**}[1]: سألت الله أن يجعلها أذنك ففعل. وجاء في تفسير قوله تعالى: {**أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ**}[2] أنها أنزلت في علي (عليه السلام)، وما خص به من العلم.

وجاء في تفسير قوله تعالى: {**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ**}[3]: أنَّ الشاهد علي (عليه السلام). وروى المحدثون أنه قال لفاطمة: "زوجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأعلمهم علماً". وروى المحدثون أيضاً عنه (عليه السلام) أنه قال: "من أراد أن ينظر إلى

---

١ - سورة الحاقة (١٢).

٢ - سورة النساء (٥٤).

٣ - سورة هود (١٧).

نوح في عزمه، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب". وبالجملة فحاله في العلم حال رفيعة جداً لم يلحقه أحد فيها ولا قاربه، وحق له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم وينابيع الحكم، فلا أحد أحق بها منه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

سادساً ـ (الرأي والتدبير):

وأما الرأي والتدبير:

فكان من أسد الناس رأياً، وأصحهم تدبيراً، وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار. وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث. وإنما قال أعداؤه: لا رأي له، لأنه كان متقيداً بالشريعة لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه. وقد قال (عليه السلام): لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوفقه، سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن. ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتشار أقرب.

وأما السياسة:

فإنه كان شديد السياسة، خشناً في ذات الله، لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاّه إياه، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به. وأحرق

قوماً بالنار، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ودار جرير بن عبد الله البجلي، وقطع جماعة وصلب آخرين. ومن جملة سياسته في حروبه أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان، وفي أقل القليل منها مقنع، فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل (عليه السلام) في هذه الحروب بيده وأعوانه.

فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبع فعله، والرئيس المقتفى أثره.

سابعاً ـ (أنه ﷺ قدوة للجميع):

وما أقول في رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظمه الفلاسفة على معاندهم لأهل الملة، وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها، حاملاً سيفه، مشمراً لحربه، وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته، وكان على سيف إلب أرسلان وابنه ملكشاه صورته، كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر.

وما أقول في رجل أحب كل واحد أن يتكثر به، وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها: ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً أفضوه إليه، وقصروه عليه وسموه سيد الفتيان، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروي، أنه سمع من السماء يوم أحد: "لا سيف إلا ذو الفقار

ولا فتى إلا علي" وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، قالوا: قلَّ أن يسود فقير، وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسميه الشيخ. وفي حديث عفيف الكندي، لما رأى النبي صلى الله عليه وآله يصلي في مبدأ الدعوة، ومعه غلام وامرأة، قال: فقلت للعباس أي شيءٍ هذا؟ قال: هذا ابن أخي، يزعم أنه رسول من الله إلى الناس، ولم يتبعه على قوله إلا هذا الغلام وهو ابن أخي أيضاً وهذه المرأة، وهي زوجته. قال: فقلت: ما الذي تقولونه أنتم؟ قال: ننتظر ما يفعل الشيخ يعني أبا طالب. وأبو طالب هو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيراً، وحماه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش، ولقي لأجله عنتاً[1] عظيماً، وقاسى[2] بلاءً شديداً، وصبر على نصره والقيام بأمره. وجاء في الخبر أنه لما توفي أبو طالب أوحي إليه (عليه السلام) وقيل له: اخرج منها، فقد مات ناصرك. وله مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمه محمد سيد الأولين والآخرين، وأخاه جعفر ذو الجناحين، الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: "أشبهت خلقي وخلقي" فمر يحجل فرحاً.

وزوجته سيدة نساء العالمين، وابنيه سيدا شباب أهل الجنة، فآباؤه آباء رسول الله، وأمهاته أمهات رسول الله، وهو مسوط بلحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب، وأمهما واحدة، فكان منهما سيد الناس، هذا الأول

---

١ - العنت: الإثم (الصحاح ج١ ص٢٥٨).

٢ - قاساه: أي كابده (الصحاح ج٦ ص٢٤٦٢).

وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهادي!. وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى، وآمن بالله وعبده، وكل من في الأرض يعبد الحجر، ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثامناً ـ (أنه عليه السلام أول الناس اتباعاً للنبي صلى الله عليه وآله):

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه (عليه السلام) أول الناس إتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله إيماناً به، ولم يخالف في ذلك إلا الأقلون. وقد قال هو (عليه السلام): أنا الصديق الأكبر، وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام الناس، وصليت قبل صلاتهم. ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق ذلك وعلمه واضحاً. وإليه ذهب الواقدي، وابن جرير الطبري، وهو القول الذي رجَّحه ونصره صاحب كتاب"الاستيعاب". ولأنا إنما نذكر في مقدمة هذا الكتاب جملة من فضائله عنّت[1] بالعرض لا بالقصد، وجب أن نختصر ونقتصر، فلو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل حجم هذا بل يزيد عليه، وبالله التوفيق[2].

وقال في موضع آخر: اتفقت الرواة كلها على أنه (عليه السلام) قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض، فقسمه بين أصحابه، وأنهم قالوا له: اقسم بيننا أهل البصرة

---

١ - عنوت الشيء: أخرجته وأظهرته (الصحاح ج٦ ص٢٤٤٠).

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص٣٠).

فاجعلهم رقيقاً، فقال: لا، فقالوا: فكيف تحل لنا دماءهم وتحرم علينا سبيهم! فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام! أما ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله، ولا نصيب لكم في شيء منه، فلما أكثروا عليه قال: فاقرعوا على عائشة، لأدفعها إلى من تصيبه القرعة! فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين! ثم انصرفوا[1].

تاسعاً ـ (أنه عليه السلام مذكور في كتب النصارى والأبرار):

قال ابن أبي الحديد في الجزء الثالث (صفحة٢٠٥):

قال نصر[2]: فروى حبة أن علياً (عليه السلام) لما نزل على الرقة، نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته، فقال لعلي (عليه السلام): إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال: نعم، فقرأ الراهب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. الذي قضى فيما قضى، وسطر فيما كتب: أنه باعث في الأميين رسولاً منهم، يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ، ولا صخّاب[3] في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين

---

١ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١ ص٢٥٠).

٢ – (هو المؤرخ الشهير أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقري العطار). قال ابن أبي الحديد: وهو ثبت، صحيح النقل، غير منسوب إلى هوى (الأعلام ج٨ ص٢٨).

٣ – الصخاب: الصياح والجلبة (الصحاح ج١ ص١٦٢).

يحمدون الله على كل نشز[1]، وفي كل صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتكبير والتهليل والتسبيح، وينصره الله على من ناوأه، فإذا توفاه الله، اختلفت أمته من بعده، ثم اجتمعت، فلبثت ما شاء الله، ثم اختلفت، فيمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضي بالحق ولا يركس[2] الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمآن. يخاف الله في السر، وينصح له في العلانية، لا يخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإن القتل معه شهادة.

ثم قال له: أنا مصاحبك، فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى (عليه السلام)، ثم قال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً، الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.

فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغدّى مع أمير المؤمنين ويتعشى، حتى أصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال (عليه السلام): اطلبوه، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه. وقال: هذا منا أهل البيت، واستغفر له مراراً. روى هذا الخبر نصر بن مزاحم في كتاب، (صفين) عن عمر بن سعد، عن مسلم الأعور، عن حبة

---

١ – نشزت المرأة تنشز نشوزاً، إذا استعصت على بعلها وأبغضته (الصحاح ج٣ ص٣٩٩). والمعنى هنا كل أمر مستعص وبغيض.

٢ – الركس: رد الشيء مقلوباً (الصحاح ج٣ ص٩٣٦).

العرني. ورواه أيضاً إبراهيم بن ديزيل الهمداني، بهذا الإسناد عن حبة أيضاً في كتاب صفين.

(أنه عليه السلام يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على التنزيل):

وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب، قال:

حدثني يحيى بن سليمان. حدثني يحيى بن عبد الملك بن حميد بن عتيبة، عن أبيه، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه ومحمد بن فضيل، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبي سعيد الخدري، رحمه الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فانقطع شسع[1] نعله، فألقاها إلى علي (عليه السلام) يصلحها، ثم قال: (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله)، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: لا، فقال عمر بن الخطاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: (لا، ولكنه ذاكم خاصف النعل) - ويد علي (عليه السلام) على نعل النبي صلى الله عليه وآله يصلحها. قال أبو سعيد: فأتيت علياً (عليه السلام) فبشرته بذلك فلم يحفل به، كأنه شيء قد كان علمه من قبل.

وروى ابن ديزيل في هذا الكتاب أيضاً، عن يحيى بن سليمان، عن ابن فضيل، عن إبراهيم الهجري، عن أبي صادق، قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق، فأهدت له الأزد جزراً[2]، فبعثوها معي،

---

١ - الشسع: واحد شسوع النعل التي تشد إلى زمامها (الصحاح ج٣ص١٢٣٧).

٢ - جُزُراً: الشاة السمينة، الواحدة جزرة (الصحاح ج٢ ص٦١٣).

فدخلت إليه فسلمت عليه، وقلت له: يا أبا أيوب، قد كرمك الله عز وجل بصحبة نبيه صلى الله عليه (وآله) وسلم، ونزوله عليك، فما لي أراك تستقبل الناس بسيفك، تقاتلهم هؤلاء مرة وهؤلاء مرة! قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع علي الناكثين، فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين، فهذا وجهنا إليهم -يعني معاوية وأصحابه- وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين، ولم أرهم بعد.

(النبي صلى الله عليه وآله سلم لمن سالم علياً عليه السلام وحرب لمن حاربه):

وروى ابن ديزيل أيضاً في هذا الكتاب، عن يحيى، عن يعلى بن عبيد الحنفي، عن إسماعيل السبدي، عن زيد بن أرقم، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وهو في الحجرة يوحى إليه ونحن ننتظره حتى اشتد الحر، فجاء علي بن أبي طالب ومعه فاطمة وحسن وحسين عليهما السلام، فقعدوا في ظل حائط ينتظرونه، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله، رآهم فأتاهم ووقفنا نحن مكاننا، ثم جاء إلينا وهو يظلهم بثوبه، ممسكاً بطرف الثوب، وعلي ممسك بطرفه الآخر، وهو يقول: (اللهم إني أحبهم، فأحبهم، اللهم إني سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم) قال: فقال ذلك ثلاث مرات.

قال إبراهيم في الكتاب المذكور: وحدثنا يحيى بن سليمان، قال: حدثنا ابن فضيل، قال: حدثنا الحسن بن الحكم النخعي، عن رباح بن الحارث النخعي، قال: كنت جالساً عند علي (عليه السلام)،

إذ قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال لهم: أو لستم قوماً عرباً! قالوا: بلى، ولكنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله) قال: فلقد رأيت علياً (عليه السلام) ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا. ثم إن القوم مضوا إلى رحالهم فتبعتهم، فقلت لرجل منهم: من القوم؟ قالوا: نحن رهط من الأنصار، وذاك - يعنون رجلاً منهم - أبو أيوب صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فأتيته فصافحته.

عاشراً - (إخباره عليه السلام بالمغيبات):

قال ابن أبي الحديد في الجزء الأول (صفحة ٢٤٧):

١) قال أبو الأسود الدؤلي، لما ظهر علي (عليه السلام) يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال: غري غيري، مراراً، ثم نظر إلى المال، وصعد فيه بصره وصوب، وقال: اقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة، فقسم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهما، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم، والناس اثنا عشر ألفاً. قسم علي (عليه السلام) بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم، فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة، فقال: يا أمير المؤمنين،

كنت شاهداً معك بقلبي، وإن غاب عنك جسمي، فاعطني من الفيء شيئاً. فدفع إليه الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم، ولم يصب من الفيء شيئاً.

٢) وذكر المدائني في كتاب الخوارج قال: لما خرج علي عليه السلام إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض، حتى انتهى إلى علي عليه السلام فقال: البشرى يا أمير المؤمنين، قال: ما بشراك؟ قال إن القوم عبروا النهر لمبلغهم وصولك، فأبشر، فقد منحك الله أكتافهم، فقال له: آلله أنت رأيتهم قد عبروا! قال نعم، فاحلفه ثلاث مرات، في كلها يقول: نعم فقال علي عليه السلام: والله ما عبروه ولن يعبروه، وإن مصارعهم لدون النطفة[1]، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لن يبلغوا إلا ثلاث، ولا قصر بوازن، حتى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى قال: ثم أقبل فارس آخر يركض، فقال كقول الأول، فلم يكترث علي عليه السلام بقوله، وجاءت الفرسان تركض كلها تقول مثل ذلك، فقام علي عليه السلام فجال في متن فرسه قال: فيقول شاب من الناس: والله لأكونن قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان هذا الرمح في عينه، أيدعي علم الغيب! فلما انتهى عليه السلام إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وعرقبوا خيلهم، وجثوا على ركبهم، وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل. فنزل ذلك الشاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إني كنت شككت فيك آنفاً، وإني

---

١ - النطفة: الماء الصافي، قل أو كثر. الجمع النطاف (الصحاح ج٤ ص١٤٣٤).

تائب إلى الله واليك، فاغفر لي، فقال علي عليه السلام: إن الله هو الذي يغفر الذنوب فاستغفره[1].

٣) ثم بين ابن أبي الحديد أن مقتضى إخباره عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل وليس هو مجرد تكهن أو حث على الإقدام كما يفعل أهل الكهانة والسحر أو قادة الجيوش فقال:

وقال (عليه السلام) لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إن القوم قد عبروا جسر النهروان: مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة قال الرضي رحمه الله: يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جماً، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه. الشرح: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة، لاشتهاره ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب. والأخبار على قسمين: أحدهما: الأخبار المجملة، ولا إعجاز فيها، نحو أن يقول الرجل لأصحابه: إنكم ستنصرون على هذه الفئة التي تلقونها غداً، فإن نصر جعل ذلك حجه له عند أصحابه، وسماها معجزة، وإن لم ينصر، قال: لهم تغيرت نياتكم وشككتم في قولي، فمنعكم الله نصره، ونحو ذلك من القول، ولأنه قد جرت العادة أن الملوك والرؤساء يعدون أصحابهم بالظفر والنصر، ويمنونهم الدول، فلا يدل وقوع ما يقع من ذلك على إخبار عن غيب يتضمن إعجازاً. والقسم الثاني: في الأخبار

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٥ ص٣).

المفصلة عن الغيوب، مثل هذا الخبر، فإنه لا يحتمل التلبيس، لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه، من غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة الله سبحانه. والقوه البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا[1].

١ - (سلوني قبل أن تفقدوني):

وقال ابن أبي الحديد في الجزء الثاني (صفحة ٢٨٦):

روى ابن هلال الثقفي في كتاب الغارات عن زكريا بن يحيى العطار، عن فضيل، عن محمد بن علي، قال: لما قال علي عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألونني عن فئة تضل مائة، وتهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقتها[2] وسائقتها، قام إليه رجل فقال: أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقه شعر، فقال له علي عليه السلام: والله لقد حدثني خليلي أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وإن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وإن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا يحبو[3]، وهو سنان بن أنس النخعي. وروى الحسن بن محبوب عن ثابت المالي، عن سويد بن غفلة أن علياً عليه السلام، خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره، فقال:

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٥ ص٥).

٢ - النعيق: صوت الراعي بغنمه. نعق الراعي أي صاح بها وزجرها (الصحاح ج٤ ص١٥٥٩).

٣ - الظاهر أنها يحبو. من حبا، حبا الصبي على استه حبوا إذا زحف (الصحاح ج٦ ص٢٣٠٨).

يا أمير المؤمنين، إني مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له، فقال عليه السلام: والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمار. فقام رجل آخر من تحت المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حمار، وإني لك شيعة ومحب، فقال: أنت حبيب بن حمار؟ قال: نعم، فقال له ثانية: والله إنك لحبيب بن حمار؟ فقال: إي والله! قال: أما والله إنك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب. وأشار بها إلى باب الفيل بمسجد الكوفة قال ثابت: فو الله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام، وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحبيب بن حمار صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل[1]

ومن ذلك أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه، وهو يخطب على المنبر ويقول: (سلوني قبل أن تفقدوني، فو الله لا تسألوني عن فئة تضل مائة، أو تهدي مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه). فقال: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال له: أما والله إني لأعلم ذلك، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به ولقد أخبرتك بقيامك ومقالك. وقيل لي إن على كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك وشيطاناً يستفزك، وآية ذلك أن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج١٠ ص١٤).

(وآله) وسلم، ويحض على قتله(قتاله). فكان الأمر بموجب ما أخبر به (عليه السلام)، كان ابنه حصين - بالصاد المهملة - يومئذ طفلاً صغيراً يرضع اللبن، ثم عاش إلى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد، وأخرجه عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين (عليه السلام) ويتوعده على لسانه إن أرجأ ذلك، فقتل (عليه السلام) صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته.

ومن ذلك قوله (عليه السلام) للبراء بن عازب يوماً: يا براء، أيقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره! فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين. فلما قتل الحسين (عليه السلام) كان البراء يذكر ذلك، ويقول: أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأقتل دونه.

وقال ابن أبي الحديد في الجزء ١٣ (صفحة ١٠٦):

أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة، ولا أحد من العلماء (سلوني) غير علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ذكر ذلك ابن عبد البر المحدث في كتاب "الاستيعاب". والمراد بقوله (فلأنا أعلم بطرق السماء مني بطرق الأرض)، ما اختص به من العلم بمستقبل الأمور، ولا سيما في الملاحم والدول، وقد صدَّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكررة، لا مرة ولا مائة مرة، حتى زال الشك والريب في أنه إخبار عن علم، وأنه ليس على طريق الاتفاق، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب. وقد تأوله قوم على وجه آخر قالوا أراد أنا بالأحكام الشرعية والفتاوى الفقهية أعلم مني بالأمور الدنيوية ؛ فعبر عن تلك بطرق السماء،

لأنها أحكام إلهية، وعبر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الأمور الأرضية. والأول أظهر، لأن فحوى الكلام وأوله يدل على أنه المراد.

٢ ـ (قصة وقعت لأحمد الوعاظ ببغداد):

وقال ابن أبي الحديد في غير موضع:

وعلى ذكر قوله (عليه السلام) (سلوني)، حدثني من أثق به من أهل العلم حديثاً، وإن كان فيه بعض الكلمات العامية، إلا أنه يتضمن ظَرَفاً[1] ولُطْفاً، ويتضمن أيضاً أدباً.

قال كان ببغداد في صدر أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بالله، واعظ مشهور بالحذق[2] ومعرفة الحديث والرجال، وكان يجتمع إليه تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد ومن فضلائها أيضاً، وكان مشتهراً بذم أهل الكلام وخصوصاً المعتزلة وأهل النظر، على قاعدة الحشوية، ومبغضي أرباب العلوم العقلية، وكان أيضاً منحرفاً عن الشيعة برضا العامة بالميل عليهم، فاتفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من يبكته ويسأله تحت منبره، ويخجله ويفضحه بين الناس في المجلس، وهذه عادة الوعاظ ؛ يقوم إليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها، وسألوا عمن ينتدب لهذا، فأشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبد العزيز الكزي،

---

١ ـ الظَرَف: الكياسة (الصحاح ج٤ ص١٣٩٨).

٢ ـ الحذق: المهارة في الشيء (الصحاح ج٢ ص٨٢١).

كان له لسن[1]، ويشتغل بشيء يسير من كلام المعتزلة، ويتشيع، وعنده قحة[2]، وقد شدا أطرافاً من الأدب، وقد رأيت أنا هذا الشخص في آخر عمره، وهو يومئذ شيخ والناس يختلفون إليه في تعبير الرؤيا، فأحضروه وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك، فأجابهم، وجلس ذلك الواعظ في يومه الذي جرت عادته بالجلوس فيه، واجتمع الناس عنده على طبقاتهم، حتى امتلأت الدنيا بهم، وتكلم على عادته فأطال، فلما مر في ذكر صفات البارئ سبحانه في أثناء الوعظ، قام إليه الكزي، فسأله أسئلة عقلية، على منهاج كلام المتكلمين من المعتزلة، فلم يكن للواعظ عنها جواب نظري، وإنما دفعه بالخطابة والجدل، وسجع الألفاظ ؛ وتردد الكلام بينهما طويلاً، وقال الواعظ في آخر الكلام:

أَعيُنُ المعتزلةِ حُولٌ ... وصوتي في مسامعهم طُبُولٌ

وكلامي في أفئدتهم نصول[3] ... يا من بالاعتزال يصول[4]

ويحك كم تحوم وتجول؟ ... حول من لا تدركه العقول!

كم أقول، كم أقول! ... خلوا هذا الفضول!

---

١ - لَسَنٌ: كثير القول (الصحاح ج٥ ص١٨٠٦).

٢ - الأصمعي: القُحُّ: الخالص في اللؤم أو الكرم (الصحاح ج١ ص٣٩٤).

٣ - النصل: نصل السهم والسيف والسكين والرمح والجمع نصول ونصال (الصحاح ج٥ ص١٨٣٠).

٤ - صال عليه: إذا استطال، وصال عليه: وثب (الصحاح ج٥ ص١٧٤٦).

فارتج المجلس، وصرخ الناس، وعلت الأصوات، وطاب الواعظ وطرب، وخرج من هذا الفصل إلى غيره فشطح[1] شطح الصوفية، وقال سلوني قبل أن تفقدوني، وكررها ؛ فقام إليه الكزي، فقال يا سيدي ما سمعنا أنه قال هذه الكلمة إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتمام الخبر معلوم، وأراد الكزي بتمام الخبر قوله (عليه السلام) (لا يقولها بعدي إلا مُدَّعٍ).

فقال الواعظ وهو في نشوة طربه، وأراد إظهار فضله ومعرفته برجال الحديث والرواة من علي بن أبي طالب؟ أهو علي بن أبي طالب بن المبارك النيسابوري أم علي بن أبي طالب ابن إسحاق المروزي أم علي بن أبي طالب بن عثمان القيرواني أم علي بن أبي طالب ابن سليمان الرازي وعد سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث، كلهم علي بن أبي طالب فقام الكزي، وقام من يمين المجلس آخر، ومن يسار المجلس ثالث، انتدبوا له، وبذلوا أنفسهم للحمية ووطنوها على القتل.

فقال الكزي اشا يا سيدي فلان الدين، اشا صاحب هذا القول هو علي بن أبي طالب زوج فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام، وإنْ كنت ما عرفته بعد بعينه، فهو الشخص الذي لما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأتباع والأذناب آخى بينه وبين نفسه،

---

١ – شطح، بكسر أوله وثانيه المشدد: زجر للعريض من أولاد المعز (لسان العرب ج٢ ص٤٩٨).

وأسجل[1] على أنه نظيره ومماثله، فهل نقل في جهازكم أنتم من هذا شيء أو نبت تحت خبكم من هذا شيء. فأراد الواعظ أن يكلمه، فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن، وقال يا سيدي فلان الدين، محمد بن عبد الله كثير في الأسماء، ولكن ليس فيهم من قال له رب العزة {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ}[2] وكذلك علي بن أبي طالب كثير في الأسماء، ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي). وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن مُيِّزوا في الخلائق.

فالتفت إليه الواعظ ليكلمه، فصاح عليه القائم من الجانب الأيسر، وقال يا سيدي فلان الدين، حقك تجهله، أنت معذور في كونك لا تعرفه:

وإذا خفيت على الغبي فعاذر ألا ترانى مقلة عمياء

فاضطرب المجلس وماج كما يموج البحر، وافتتن الناس، وتواثبت العامة بعضها إلى بعض، وتكشفت الرؤوس، ومزقت الثياب، ونزل الواعظ، واحتمل حتى ادخل دارا أغلق عليه بابها، وحضر أعوان السلطان فسكنوا الفتنة، وصرفوا الناس إلى منازلهم وأشغالهم، وأنفذ الناصر لدين الله في آخر نهار ذلك اليوم، فأخذ أحمد بن عبد العزيز

---

١ – سجلت الماء فانسجل، أي صببته فانصب. وأسجلت الحوض: ملأته (الصحاح ج٥ ص١٧٢٥).

٢ – سورة النجم (٢ – ٤).

الكزي والرجلين اللذين قاما معه، فحبسهم أياماً لتطفأ ثائرة الفتنة. ثم أطلقهم.

وروى محمد بن إسماعيل بن عمرو البجلي، قال: أخبرنا عمرو بن موسى الوجيهي، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، قال: قال علي عليه السلام على المنبر: ما أحد جرت عليه المواسي[1] إلا وقد أنزل الله فيه قرآناً.

فقام إليه رجل من مبغضيه فقال له: فما أنزل الله تعالى فيك؟ فقام الناس إليه يضربونه، فقال: دعوه، أتقرأ سورة هود؟ قال: نعم، قال: فقرأ عليه السلام: {أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ}[2] ثم قال: الذي كان على بينة من ربه محمد صلى الله عليه وآله، والشاهد الذي يتلوه أنا.

وروى عثمان بن سعيد، عن عبد الله بن بكير، عن حكيم بن جبير، قال: خطب علي عليه السلام فقال في أثناء خطبته: أنا عبد الله، وأخو رسوله، لا يقولها أحد قبلي ولا بعدي إلا كذب، ورثت نبي الرحمة، ونكحت سيدة نساء هذه الأمة، وأنا خاتم الوصيين، فقال رجل من عبس: ومن لا يحسن أن يقول مثل هذا! فلم يرجع إلى أهله حتى جن وصرع، فسألوهم: هل رأيتم به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: ما رأينا به قبل هذا عرضاً.

---

١ - حَرَت عليه المَوَاسي أي نَبَتَتْ عانته لأن المواسي إنما تَجْرِي على من أنبت، أراد من بَلَغَ الحُلُم من الكُفّار (لسان العرب باب الميم، ج٦ ص٢٢٤).

٢ - سورة هود (١٧).

وروى محمد بن جبلة الخياط، عن عكرمة، عن يزيد الأحمسي أن علياً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حريس، إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تُعَرَّفْ فوقفت، فقالت لعلي عليه السلام: يا من قتل الرجال، وسفك الدماء وأيتم الصبيان، وأرمل النساء! فقال عليه السلام: وإنما لهي هذه السلقلقة الجلعة المجعة وإنها لهي هذه، شبيهة الرجال والنساء، التي ما رأت دماً قط، قال: فولت هاربة منكسة رأسها، فتبعها عمرو بن حريث، فلما صارت بالرحبة، قال لها: والله لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتى أهب لك وأكسوك، فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها وكشفها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكت وسألته ألا يكشفها، وقالت: أنا والله كما قال، لي ركب النساء، وأنثيان كأنثى الرجال، وما رأيت دماً قط. فتركها وأخرجها. ثم جاء إلى علي عليه السلام فأخبره، فقال: إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني بالمتمردين علي من الرجال والمتمردات من النساء إلى أن تقوم الساعة. قلت السلقلقة: السليطة، وأصله من السلق وهو الذئب، والسلقه: الذئبه. والجلعة المجعة: البذيئة اللسان والركب: منبت العانة.

وروى عثمان بن سعيد، عن شريك بن عبد الله، قال: لما بلغ علياً أن الناس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النبي صلى الله عليه وآله وتفضيله على الناس، قال: أُنشد الله من بقي ممن لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسمع مقاله في

يوم غدير خم[1] إلا قام فشهد بما سمع، فقام ستة ممن عن يمينه، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وستة ممن على شماله من الصحابة أيضاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك اليوم، وهو رافع بيد علي عليه السلام: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر، من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه[2].

٣ - (ذكره عليه السلام للملاحم):

وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التيمي، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، قال: قام أعشى باهلة (أعشى باهلة: اسمه عامر بن الحارث، صاحب، للرثية المشهورة في أخيه -لأمه- المنتشر) وهو غلامٌ يومئذٍ حَدَثٌ، إلى علي عليه السلام، وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة! فقال علي عليه السلام: إن كنت آثما فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟

---

١ - خم: اسم موضع بين مكة والمدينة بالجحفة، (به غدير عرف به) (الصحاح ج٥ ص١٩١٦).
(معجم ما استعجم. البكري الأندلسي ج ٢ص ٣٦٨): غدير خم على ثلاثة أميال من الجحفة، يسرة عن الطريق. وهذا الغدير تصب فيه عين، وحوله شجر كثير ملتف، وهي الغيضة التي تسمى خم. وبين الغدير والعين مسجد النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم، وهناك نخل ابن المعلى وغيره. بغدير خم قال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم لعلي: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه". وذلك منصرفه من حجة الوداع.

٢ - نقله المحب الطبري في الرياض النضرة (٢: ١٦٩) تحدث عن طرقه هناك.

قال: غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك الله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها، قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه. قال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة، وقد أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج، فقّرعه ووبّخه، واستنشده شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس.

وروى محمد بن علي الصواف، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن شمر بن سدير الأزدي قال: قال علي ﷺ لعمرو بن الحمق الخزاعي: أين نزلت يا عمرو؟ قال: في قومي، قال: لا تنزلن فيهم، قال: فأنزل في بني كنانة جيراننا؟ قال: لا. قال: فأنزل في ثقيف؟ قال: فما تصنع بالمعرة والمجرة؟ قال وما هما قال عنقان نار، يخرجان من ظهر الكوفة، يأتي أحدهما على تميم وبكر بن وائل، فقلما يفلت منه أحد، ويأتي العنق الآخر، فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة، فقلّ من يصيب منهم، إنما يدخل الدار فيحرق البيت والبيتين. قال: فأين أنزل؟ قال: أنزل في بني عمرو بن عامر، من الأزد، قال: فقال قوم حضروا هذا الكلام: ما نراه إلا كاهناً يتحدث بحديث الكهنة، فقال: يا عمرو، إنك المقتول بعدي، وإن رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام والويل لقاتلك! أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك، إلاّ هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزد، فإنهم لن يسلموك ولن

يخذلوك، قال: فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب، خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعه، فأسلموه، فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد[1].

وروى إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبة العرني، قال: كان جويرية بن مسهر العبدي صالحاً، وكان لعلي بن أبي طالب صديقاً، وكان علي يحبه، ونظر يوماً إليه وهو يسير، فناداه يا جويرية، الحق بي، فإني إذا رأيتك هويتك.

قال إسماعيل بن أبان فحدثني الصباح، عن مسلم عن حبة العرني، قال: سرنا مع علي عليه السلام يوماً فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيداً، فناداه: يا جويرية، الحق بي لا أبا لك! ألا تعلم أني أهواك وأحبك! قال: فركض نحوه، فقال له: إني محدثك بأمور فاحفظها، ثم اشتركا في الحديث سراً، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين، إني رجل نسي[2]، فقال له: إني أعيد عليك الحديث لتحفظه، ثم قال له في آخر ما حدثه إياه: يا جويرية، أحبب حبيبنا ما أحبنا، فإذا أبغضنا فابغضه، وأبغض بغيضنا ما أبغضنا، فإذا أحبنا فأحبه. قال: فكان ناس ممن يشك في أمر علي عليه السلام يقولون: أتراه جعل جويرية وصيَّه كما يدَّعي هو من وصية رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال: يقولون ذلك لشدة اختصاصه له، حتى دخل على علي عليه السلام يوماً، وهو مضطجع، وعنده قوم من أصحابه، فناداه

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٢ ص٢٨٩).

٢ - رجل نسيان بفتح النون: كثير النسيان للشيء (الصحاح ج٦ ص٢٥٠٨).

جويرية: أيها النائم، استيقظ، فلتضربن على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك، قال: فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وأحدثك يا جويرية بأمرك، أما والذي نفسي بيده لتعتلن[1] إلى العتل[2] الزنيم، فليقطعن يدك ورجلك وليصلبنك تحت جذع كافر، قال: فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن مكعبر، وكان جذعا طويلاً، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه. وروى إبراهيم في كتاب الغارات عن أحمد بن الحسن الميمي، قال: كان ميثم التمار مولى علي بن أبي طالب عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه علي عليه السلام منها وأعتقه، وقال له: ما اسمك؟ فقال: سالم، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم، فقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين، فهو والله اسمي. قال: فارجع إلى اسمك، ودع سالما، فنحن نكنيك به، فكناه أبا سالم. قال: وقد كان قد أطلعه علي عليه السلام على علم كثير، وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة وينسبون علياً عليه السلام في ذلك إلى المخرقة[3] والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه، وفيهم الشاك والمخلص: يا ميثم، إنك تؤخذ بعدي

---

١ – عتلت الرجل أعتله وأعتله، إذا جذبته جذباً عنيفاً (الصحاح ج٥ ص١٧٥٨).

٢ – والعتل: الغليظ الجافي. وقال تعالى: (عتل بعد ذلك زنيم). ورجل عتل بالكسر أي سريع إلى الشر (الصحاح ج٥ ص١٧٥٨).

٣ – التخرق: لغة في التخلق من الكذب (الصحاح ج٤ ص١٤٦٧).

وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دما، حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طعنت بحربة يقضى عليك، فانتظر ذلك. والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة (يعني الأرض) ولأُرِينّك النخلة التي تصلب على جذعها، ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين، وكان ميثم يأتيها، فيصلي عندها، ويقول: بوركت من نخلة، لَكِ خُلِقْتُ، ولي نَبَتِّ، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي عليه السلام، حتى قطعت، فكان يرصد جذعها، ويتعاهده ويتردد إليه، ويبصره، وكان يلقى عمرو بن حريث، فيقول له: إني مجاورك فأحسن جواري، فلا يعلم عمرو ما يريد، فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود، أم دار ابن حكيم؟. قال: وحج في السنة التي قتل فيها، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت له: من أنت؟ قال: عراقي، فاستنسبته، فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب، فقالت: أنت هيثم، قال: بل أنا ميثم، فقالت: سبحان الله! والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن علي، فقالت: هو في حائط[1] له، قال: أخبريه أني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين، إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقاءه، وأريد الرجوع، فدعت بطيب فطيبت لحيته، فقال لها: أما إنها ستخضب بدم، فقالت: من أنباك هذا؟ قال: أنبأني سيدي، فبكت أم سلمة،

---

١ - الحائط: البستان. حوط كرمه تحويطا: بنى حوله حائطاً فهو كرم محوط (الصحاح ج٣ ص١١٢١).

وقالت له: إنه ليس بسيدك وحدك، هو سيدي وسيد المسلمين، ثم ودعته. فقدم الكوفة، فأخذ وأدخل على عبيد الله بن زياد. وقيل له: هذا كان من آثر الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم هذا الأعجمي! قالوا: نعم، فقال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد، قال: قد بلغني اختصاص أبي تراب لك، قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد؟ قال: وإنه ليقال إنه قد أخبرك بما سيلقاك، قال نعم، إنه أخبرني، (قال: ما الذي أخبرك أني صانع بك)؟ قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة، قال: لأخالفنه، قال: ويحك! كيف تخالفه، إنما أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخبر رسول الله عن جبرائيل، وأخبر جبرائيل عن الله، فكيف تخالف هؤلاء! أما والله لقد عرفتُ الموضع الذي أصلب فيه أين هو من الكوفة؟ وإني لأول خلق الله ألجم في الإسلام بلجام، كما يلجم الخيل. فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فقال ميثم للمختار وهما في حبس ابن زياد: إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الجبار الذي نحن في سجنه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخديه. فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد، يأمره بتخلية سبيله، وذاك أن أخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع فأمضى شفاعته، وكتب بتخلية سبيل المختار على البريد، فوافى البريد، وقد أخرج ليضرب عنقه، فأطلق. وأما ميثم فأخرج بعده ليصلب. وقال عبيد الله: لأمضين حكم أبي تراب فيه، فلقيه رجل، فقال له:

ما كان أغناك عن هذا يا ميثم؟ فتبسم، وقال: لها خُلِقْتُ، ولي غُذِيَتْ، فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو: لقد كان يقول لي: إني مجاورك، فكان يأمر جاريته كل عشية أن تكنس تحت خشبته وترشه، وتجمر بالمجمر تحته، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، ومخازي بني أمية، وهو مصلوب على الخشبة، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، فقال: ألجموه، فألجم فكان أول خلق الله ألجم في الإسلام، فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دما كثيراً، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة فمات. وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام. قال إبراهيم: وحدثني إبراهيم بن العباس النهدي، حدثني مبارك البجلي، عن أبي بكر بن عياش، قال: حدثني المجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد، وقد أُتِيَ برشيد الهجري، وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام، فقال له زياد: ما قال خليلك لك إنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي، وتصلبوني، فقال زياد: أما والله لأكذبن حديثه. خلوا سبيله، فلما أراد أن يخرج قال: ردوه لا نجد شيئاً أصلح مما قال لك صاحبك، إنك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه. فقطعوا يديه ورجليه، وهو يتكلم، فقال اصلبوه حنقاً في عنقه، فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال: نفّسوا عني أتكلم كلمة واحدة فنفسوا عنه، فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه.

وروى أبو داود الطيالسي، عن سليمان بن رزيق، عن عبد العزيز بن صهيب قال: حدثني أبو العالية قال: حدثني مزرع صاحب علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: ليقبلن جيش حتى إذا كانوا بالبيداء، خسف بهم. قال أبو العالية: فقلت له: إنك لتحدثني بالغيب! فقال: احفظ ما أقوله لك، فإنما حدثني به الثقة علي بن أبي طالب وحدثني أيضاً شيئاً آخر ليؤخذن رجل فليقتلن وليصلبن بين شرفتين من شرف المسجد، فقلت له: إنك لتحدثني بالغيب! فقال: احفظ ما أقول لك: قال أبو العالية: فوالله ما أتت علينا جمعة، حتى أخذ مزرع، فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد.

قلت: حديث الخسف بالجيش قد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين، عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يعوذ قوم بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء[1] خسف بهم، فقلت: يا رسول الله، لعل فيهم المكره أو الكاره، فقال: يخسف بهم، ولكن يحشرون أو قال: يبعثون على نياتهم (لفظ مسلم: ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته) يوم القيامة.

قال: فسئل أبو جعفر محمد بن علي: أهي بيداء من الأرض؟ فقال: كلا والله إنها بيداء المدينة. أخرج البخاري بعضه وأخرج مسلم[2] الباقي. وروى محمد بن موسى العتري، قال: كان مالك بن ضمرة

---

١ - البيداء: اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة وهي إلى مكة أقرب (معجم البلدان ج١ ص٥٢٣).

٢ - صحيح مسلم (٤: ٢٢٠٩).

الرؤاسي من أصحاب علي عليه السلام وممن استبطن من جهته علماً كثيراً، وكان أيضاً قد صحب أبا ذر، فأخذ من علمه، وكان يقول في أيام بني أمية: اللهم لا تجعلني أشقى الثلاثة، فيقال له: وما الثلاثة؟! فيقول: رجل يرمى من فوق طمار[1]، ورجل تقطع يداه ورجلاه ولسانه ويصلب، ورجل يموت على فراشه. فكان من الناس من يهزأ به، ويقول: هذا من أكاذيب أبي تراب. قال: وكان الذي رمي به من طمار هانئ بن عروة، والذي قطع وصلب رشيد الهجري، ومات مالك على فراشه.

٤ ـ (إخباره عليه السلام عما جرى في كربلاء):

قال ابن أبي الحديد في الجزء الثالث (صفحة ١٩٥):

قال نصر: وحدثنا منصور بن سلام التميمي، قال: حدثنا حيان التيمي، عن أبي عبيدة، عن هرثمة بن سليم، قال: غزونا مع علي (عليه السلام) صفين، فلما نزل بكربلاء صلى بنا، فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها، ثم قال: واهاً لك يا تربة (واهاً لك أيتها التربة)! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. قال: فلما رجع هرثمة من غزاته (من غزوته) إلى امرأته - جرداء بنت سمير - وكانت من شيعة علي (عليه السلام) - حدثها هرثمة فيما حدث، فقال لها: ألا أعجبك من صديقك أبي حسن!

---

١ - طمار، كقطام: المكان المرتفع (الصحاح ج٢ ص٧٢٦).

قال: لما نزلنا كربلاء، وقد أخذ حفنة من تربتها فشمها، وقال: (واهاً لك أيتها التربة! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب): وما علمه بالغيب؟ فقالت المرأة له: دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يقل إلا حقاً. قال: فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين (عليه السلام)، كنت في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى الحسين (عليه السلام) وأصحابه، عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي (عليه السلام)، والبقعة التي رفع إليه من تربتها والقول الذي قاله، فكرهت مسيري، فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين (عليه السلام) فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين: أمعنا أم علينا؟ فقلت: يا بن رسول الله، لا معك ولا عليك، تركت ولدي وعيالي أخاف عليهم من ابن زياد، فقال الحسين (عليه السلام): فولّ هرباً حتى لا ترى مقتلنا، فو الذي نفس حسين بيده لا يرى اليوم مقتلنا أحد ثم لا يعيننا إلا دخل النار. قال: فأقبلت في الأرض أشتد هرباً، حتى خفي عليَّ مقتلهم.

قال نصر: وحدثنا مصعب، قال: حدثنا الأجلح بن عبد الله الكندي عن أبي جحيفة، قال: جاء عروة البارقي إلى سعد بن وهب، فسأله فقال: حديث حدثتناه عن علي بن أبي طالب، قال: نعم بعثني مخنف بن سليم إلى علي عند توجهه إلى صفين، فأتيته بكربلاء، فوجدته يشير بيده، ويقول: هاهنا، هاهنا! فقال له رجل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ثقل لآل محمد ينزل هاهنا، فويل لهم منكم، وويل

لكم منهم! فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار.

قال نصر: وقد روي هذا الكلام على وجه آخر، أنه (عليه السلام) قال: (فويل لكم منهم، وويل لكم عليهم)، فقال الرجل أما (ويل لنا منهم)، فقد عرفناه، فويل لنا عليهم، ما معناه! فقال: ترونهم يقتلون لا تستطيعون نصرتهم. قال نصر: وحدثنا سعيد بن حكيم العبسي، عن الحسن بن كثير، عن أبيه، أن علياً (عليه السلام) أتى كربلاء، فوقف بها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء، فقال: (ذات كرب وبلاء)، ثم أومأ بيده إلى مكان، فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، ثم أومأ بيده إلى مكان آخر، فقال: هاهنا مراق دمائهم، ثم مضى إلى ساباط.

قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، قال: حدثنا سعد بن طريف، عن الأصبغ ابن نباتة، قال: قال علي (عليه السلام): ما يقول الناس في هذا القبر؟ - وفي النخيلة، وبالنخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله - فقال الحسن بن علي عليهما السلام: يقولون هذا قبر هود لما عصاه قومه، جاء فمات هاهنا، فقال: كذبوا، لأنا أعلم به منهم، هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، بِكْرُ يعقوب، ثم قال: أهاهنا أحد من مهرة[1]؟ فأتيَ بشيخ (كبير)، فقال: أين منزلك؟ قال: على شاطئ البحر، قال: أين أنت من الجبل؟ قال: أنا قريب منه، قال: فما

---

١ - مهرة: حي من اليمن وهي بأقصى اليمن (معجم البلدان ج٥ ص١٠٦).

يقول قومك فيه؟ قال: يقولون: إن فيه قبر ساحر، قال: كذبوا، ذاك قبر هود النبي (عليه السلام)، وهذا قبر يهودا بن يعقوب. ثم قال: (عليه السلام): يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرة الشمس، يدخلون الجنة بغير حساب[1].

٥ ـ (خطبة علي عليه السلام بعد يوم النهروان):

وذكر ابن أبي الحديد في الجزء السادس (صفحة ١٣٤):

روى المدائني في كتاب (صفين)، قال: خطب علي (عليه السلام) بعد انقضاء أمر النهروان، فذكر طرفاً من الملاحم، قال: إذا كثرت فيكم الأخلاط[2]، واستولت الأنباط[3]، دنا خراب العراق، ذاك إذا بنيت مدينة ذات أثل[4] وأنهار. فإذا غلت فيها الأسعار، وشيد فيها البنيان، وحكم فيها الفساق، واشتد البلاء، وتفاخر الغوغاء، دنا خسوف البيداء، وطاب الهرب والجلاء. وستكون قبل الجلاء أمور يشيب منها الصغير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح ويبهت اللبيب، يعاجلون بالسيف صلتا، وقد كانوا قبل ذلك في غضارة[5] من عيشهم يمرحون. فيالها مصيبة حينئذٍ! من البلاء العقيم، والبكاء الطويل، والويل والعويل، وشدة الصريخ، في ذلك أمر الله - وهو كائن -

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٣ ص١٩٥).

٢ - الأخلاط: الأوباش من الناس (الصحاح ج٣ ص١٠٢٤).

٣ - النبط والنبيط: قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين (الصحاح ج٣ ص١١٦٣).

٤ - الأثل: شجر، وهو نوع من الطرفاء (الصحاح ج٤ ص١٦٢٠).

٥ - غضارة من العيش: أي في خصب وخير (الصحاح ج٢ ص٧٧٠).

وقتاً مريج[1]. فيالابن حرة الإماء، متى تنتظر[2]! أبشر بنصر قريب من رب رحيم. ألا فويل للمتكبرين، عند حصاد الحاصدين، وقتل الفاسقين. عصاة ذي العرش العظيم، فبأبي وأمي من عدة قليلة! أسماؤهم في الأرض مجهولة، قد دان حينئذٍ ظهورهم، ولو شئت لأخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث دهركم ونوائب زمانكم، وبلايا أيامكم، وغمرات ساعاتكم، ولكنه أفضيه إلى من أفضيه إليه، مخافةً عليكم، ونظراً لكم، علماً مني بما هو كائن وما يكون من البلاء الشامل، ذلك عند تمرد الأشرار، وطاعة أولي الخسار. ذاك أوان الحتف والدمار، ذاك إدبار أمركم، وانقطاع أصلكم، وتشتت ألفتكم، وإنما يكون ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق، حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال، حين لا تنال المعيشة إلا بمعصية الله في سمائه، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة، وتكذبون من غير إحراج. تتفكهون بالفسوق، وتبادرون بالمعصية. قولكم البهتان، وحديثكم الزور، وأعمالكم الغرور، فعند ذلك لا تأمنون البيات، فيا له من بيات ما أشد ظلمته! ومن صائح ما أفظع صوته! ذلك بيات لا ينمى صاحبه، فعند ذلك تقتلون، وبأنواع البلاء تضربون، وبالسيف تحصدون، وإلى النار تصيرون،

---

١ – أمرٌ مَريجٌ أي مختلط (الصحاح ج١ ص٣٤١).

٢ – الظاهر أنها اشارة إلى صاحب الزمان (عليه السلام) وهو ولد المهدي(عج).

ويعضكم البلاء كما يعض الغارب[1] القتب[2]. يا عجباً كل العجب، بين جمادى ورجب! من جمع أشتاتٍ، وحصد نباتٍ، ومن أصواب[3] بعدها أصوات ثم قال: سبق القضاء سبق القضاء. قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنه كاذب على الله ورسوله! قال الكوفي: وما يدريك؟ قال: فوالله ما نزل علي من المنبر حتى فُلِجَ الرجل، فحمل إلى منزله في شق محمل، فمات من ليلته.

وروى المدائني أيضاً، قال: خطب علي (عليه السلام)، فقال: لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبلٍ إلا وأنا عالم متى أنزلت، وفيمن أنزلت. فقال رجل من القعود تحت منبره: يا لله وللدعوى الكاذبة! وقال آخر إلى جانبه: أشهد أنك أنت الله رب العالمين! قال المدائني: فانظر إلى هذا التناقض والتباين فيه.

وروى المدائني أيضاً، قال: خطب علي (عليه السلام)، فذكر الملاحم، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، أما والله لتشغرن[4] الفتنة الصماء برجلها، وتطأ في خطامها. يا لها من فتنه شبت نارها بالحطب

---

١ - الغارب: ما بين السنام والعنق ومنه قولهم حبلك على غاربك (الصحاح ج١ ص١٩٤).

٢ - القتب: بالتحريك رحل صغير على قدر السنام (الصحاح ج١ ص١٩٨). والكلام هنا جار على المثل.

٣ - الصوب: نزول المطر، الصيب: السحاب. وصاب: أي نزل (الصحاح ج١ ص١٦٤).

٤ - بلدة شاغرة برجلها: وذلك إذا لم تمتنع من غارة أحد (الصحاح ج٢ ص٧٠٠).

الجزل[1]، مقبلة من شرق الأرض رافعة ذيلها، داعية ويلها، بدجلة أو حولها. ذاك إذا استدار الفلك، وقلتم: مات أو هلك، بأي واد سلك! فقال قوم تحت منبره: لله أبوه! ما أفصحه كاذبا!

٦ - (تعليل ابن أبي الحديد حول الإخبار بالغيب):

وقد يقع الإخبار عن الغيوب لأصحاب زجر[2] الطير والبهائم، كما يحكى عن بني لهب[3] في الجاهلية. وقد يقع الإخبار عن الغيوب للقافة، كما يحكى عن بني مدلج (القيافة قسمان: قيافة الأثر، ويقال لها العيافة، وقيافة البشر، أما العيافة فهو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في المقابلة للأثر، حتى لقد روي أن بعضهم كان يفرق بين أثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل والمرأة، والبكر والثيب. أما قيافة البشر فهي الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وسائر أحوالهما وأخلاقهما وكان بنو مدلج، وهم بطن في كنانة، من أعلم العرب في قيافة البشر.). وقد يخبر أرباب التبخيرات وأرباب السحر والطلسمات بالمغيبات. وقد يقع الإخبار عن الغيوب لأرباب النفس الناطقة القوية الصافية التي تتصل مادتها الروحانية على ما تقوله الفلاسفة،

---

١ - الجزل: ما عظم من الحطب ويبس (الصحاح ج٤ ص١٦٥٥).

٢ - الزجر: العيافة، وهو ضرب من التكهن (الصحاح ج٢ ص٦٦٨).

٣ - بنو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد: حي من الأزد، كانوا يعرفون بالقيافة والزجر (معجم قبائل العرب ج٢ ص١٠١٥).

وقد يقع الإخبار عن الغيوب بطريق المنامات الصادقة، على ما رآه أكثر الناس، وقد وردت الشريعة نصاً به. وقد يقع الإخبار عن الغيوب بأمر صناعي يشبه الطبيعي، كما رأيناه عن أبي البيان وابنه. وقد يقع الإخبار عن الغيوب بواسطة إعلام ذلك الغيب إنساناً آخر لنفسه بنفس ذلك المُخْبَرِ اتحاد أو كالاتحاد، وذلك كما يحكي أبو البركات بن ملكا الطبيب في كتاب "المعتبر"[1] قال: والمرأة العمياء التي رأيناها ببغداد، وتكررت مشاهدتنا لها منذ مدة مديدة، قدرها ما يقارب ثلاثين سنة، وهي على ذلك إلى الآن تعرض عليها الخبايا، فتدل عليها بأنواعها وأشكالها ومقاديرها، وأعدادها، قريبها ومألوفها، دقيقها وجليلها، تجيب على أثر السؤال من غير توقف ولا استعانة بشيء من الأشياء إلا أنها كانت تلتمس أن يرى الذي يسأل عنه أبوها، أو يسمعه في بعض الأوقات دون بعض، وعند قوم دون قوم، فيتصور الدهماء أن الذي تقوله بإشارة من أبيها، وكان الذي تقوله يبلغ من الكثرة إلى ما يزيد على عشرين كلمة، إذا قيل بصريح الكلام الذي هو الطريق الأخصر، وإنما كان أبوها، يقول إذا رأى ما يراه من أشياء كثيرة مختلفة الأنواع والأشكال في مدة واحدة: كلمة واحدة، وأقصاه كلمتان، وهي التي يكررها في كل قول، ومع كل ما يسمع، ويرى: سلها وسلها تخبرك، أو قولي له، أو قولي يا صغيرة. قال أبو البركات: ولقد عاندته يوماً وحاققته في ألا يتكلم البتة،

---

١ – هو كتاب المعتبر في المنطق، لأبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي، المتوفى سنة ٥٤٧، ذكره، صاحب كشف الظنون.

وأريته عدة أشياء، فقال لفظة واحدة، فقلت لـه: الشـرط أملـك[1]، فاغتاظ واحتد طيشه عن أن يملك نفسه، فبـاح بخبيئتـه، قـال: ومثلـك يظن أنني أشرت إلى هذا كله بهذه اللفظة، فـاسمع الآن، ثم التفـت إليهـا، وأخذ يشير بإصبعه إلى شيء، وهو يقول تلـك الكلمـة، وهـي تقـول: هذا كذا، وهذا كذا، على الاتصال من غير توقـف، وهـو يقـول تلـك الكلمة، لا زيادة عليها، وهي لفظـة واحـدة، بلحـن واحـد، وهيئـة واحدة، حتى ضجرنا، واشتد تعجبنـا، ورأينـا أن هـذه الإشـارة، لـو كانت تتضمن هذه الأشياء لكانت أعجب من كل ما تقوله العمياء.

وقال ابن أبي الحديد في الجزء الخامس (صفحة ١١):

قال أبو البركات: ومن عجيب ما شـاهدناه مـن أمرهـا، أن أباهـا كان يغلط في شيء يعتقده على خلاف ما هو به، فتخبر هـي عنـه علـى معتقداتها، كأن نفسها هي نفسه. قال أبو البركات: ورأيناهـا تقـول مـا لا يعلمه أبوها من خبيئة في الخبيئة الـتي اطلـع عليهـا أبوهـا، فكانـت تطلع على ما قد علمه أبوها، وعلى ما لم يعلمـه أبوهـا وهـذا أعجـب وأعجب. قال أبو البركات: وحكاياتها أكثر مـن أن تعـد، وعنـد كـل أحد من الناس من حديثها ما ليس عند الآخر، لأنها كانـت تقـول مـن ذلك على الاتصال لشخص شخص جواباً بحسب السـؤال. قـال: ومـا زلت أقول: إن من يأتي بعدنا لا يصدق ما رأيناه منـها، فـإن قلـت لي: أريد أن تفيدني العلة في معرفة المغيبات هذه؟.

---

١ - من المثل: الشرط أملك، عليك أم لك، أي الشرط يملـك صـاحبه في إلزامـه إيـاه المشـروط، إن كان له أو عليه (القاموس المحيط ج ص٣٦٨).

قلت: لك العلة التي تصلح في جواب (لم) في نسبة المحمول إلى الموضوع، تكون الحد الأوسط في القياس وهذه فالعلة الفاعلة الموجبة لذلك فيها هي نفسها بقوتها وخاصتها، فما الذي أقوله في هذا! وهل لي أن أجعل ما ليس بعلة علة! واعلم أنا لا ننكر أن يكون في نوع البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب، ولكن كل ذلك مستند إلى الباري سبحانه بإقداره وتمكينه وتهيئة أسبابه، فإن كان المخبر عن الغيوب ممن يدعي النبوة لم يجز أن يكون ذلك إلا بأذن الله سبحانه وتمكينه، وأن يريد به تعالى استدلال المكلفين على صدق مدعي النبوة، لأنه لو كان كاذباً لكان يجوز أن يمكّن الله تعالى الجن من تعليمه ذلك إضلالاً للمكلفين، وكذلك لا يجوز أن يمكّن سبحانه الكاذب في ادعاء النبوة من الإخبار عن الغيب بطريق السحر، وتسخير الكواكب والطلسمات، ولا بالزجر، ولا بالقيافة، ولا بغير ذلك من الطرق المذكورة، لما فيه من استفساد البشر وإغوائهم. وأما إذا لم يكن المخبر عن الغيوب مدعياً للنبوة، نظر في حاله، فإن كان ذلك من الصالحين الأتقياء نسب ذلك إلى أنه كرامة أظهرها الله تعالى على يده، إبانةً له وتمييزاً من غيره، كما في حق علي (عليه السلام)، وإن لم يكن كذلك أمكن أن يكون ساحراً أو كاهناً، أو نحو ذلك.

وبالجملة فصاحب هذه الخاصية أفضل وأشرف ممن لا يكون فيه، من حيث اختصاصه بها، فإن كان للإنسان العاري منها مزية أخرى يختص بها توازيها، أو تزيد عليها، فنرجع إلى التمثيل والترجيح بينهما،

وإلا فالمختص بهذه الخاصية أرجح وأعظم من الخالي منها على جميع الأحوال.

الرد على النظام[1]:

وذكر ابن أبي الحديد في الجزء السادس (صفحة ١٢٩) شيئاً مما كتبه ابن النظام ضد أمير المؤمنين عليه السلام ورد على ذلك قائلاً:

واعلم أن النظام لما تكلم في كتاب النكت، وانتصر لكون الإجماع ليس بحجة، اضطر إلى ذكر عيوب الصحابة، فذكر لكل منهم عيباً، ووجه إلى كل واحد منهم طعناً، وقال في علي: إنه لما حارب الخوارج يوم النهروان، كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ينظر إليها، ثم يطرق إلى الأرض فينظر إليها تارة أخرى، يوهم أصحابه أنه يوحى إليه، ثم يقول: (ما كَذبتُ ولا كُذِبتُ)، فلما فرغ من قتالهم وأديل[2] عليهم، ووضعت الحرب أوزارها، قال الحسن ابنه: يا أمير المؤمنين، أكان

---

١ - النظام شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري المتكلم. تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ. وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، ولو كان قادراً، لكنا لا نأمن وقوع ذلك، وإن الناس يقدرون على الظلم، وصرح بأن الله لا يقدر على إخراج أحد من جهنم، وأنه ليس يقدر على أصلح مما خلق. قلت: القرآن والعقل الصحيح يكذبان هؤلاء، ويزجرانهم عن القول بلا علم، ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفره جماعة. وقال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، ويخفي ذلك. وله نظم رائق، وترسل فائق، وتصانيف جمة، منها: كتاب "الطفرة" وكتاب"الجواهر والأعراض"، وكتاب"حركات أهل الجنة"، وكتاب"الوعيد"، وكتاب"النبوة"، وأشياء كثيرة لا توجد. ورد أنه سقط من غرفة وهو سكران، فمات، في خلافة المعتصم أو الواثق، سنة بضع وعشرين ومئتين. (سير أعلام النبلاء -الذهبي- ج١٠ ص٥٤١).

٢ - والادالة: الغلبة. يقال اللهم أدلني على فلان وانصرني عليه (الصحاح ج٤ ص١٧٠٠).

رسول الله صلى الله عليه وآله تقدم إليك في أمر هؤلاء بشيء؟ فقال: لا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بكل حق، ومن الحق أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال النظام: وقوله: (ما كَذبتُ ولا كُذِبتُ) ورفعه رأسه أحياناً إلى السماء وإطراقه إلى الأرض إيهام، إما لنزول الوحي عليه، أو لأنه قد أوصي من قبل في شأن الخوارج بأمر. ثم هو يقول: ما أوصي فيهم على خصوصيتهم بأمر، وإنما أوصي بكل الحق، وقتالهم من الحق. وهذا عجيب طريف. فنقول: إن النظام أخطأ عندنا في تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحاً، وقال قولاً منكراً، نستغفر الله له من عقابه، ونسأله عفوه عنه[1]، وليست الرواية التي رواها عن الحسن وسؤاله لأبيه وجوابه له بصحيحة ولا معروفة، والمشهور المعروف المنقول نقلاً يكاد يبلغ درجة المتواتر من الأخبار، ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في معنى الخوارج بأعيانهم وذكرهم بصفاتهم، وقوله صلى الله

---

١ – كيف تستغفر لرجل عاند الله والحق ونسب الكذب إلى باب مدينة العلم، فالنظام كما علمت ممن ينفي القدرة عن الله في اخراج الناس من جهنم، وذلك كما مر في ترجمة الذهبي له، وكأنه غفل (أي النظام) عن قوله سبحانه وتعالى:(إن الله على كل شيء قدير)(بقرة٢٠)، وكذا فإنه اعتبر فعل أمير المؤمنين ﷺ إيهام وتغرير بالناس وقد قال النبي الأعظم ﷺ في حقه: علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار، وقال أيضاً: علي مني وأنا منه. والله تعالى يقول:(لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)(مجادلة٢٢). فكان من الواجب على ابن أبي الحديد أن لايستغفر للنظام ولا يلتمس له عذراً ولاتأخذه في الله لومة لائم حتى ولو كان ابن النظام.

عليه وآله لعلي (عليه السلام): (إنك مقاتلهم وقاتلهم، وإن المخدج[1] ذا الثدية منهم، وإنك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين)، فجعلهم أصنافاً ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه. وهذا من معجزات الرسول صلى الله عليه وآله، وإخباره عن الغيوب المفصلة. فما أعلم من أي كتاب نقل النظام هذه الرواية، ولا عن أي محدث رواها، ولقد كان رحمه الله تعالى بعيداً عن معرفة الأخبار والسير منصباً فكره، مجهداً نفسه في الأمور النظرية الدقيقة، كمسألة الجزء، ومداخلة الأجسام وغيرهما، ولم يكن الحديث والسير من فنونه ولا من علومه، ولا ريب أنه سمعها ممن لا يوثق بقوله، فنقلها كما سمعها. فأما كونه (عليه السلام) كان ينظر تارة إلى السماء، وتارة إلى الأرض. وقوله: (ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ)، فصحيح وموثوق بنقله، لاستقامته وشهرته وكثرة رواته، والوجه في ذلك أنه استبطأ وجود المخدج حيث طلبه في جملة القتلى، فلما طال الزمان، وأشفق من دخول شبهة على أصحابه لما كان قدمه إليهم من الأخبار قلق واهتم، وجعل يكرر قوله: (ما كَذبتُ ولا كُذِبتُ) أي ما كَذبتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا كذبني رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أخبرني به. فأما رفعه رأسه إلى السماء تارةً، وإطراقه إلى الأرض أخرى، فإنه حيث كان يرفع رأسه، كان يدعو ويتضرع إلى الله في تعجيل الظفر بالمخدج، وحيث يطرق كان يغلبه الهم والفكر فيطرق. ثم حين يقول:

---

١ - الخداج النقصان، مخدج اليد: ناقص اليد (الصحاح ج١ ص٣٠٩).

(ما كَذبتُ ولا كُذِبتُ)، كيف ينتظر نزول الوحي، فإن من نزل عليه الوحي لا يحتاج أن يسند الخبر إلى غيره، ويقول: ما كَذبتُ فيما أخبرتكم به عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم.

ومما طعن به النظام عليه أنه (عليه السلام) قال: (إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله فهو كما حدثتكم، فوالله لإن أخِرّ من السماء أحب إليّ من أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، وإذا سمعتموني أحدثكم فيما بيني وبينكم، فإنما الحرب خدعة). قال النظام: هذا يجرى مجرى التدليس في الحديث، ولو لم يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمعاريض، وعلى طريق الإيهام لما اعتذر من ذلك. فنقول في الجواب. إن النظام قد وهم وانعكس عليه مقصد أمير المؤمنين وذلك، أنه (عليه السلام) لشدة ورعه أراد أن يفصل للسامعين بين ما يخبر به عن نفسه، وبين ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، وذلك لأن الضرورة ربما تدعوه إلى استعماله المعاريض، لا سيما في الحرب المبنية على الخديعة والرأي، فقال لهم: كلما أقول لكم قال لي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، فاعلموا أنه سليم من المعاريض، خال من الرمز والكناية، لأني لا أستجيز ولا أستحل أن أعمّي أو ألغّز في حديث رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم. وما حدثتكم به عن نفسي، فربما أستعمل فيه المعاريض، لأن الحرب خدعة.

وهذا كلام رجل قد استعمل التقوى والورع في جميع أموره، وبلغ من تعظيم أمر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وإجلال قدره

واحترام حديثه ألاّ يرويه إلا بألفاظه لا بمعانيه، ولا بأمر يقتضي فيه إلباساً وتعمية، ولو كان مضطراً إلى ذلك، ترجيحاً للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه. فأما إذا هو قال كلاماً يبتدئ به من نفسه، فإنه قد يستعمل فيه المعاريض إذا اقتضت الحكمة والتدبير ذلك، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله باتفاق الرواة كافة إذا أراد أن يغزو وجهاً ورّى عنه بغيره، ولما خرج (عليه السلام) من المدينة لفتح مكة، قال لأصحابه كلاماً يقتضي أنه يقصد بني بكر بن عبد مناة من كنانة، فلم يعلموا حقيقة حاله حتى شارف مكة، وقال حين هاجر وصحبه أبو بكر لأعرابي لقيهما: من أين أنت؟ وممن أنت؟ فلما انتسب لهما، قال له الأعرابي: أما أنا فقد أطلعتكما على أمري، فممن أنت؟ فقال: من ماء، لم يزده على ذلك، فجعل الأعرابي يفكر، ويقول: من أي ماء؟ من ماء بني فلان، من ماء بني فلان؟ فتركه ولم يفسر له، وإنما أراد (عليه السلام) أنه مخلوق من نطفة. فأما قول النظام: (لو لم يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم بالمعاريض لما اعتذر من ذلك)، فليس في كلامه اعتذار، ولكنه نفى أن يدخل المعاريض في روايته، وأجازها فيما يبتدئ به عن نفسه، وليس يتضمن هذا اعتذاراً. وقوله: (لإن أخر من السماء) يدل على أنه ما فعل ذلك ولا يفعله.

ثم قال: (على من أكذب؟) يقول: كيف أكذب على الله وأنا أول المؤمنين به؟ وكيف أكذب على رسول الله وأنا أول المصدقين به! أخرجه مخرج الاستبعاد لدعواهم وزعمهم. فإن قلت: كيف يمكن أن

يكون المكلف الذي هو من أتباع الرسول كاذباً على الله إلا بواسطة إخباره عن الرسول: لأنه لا وصلة ولا واسطة بينه وبين الله تعالى إلا الرسول، وإذا لم يمكن كذبه على الله إلا بكذبه على الرسول، لم يبق لتقسيم الكذب، وقوله: (أفأنا أكذب على الله أو على رسوله؟).

قلت: يمكن أن يكذب الكاذب على الله دون أن يكون كاذباً على الرسول، وإن كان من أتباع الرسول، نحو أن يقول: كنت مع الرسول صلى الله عليه وآله ليلة في مقبرة، فأحيا الله تعالى فلاناً الميت، فقام وقال كذا. أو يقول: كنت معه يوم كذا، فسمعت منادياً يناديه من السماء: افعل كذا، أو نحو ذلك من الإخبار بأمور لا تستند إلى حديث الرسول.

ثم قال (عليه السلام): (كلا والله)، أي لا والله. وقيل: إن (كلا) بمعنى (حقاً) وإنه إثبات. قال: (ولكنها لهجة غبتم عنها)، اللهجة: بفتح الجيم، وهي آله النطق، يقال له: هو فصيح اللهجة، وصادق اللهجة. ويمكن أن يعني بها لهجة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقول: (شهدت وغبتم) ويمكن أن يعني بها لهجته هو، فيقول: إنها لهجة غبتم عن منافعها، وأعدمتم أنفسكم ثمن مناصحتها. ثم قال: (ويلمه) الضمير راجع إلى ما دل عليه معنى الكلام من العلم، لأنه لما ذكر اللهجة وشهوده إياها وغيبوبتهم عنها دل ذلك على علم له خصه به الرسول (عليه السلام). فقال: (ويلمه)، وهذه كلمة تقال للتعجب والاستعظام، يقال: (ويلمه فارسا)! وتكتب موصولة كما هي بهذه الصورة وأصله (ويل أمه) مرادهم التعظيم والمدح، وإن كان

اللفظ موضوعاً لضد ذلك، كقوله عليه الصلاة والسلام: (فاظفر بذات الدين تربت يداك)، وكقولهم للرجل يصفونه ويقرظونه: لا أبا له). وقال الحسن البصري، وهو يذكر علياً (عليه السلام)، ويصف كونه على الحق في جميع أموره، حتى قال (فلما شارف الظفر وافق على التحكيم، ومالك في التحكيم والحق في يديك، لا أبا لك!). قال أبو العباس المبرد: هي كلمة فيها جفاء وخشونة، كانت الأعراب تستعملها فيمن يستعظمون أمره، قال: ولما أنشد سليمان بن عبد الملك قول بعض الأعراب:

رب العباد مالنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبا لكا

قال: أشهد أنه لا أب له ولا صاحبة ولا ولد، فأخرجها أحسن مخرج. ثم قال (عليه السلام): (كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء)، انتصب (كيلا) لأنه مصدر في موضع الحال، ويمكن أن ينتصب على التمييز، كقولهم: لله دره فارساً! يقول: أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً ولا أطلب لذلك ثمناً. لو وجدت وعاءً! أي حاملاً للعلم، وهذا مثل قوله (عليه السلام): ها إن بين جنبيَّ علماً جماً لو أجد له حملة. ثم ختم الفصل بقوله تعالى: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ}[1]، وهو أحسن ما ختم هذا الكلام به.

---

١ - سورة ص (٨٨).

جواز الصلاة عليه:

وذكر ابن أبي الحديد في الجزء السادس (صفحة ١٤٣) معنى الصلاة على النبي والخلاف في جواز الصلاة على غيره:

فإن قلت: ما معنى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله، التي قال الله تعالى فيها. {**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**}[1]. قلت: الصلاة من الله تعالى هي الإكرام والتبجيل ورفع المنزلة، والصلاة منا على النبي صلى الله عليه وآله هي الدعاء له بذلك، فقوله سبحانه: {**هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**}[2] أي هو الذي يرفع منازلكم في الآخرة، وقوله: (وملائكته) أي يدعون لكم بذلك. وقيل: جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون التعظيم للمؤمن ورفع المنزلة، ونظيره قوله (حياك الله) أي أحياك الله وأبقاك، وحييتك أي دعوت لك بأن يحييك، لأنك لاعتمادك على إجابة دعوتك ووثوقك بذلك، كأنك تحييه وتبقيه على الحقيقة، وهكذا القول في قوله سبحانه: {**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ**}. وقد اختلف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله: هل هي واجبة. أم لا؟ فمن الناس من لم يقل بوجوبها، وجعل الأمر في هذه الآية للندب. ومنهم من قال: إنها واجبة. واختلفوا في حال

---

١ – سورة الأحزاب (٥٦).

٢ – سورة الأحزاب (٤٣).

وجوهها، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره، وفي الحديث: (من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار وأبعده الله)، ومنهم من قال: تجب في كل مجلس مرة واحدة، وإن تكرر ذكره. ومنهم من أوجبها في العمر مرة واحدة، وكذلك قال في إظهار الشهادتين. واختلف أيضاً في وجوبها في الصلاة المفروضة، فأبو حنيفة وأصحابه لا يوجبونها فيها وروي عن إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكتفون - يعني الصحابة - عنها بالتشهد، وهو: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، وأوجبها الشافعي وأصحابه. واختلف أصحابه في وجوب الصلاة على آل محمد صلى الله عليه وآله، فالأكثرون على أنها واجبة، وأنها شرط في صحة الصلاة.

فإن قلت: فما تقول في الصلاة على الصحابة والصالحين من المسلمين؟ قلت: القياس[1] جواز الصلاة على كل مؤمن، لقوله تعالى:

---

١ - القياس المقصود هنا ليس القياس الإستثنائي أو الإقتراني المعروف بالقياس المنطقي، بل المقصود منه قياس التمثيل وهو إعطاء حكم شيء لشيء آخر لوجه شبه بينهما وهذا النوع من الأقيسة لا يعتبر دليلاً يعتمد عليه في الإستدلال في الشريعة المقدسة وقد نهى عنه أهل بيت النبي ﷺ المعصومين وهناك قصة مشهورة جرت بين مولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ وبين أبي حنيفة: (...يابن أبي ليلى من هذا الرجل؟ فقلت: جعلت فداك من أهل الكوفة له رأي وبصيرة ونفاذ. قال: فلعله الذي يقيس الأشياء برأيه؟ ثم قال: يا نعمان ! هل تحسن أن تقيس رأسك؟ قال: لا. قال: ما أراك تحسن أن تقيس شيئاً فهل عرفت الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين والمرودة في المنخرين، والعذوبة في الفم؟ قال: لا. قال: فهل عرفت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان؟. قال: لا.

قال ابن أبي ليلى: قلت: جعلت فداك لا تدعنا في عمياء مما وصفت. قال: نعم حدثني أبي عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله قال: إن الله خلق عيني ابن آدم شحمتين، فجعل فيها الملوحة، فلولا ذلك لذابتا، ولم يقع فيهما شيء من القذى الا أذابه، والملوحة تلفظ ما يقع في العين من القذى، وجعل المرارة في الأذنين حجاباً للدماغ، وليس من دابة تقع في الاذن الا التمست الخروج، ولولا

{هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ}[1] وقوله: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[2]، وقوله: {أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ}[3]، ولكن العلماء قالوا: إذا ذكر أحد من المسلمين تبعاً للنبي (عليه السلام) فلا كلام في جواز ذلك، وأما إذا أفردوا أو ذُكرَ أحدٌ منهم، فأكثر الناس كرهوا الصلاة عليه، لأن ذلك شعار رسول الله فلا يشركه فيه غيره. وأما أصحابنا من البغداديين[4] فلهم اصطلاح آخر، وهو أنهم يكرهون إذا ذكروا علياً (عليه السلام) أن يقولوا: (صلى الله عليه) ولا يكرهون أن يقولوا: (صلوات الله عليه)، وجعلوا اللفظة الأولى مختصة بالرسول صلى الله عليه وآله، وجعلوا اللفظة الثانية مشتركة فيها بينهما عليهما السلام، و لم يطلقوا لفظ الصلاة على أحد من المسلمين إلا على علي وحده.

ذلك لوصلت إلى الدماغ فافسدته وجعل الله البرودة في المنخرين حجاباً للدماغ، ولولا ذلك لسال الدماغ وجعل العذوبة في الفم مناً من الله تعالى على ابن آدم ليجد لذة الطعام والشراب، وأما كلمة أولها كفر وآخرها إيمان فقول لا اله الا الله ثم قال: يا نعمان إياك والقياس: فان أبي حدثني عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله قال: من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله تبارك وتعالى مع إبليس، فإنه أول من قاس حيث قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فدعوا الرأي والقياس فإن دين الله لم يوضع على القياس).(الاحتجاج،الشيخ الطبرسي ج ٢ ص١١٢). راجع كتاب الاحتجاج للطبرسي.

١ - سورة الأحزاب (٤٣).

٢ - سورة التوبة (١٠٣).

٣ - البقرة (١٥٧).

٤ - يقصد البغداديين من المعتزلة في عصره.

تشبيه عليه السلام بالنبي هارون عليه السلام وأنه معصوم مثله:

وشرح ابن أبي الحديد في الجزء السادس (صفحة ١٦٩) كلاماً لأمير المؤمنين عليه السلام لما بلغه اهتمام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان:

أو لم ينه بني أمية علمها بي عن قرفي! أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي! ولما وعظهم الله به أبلغ من لساني. أنا حجيج المارقين[1] وخصيم الناكثين[2] المرتابين، وعلى كتاب الله تعرض الأمثال، وبما في الصدور تجازى العباد.

الشرح: القرف: العيب، قرفته بكذا أي عبته. ووزع كف وردع، ومنه قوله: (لابد للناس من وزعة)، جمع وازع، أي من رؤساء وأمراء. والحجيج، كالخصيم: ذو الحجاج والخصومة.

يقول (عليه السلام): أما كان في علم بني أمية بحالي ما ينهاها عن قرفي بدم عثمان! وحاله التي أشار إليها، وذكر أن علمهم بها يقتضى ألاّ يقرفوه بذلك، هي منزلته في الدين التي لا منزلة أعلى منها، وما نطق به الكتاب الصادق من طهارته وطهارة بنيه وزوجته، في قوله: **{إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}**[3]. وقول النبي صلى الله عليه وآله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)، وذلك يقتضي عصمته عن الدم الحرام، كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك، وترادف الأقوال والأفعال من رسول

---

١ - الخوارج.

٢ - الذين نكثوا بيعته وتخلفوا عنها.

٣ - أحزاب (٣٣).

الله صلى الله عليه وآله في أمره التي يضطر معها الحاضرون لها والمشاهدون إياها إلى أن مثله لا يجوز أن يسعى في إراقة دم أمير مسلم، لم يحدث حدثاً يستوجب به إحلال دمه. وهذا الكلام صحيح معقول، وذاك أنّا نرى من يظهر ناموس الدين، ويواظب على نوافل العبادات، ونشاهد من ورعه وتقواه ما يتقرر معه في نفوسنا استشعاره الدين، واعتقاده إياه، فيصرفنا ذلك عن قرفه بالعيوب الفاحشة، ونستبعد مع ذلك طعن من يطعن فيه، وننكره ونأباه ونكذبه، فكيف ساغ لأعداء أمير المؤمنين (عليه السلام)، مع علمهم بمنزلته العالية في الدين، التي لم يصل إليها أحد من المسلمين، أن يطلقوا ألسنتهم فيه، وينسبوه إلى قتل عثمان أو المالأة عليه، لاسيما وقد اتصل بهم، وثبت عندهم، أنه كان من أنصاره لا من المجلبين عليه وأنه كان أحسن الجماعة فيه قولاً وفعلاً. ثم قال: (ألم ترع الجهال وتردعهم سابقتي عن تهمتي)! وهذا الكلام تأكيد للقول الأول. ثم قال: إن الذي وعظهم الله تعالى به في القرآن من تحريم الغيبة والقذف وتشبيه ذلك بأكل لحم الميت أبلغ من وعظي لهم، لأنه لا عظة أبلغ من عظة القرآن. ثم قال: (أنا حجيج المارقين، وخصيم المرتابين)، يعني يوم القيامة، روي عنه (عليه السلام) أنه قال: (أنا أول من يجثو للحكومة بين يدي الله تعالى)، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله مثل ذلك مرفوعاً في قوله تعالى: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وأنه صلى الله عليه وآله سئل عنها، فقال: (علي وحمزة وعبيدة، وعتبة وشيبة والوليد)، وكانت حادثتهم أول حادثة وقعت فيها مبارزة أهل الإيمان لأهل

الشرك، وكان المقتول الأول بالمبارزة الوليد بن عتبة، قتله علي (عليه السلام)، ضربه على رأسه فبدرت عيناه على وجنته، فقال النبي صلى الله عليه وآله فيه وفي أصحابه ما قال.

(شبه عليه السلام بعيسى عليه السلام):

وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته، وأحواله المنافية لقوى البشر، غلا فيه من غلا، حتى نسب إلى أن الجوهر الإلهي حل في بدنه، كما قالت النصارى في عيسى (عليه السلام)، وقد أخبره النبي صلى الله عليه وآله بذلك، فقال: (يهلك فيك رجلان محب غال، ومبغض قال). وقال له تارة أخرى: (والذي نفسي بيده، لولا أني أشفق أن يقول طوائف من أمتي فيك، ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً، لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة)[1].

(بدء ظهور الغلاة):

وأول من جهر بالغلو في أيامه عبد الله بن سبا[2] قام إليه وهو يخطب، فقال له: أنت أنت! وجعل يكررها، فقال له: ويلك! من أنا؟ فقال: أنت الله، فأمر بأخذه وأخذ قومٍ كانوا معه على رأيه.

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٥ ص ٤).

٢ - عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية، نقل ابن حجر عن ابن عساكر في تاريخه: (كان أصله من اليمن، وكان يهوديا فأظهر الإسلام، (مشارق أنوار اليقين ص٣٣٤). راجع كتاب عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيخ محمد علي المعلم، وعبد الله بن سبأ للشيخ علي آل محسن.

وروى أبو العباس أحمد بن عبيد الله، عن عمار الثقفي، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه، وعن غيره من مشيخته، أن علياً قال: (يهلك فيَّ رجلان: محب مطرٍ[1] يضعني غير موضعي ويمدحني بما ليس في، ومبغض مفترٍ يرميني بما أنا منه بريء). وقال أبو العباس: وهذا تأويل الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله فيه، وهو قوله: (إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم، أحبته النصارى فرفعته فوق قدره، وأبغضته اليهود حتى بهتت أمه).

قال أبو العباس: وقد كان علي عثر على قوم خرجوا من محبته، باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا بربهم، وجحدوا ما جاء به نبيهم، واتخذوه ربّاً وإلهاً، وقالوا: أنت خالقنا ورازقنا، فاستتابهم وتوعدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفراً دخَّن عليهم فيها طمعاً في رجوعهم، فأبوا، فحرقهم بالنار، وقال: ألا ترون قد حفرت حفراً

إني إذا رأيت أمراً منكراً وقدت ناري ودعوت قنبرا

وروى أصحابنا في كتب المقالات أنه لما حرقهم صاحوا إليه الآن ظهر لنا ظهوراً بينا أنك أنت الإله، لأن ابن عمك الذي أرسلته قال: (لا يعذب بالنار إلا رب النار).

روى أبو العباس، عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه ومشيخته، أن علياً مر بهم وهم يأكلون في شهر رمضان نهاراً، فقال: أسفر أم مرضى؟ قالوا: ولا واحدة

---

١ - مطر الرجل في الأرض مطورا، أي ذهب (الصحاح ج٢ ص٨١٨).

منهما قال: أفمن أهل الكتاب أنتم؟ قالوا: لا، قال: فما بال الأكل في شهر رمضان نهاراً! قالوا: أنت أنت! لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم، فنزل عن فرسه، فالصق خده بالتراب، ثم قال ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله، وارجعوا إلى الإسلام، فأبوا فدعاهم مراراً، فأقاموا على أمرهم، فنهض عنهم، ثم قال: شدوهم وثاقاً، وعليَّ بالفَعَلة والنار والحطب، ثم أمر بحفر بئرين، فحفرتا، فجعل أحداهما سرباً[1] والآخر مكشوفة، وألقى الحطب في المكشوفة، وفتح بينهما فتحاً، وألقى النار في الحطب، فدخن عليهم، وجعل يهتف بهم، ويناشدهم: ارجعوا إلى الإسلام، فأبوا، فأمر بالحطب والنار، وألقى عليهم، فاحترقوا، فقال الشاعر:

لترمِ بيَ المنيةُ حيث شاءت إذا لم تَرْمِ بي في الحفرتين

إذا ما حُشَّتَا حطباً بنار فذاك الموت نقدا غير دين

قال: فلم يبرح واقفاً عليهم حتى صاروا حمماً.

قال أبو العباس ثم إن جماعة من أصحاب علي، منهم عبد الله بن عباس، شفعوا في عبد الله بن سبأ خاصة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، إنه قد تاب فاعف عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يقيم بالكوفة، فقال: أين أذهب؟ قال: المدائن، فنفاه إلى المدائن، فلما قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) أظهر مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه يتبعونه، وقال لما بلغه قتل علي: والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين

---

١ - السرب: بيت في الأرض (الصحاح ج١ ص١٤٧).

صرة، لعلمنا أنه لم يمت، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه. فلما بلغ ابن عباس، ذلك قال: لو علمنا أنه يرجع لما تزوجنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه. قال أصحاب المقالات: واجتمع إلى عبد الله بن سبأ بالمدائن جماعة على هذا القول منهم عبد الله بن صبرة الهمداني، وعبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، وآخرون غيرهما، وتفاقم أمرهم. وشاع بين الناس قولهم، وصار لهم دعوة يدعون إليها، وشبهة يرجعون إليها، وهي ما ظهر وشاع بين الناس، من إخباره بالمغيبات حالاً بعد حال، فقالوا: إن ذلك لا يمكن أن يكون إلا من الله تعالى، أو من حلت ذات الإله في جسده، ولعمري إنه لا يقدر على ذلك إلا بإقدار الله تعالى إياه عليه، ولكن لا يلزم من إقداره إياه عليه أن يكون هو الإله، أو تكون ذات الإله حالة فيه، وتعلق بعضهم بشبهة ضعيفة، نحو قول عمر وقد فَقَأَ علي عين إنسان ألحد في الحرم: ما أقول في يد الله، فَقَأَتْ عيناً في حرم الله! ونحو قول علي: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية، بل بقوة إلهية ونحو قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده) والذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب، لأنه قتل شجاعهم وفارسهم عمرا لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم[1].

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٥ ص٦).

حوار ابن أبي الحديد مع أستاذه حول النص على الخلافة:

قال ابن أبي الحديد في الجزء التاسع (صفحة ٢٤٧):

ثم ذكر(أي أمير المؤمنين عليه السلام) تمالؤ[١] قريش عليه، فقال: حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، يعني ما تقدم من منابذة طلحة والزبير وأصحابهما له، وما شفع[٢] ذلك من معاوية وعمرو وشيعتهما.

قوله: "وجدحوا[٣] بيني وبينهم شرباً وبيئاً" أي خلطوه ومزجوه وأفسدوه. والوبئ: ذو الوباء والمرض، وهذا استعارة كأنه جعل الحال التي كانت بينه وبينهم قد أفسدها القوم وجعلوها مظنة الوباء والسقم كالشرب الذي يخلط بالسم أو بالصبر فيفسد ويوبئ.

ثم قال: فإن كشف الله تعالى هذه المحن التي يحصل منها ابتلاء الصابرين والمجاهدين وحصل لي التمكن من الأمر، حملتهم على الحق المحض الذي لا يمازجه باطل، كاللبن المحض الذي لا يخالطه شيء من الماء، وإن تكن الأخرى، أي وإن لم يكشف الله تعالى هذه الغمة ومُتُّ أو قُتلتُ، والأمور على ماهي عليه من الفتنة ودولة الضلال {فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}[٤]، والآية من القرآن العزيز.

---

١ - مالأته على الأمر ممالاة: ساعدته عليه وشايعته (الصحاح ج١ ص٧٣).

٢ - شفع أتى وتلا وصار شافعاً، أي ثانياً ضد الوتر"المفرد" والشفع: الزوج (الصحاح ج٣ ص١٢٣٨).

٣ - جدحت السويق واجتدحته، أي لتته. وشراب مجدح، أي مخوض (الصحاح ج١ ص٣٥٧).

٤ - سورة فاطر (٨).

وسألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوي نقيب البصرة وقت قراءتي عليه، عن هذا الكلام، وكان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العلوية منصفاً وافر العقل فقلت له: من يعني (عليه السلام) بقوله: "كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين"؟ ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله: "كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به"؟ هل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى؟ فقال: يوم السقيفة، فقلت: إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع النص. فقال: وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول صلى الله عليه وآله إلى إهمال أمر الإمامة، وأن يَتْرُكَ الناس فوضى سدى مهملين، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميراً وهو حي ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمِّر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث! ثم قال: ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان عاقلاً كامل العقل، أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم، وأما اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنه حكيم تام الحكمة، سديد الرأي، أقام ملة، وشرع شريعة، فاستجد ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره، وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرائزهم وطلبهم بالثارات والذحول[1]، ولو بعد الأزمان المتطاولة. ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر، فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلبون

---

١ - الذَّحْل: الثأر. الذحل: الحقد والعداوة، يقال طلب بذحله، أي بثأره (الصحاح ج٢ ص٨٤٢).

القاتل ليقتلوه، حتى يدركوا ثأرهم منه، فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله، فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رهطه الأدنين. والإسلام لم يَحُلّ طبائعهم، ولا غيَّر هذه السجيّة المركوزة في أخلاقهم، والغرائز بحالها، فكيف يَتوهَّمُ لبيبٌ أن هذا العاقل الكامل وَتْر[1] العرب، وعلى الخصوص قريشاً، وساعده على سفك الدماء وإزهاق الأنفس وتقلد الضغائن ابن عمه الأدنى وصهره، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس، ويتركه بعده وعنده ابنته، وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنواً عليهما، ومحبة لهما، ويعدل عنه في الأمر بعده، ولا ينص عليه ولا يستخلفه، فيحقن دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه! ألا يعلم هذا العاقل الكامل، إنه إذا تركه وترك بنيه وأهله سوقة ورعية، فقد عرَّض دماءهم للإراقة بعده، بل يكون هو (عليه السلام) هو الذي قتله، وأشاط[2] بدمائهم، لأنهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم، وإنما يكونون مضغة للأكل وفريسة للمفترس، يتخطفهم الناس، وتبلغ فيهم الأغراض! فأما إذا جعل السلطان فيهم والأمر إليهم، فإنه يكون قد عصمهم وحقن دماءهم بالرياسة التي يصولون بها، ويرتدع الناس عنهم لأجلها. ومثل هذا معلوم بالتجربة. ألا ترى أن ملك بغداد أو

---

١ - الموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. تقول منه: وتره يتره وترا وترة (الصحاح ج٢ ص٨٤٣). يريد هنا أن النبي ﷺ أراق دماءهم ومقصوده في حروب الإسلام مع الشرك كبدر وأحد وحنين والأحزاب.

٢ - وأشاط بدمه وأشاط دمه، أي عرضه للقتل (الصحاح ج٣ ص١١٣٩).

غيرها من البلاد لو قتل الناس ووترهم، وأبقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثم أهمل أمر ولده وذريته من بعده، وفسح للناس أن يقيموا ملكاً من عرضهم، وواحداً منهم، وجعل بنيه سوقة كبعض العامة، لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم، سريعاً هلاكهم، ولوثب عليهم الناس ذوو الأحقاد والترات من كل جهة، يقتلونهم ويشردونهم كل مشرد. ولو أنه عين ولداً من أولاده للملك، وقام خواصه وخدمه وخوله بأمره بعده، لحقنت دماء أهل بيته، ولم تطل يد أحد من الناس إليهم لناموس الملك، وأبهة السلطنة، وقوة الرياسة وحرمة الإمارة. أفترى ذهب عن رسول الله صلى الله عليه وآله هذا المعنى، أم أحب أن يستأصل أهله وذريته من بعده وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده، الحبيبة إلى قلبه!

أتقول: إنه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفف الناس، وأن يجعل علياً، المكرم المعظم عنده، الذي كانت حاله معه معلومة، كأبي هريرة الدوسي وأنس ابن مالك الأنصاري، يحكم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده، فلا يستطيع الامتناع وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول، تتلظى أكباد أصحابها عليه، ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم، ويأكلوا لحمه بأسنانهم، قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم، والعهد لم يطل، والقروح لم تتقرف[1] والجروح لم تندمل! فقلت له: لقد أحسنت فيما قلت إلا أن لفظه

---

١ - وقَرَفتُ القرحة أقرفها قرفاً، أي قشرتها، وذلك إذا يبست. وتقرفت هي، أي تقشرت (الصحاح ج٤ ص١٤١٥).

(عليه السلام) يدل على أنه لم يكن نص عليه، ألا تراه يقول: "ونحن الأعلون نسباً، والأشدون بالرسول نوطاً" فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب، فلو كان عليه نص، لقال عوض ذلك: "وأنا المنصوص عليَّ، المخطوب باسمي".

فقال رحمه الله: إنما أتاه من حيث يعلم، لا من حيث يجهل، ألا ترى أنه سأله، فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحق به؟ فهو إنما سأل عن دفعهم عنه، وهم أحق به من جهة اللحمة والعترة، ولم يكن الأسدي يتصور النص ولا يعتقده، ولا يخطر بباله، لأنه لو كان هذا في نفسه، لقال له: لم دفعك الناس عن هذا المقام، وقد نص عليك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ولم يقل له هذا، وإنما قال كلاماً عاماً لبني هاشم كافة: كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق به! أي باعتبار الهاشمية والقربى. فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلق به الأسدي بعينه، تمهيداً للجواب، فقال: إنما فعلوا ذلك مع أنَّا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرنا لأنهم استأثروا علينا، ولو قال له: أنا المنصوص عليَّ، والمخطوب باسمي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، لما كان قد أجابه، لأنَّه ما سأله: هل أنت منصوص عليك أم لا؟ ولا هل نص رسول الله صلى الله عليه وآله بالخلافة على أحدٍ أم لا؟ وإنما قال: لم دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه أيضاً، فلو أخذ يصرح له بالنص، ويعرفه تفاصيل باطن الأمر لنفر عنه، واتهمه ولم يقبل قوله، ولم ينجذب إلى تصديقه، فكان أولى

الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس، أن يجيب بما لا تُنفرة منه ولا مطعن عليه فيه.

(أنه عليه السلام الأحق بالخلافة):

وقال ابن أبي الحديد في الجزء الثاني (صفحة ٢٩٥) شرحاً لكلام طويل لأمير المؤمنين عليه السلام:

(فنظرت في أمري)[1] إلى آخر الكلام، هذه كلمات مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه كان معهوداً إليه ألاّ ينازع في الأمر ولا يثير فتنة، بل يطلبه بالرفق، فإن حصل له وإلا أمسك. هكذا كان يقول عليه السلام، وقوله الحق، وتأويل هذه الكلمات: فنظرت فإذا طاعتي لرسول الله صلى الله عليه وآله، أي وجوب طاعتي، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

قد سبقت بيعتي للقوم، أي وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله عليَّ، ووجوب امتثالي أمره سابق على بيعتي للقوم، فلا سبيل لي إلى الامتناع من البيعة لأنه صلى الله عليه وآله أمرني بها. وإذا الميثاق في عنقي لغيري، أي رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ عليَّ الميثاق بترك الشقاق والمنازعة، فلم يحل لي أن أتعدى أمره، أو أخالف نهيه.

فإن قيل: فهذا تصريح بمذهب الإمامية قيل: ليس الأمر كذلك، بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين، لأنهم يزعمون أنه الأفضل

---

١ - القول هنا لأمير المؤمنين عليه السلام.

والأحق بالإمامة، وأنه لولا ما يعلمه الله ورسوله من أن الأصلح للمكلفين من تقدم المفضول عليه، لكان من تقدم عليه هالكاً[1]، فرسول الله ﷺ أخبره أن الإمامة حقه، وأنه أولى بها من الناس أجمعين، وأعلمه أن في تقدم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعة إلى المكلفين، وأنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها، ويغضي عنها لمن هو دون مرتبته، فامتثل ما أمره به رسول الله ﷺ، ولم يخرجه تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحق. وقد صرح شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى بهذا وصرح به تلامذته، وقالوا: لو نازع عقيب وفاة رسول الله ﷺ، وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر، وصاحب الخلافة، إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها[2]، وحكمه في ذلك حكم

---

١ – هل يصح من المولى الحكيم العزيز أن يأمر بشيء ثم تكون إرادته خلاف ما أمر به حيث قال تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون).(المائدة ٥٥). هذا جبر وهو خلاف ما فرضه الله جل وعلا على عباده حيث فرض عليهم أمور وبين لهم السبيل ثم خيرهم في اتباع الحق وترك الباطل فقال عز من قائل: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً).(سورة الإنسان ٣)، فكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بولاية أمير المؤمنين ثم يقدم المفضول على الفاضل؟ وكيف يكون فاعل مثل هذا غير هالك؟

٢ – وهل سكوت الله عز وجل عن النمرود إلى أن بعث إليه إبراهيم عليه السلام كان دليل عدالة النمرود أم سكوت الله جل وعلا عن فرعون إلى أن بعث موسى عليه السلام إليه كان دليلاً على صحة ما ادعاه

رسول الله ﷺ، لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال: (علي مع الحق، والحق مع علي، يدور حيثما دار،) وقال له غير مرة: (حربك حربي وسلمك سلمي). وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي، وبه أقول[1].

(إخبار عائشة بفضله عليه السلام):

وذكر ابن أبي الحديد أنه جاء في كتاب صفين أيضاً للمدائني عن مسروق، أن عائشة قالت له لمّا عَرَفتْ أن علياً عليه السلام قتل ذا الثدية: لعن الله عمرو بن العاص! فإنه كتب إليّ يخبرني أنه قتله بالإسكندرية، ألا إنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله ﷺ، يقول: يقتله خير أمّتي من بعدي.

وفي مسند أحمد بن حنبل، عن مسروق، قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدي ومن أحبهم إليّ فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تامرا (تامرا: بفتح الميم وتشديد الراء والقصر؛ نهر واسع يخرج من جبال شهرزور والجبال المجاورة لها). ولأسفله النهروان، بين لخاقيق وطرفاء (لخاقيق: اللخقوق، وهو شق في الأرض، والطرفاء: شجر من الحمض، واحدته طرفاء)، قالت: أبغني على ذلك بينة، فأقمت رجالاً شهدوا عندها

فرعون؟ أم أن الله يهمل ولا يهمل؟ وسكوت أمير المؤمنين عليه السلام ليس إلا إنفاذاً لأمر رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ ما أمره عليه السلام إلا بأمر الله عز وجل ليميزَ اللهُ الخبيث من الطيب.

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٢ ص٢٩٥).

بذلك، قال: فقلت لها سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعت من رسول الله ﷺ فيهم؟ فقالت: نعم سمعته، يقول: إنهم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة.[1]

حديث أم سلمة رضي الله عنها لعائشة بفضل علي عليه السلام:

كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتاباً: أن خَذِّلي الناس عن بيعة علي، وأظهري الطلب بدم عثمان، وحمَّلا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير، فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان، وكانت أم سلمة رضي الله عنها بمكة في ذلك العام، فلما رأت صنع عائشة، قابلتها بنقيض ذلك، وأظهرت موالاة علي (عليه السلام) ونصرته على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الضرتين[2]. قال أبو مخنف: جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبي أمية، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت كبيرة أمهات

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٢ ص٢٦٥).

٢ - هل يصح من أبي الحديد أن ينسب نصرة أم سلمة رضي الله عنها لعلي عليه السلام أنها كانت بسبب مسألة شخصية بينها وبين ضرتها علماً أنه ذكر هو بنفسه أن أم سلمة رضي الله عنها أظهرت موالاتها ونصرتها لعلي عليه السلام في غير هذا الموقف، وذلك كما مر معنا في باب ذكره للملاحم أنها قالت: "هو سيدي وسيد المسلمين". وأم سلمة رضي الله عنها من أزواج النبي ﷺ التي رضي عنها رسول الله ﷺ وقال بأنها على خير، وذلك في حديث الكساء المشهور المعروف عندما أرادت أن تدخل مع النبي ﷺ وهو يغطي تحته علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام فقال لها لا ولكنك على خير. راجع تفسير القرطبي (ج١٤ ص١٨٣).

المؤمنين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك، فقالت أم سلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة، فقالت عائشة: إن عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمتُ على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير، وطلحة، فاخرجي معنا، لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا بنا، فقالت أم سلمة: إنك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان، وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً[1]، وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله، أفأذكرك؟ قالت: نعم، قالت: أتذكرين يوم أقبل (عليه السلام) ونحن معه، حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال، خلا بعلي يناجيه، فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما، فنهيتك فعصيتني، فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكية، فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إني هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعلي، ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة، أيام، أفما تدعني يابن أبي طالب ويومي! فأقبل رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم عليَّ، وهو غضبان محمر الوجه، فقال: ارجعي وراءك، والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان، فرجعت نادمة ساقطة! قالت عائشة: نعم أذكر ذلك. قالت: وأذكرك أيضاً، كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه(وآله) وسلم، وأنت تغسلين

---

١ – النعثل: الشيخ الأحمق، وذكر الضباع ومنه حديث عائشة "اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا" تعني عثمان. وهذا كان منها لما غاضبته وذهبت إلى مكة. (النهاية في غريب الحديث ج٥ ص٨٠).

رأسه، وأنا أحيس له حيساً، وكان الحيس (الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن ويدلك حتى تمتزج ثم يندر نواه) يعجبه، فرفع رأسه، وقال: (يا ليت شعري، أيتكن صاحبة الجمل الأذنب، تنبحها كلاب الحوأب، فتكون ناكبة. عن الصراط!)، فرفعت يدي من الحيس، فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك، ثم ضرب على ظهرك، وقال: (إياك أن تكونيها)، ثم قال: (يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها. يا حميراء أمّا أنا فقد أنذرتك)، قالت عائشة: نعم، أذكر هذا. قالت: وأذكرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم في سفر له، وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فيخصفها (خصف النعل: خرزها)، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت[1] له نعل، فأخذها يومئذٍ يخصفها، وقعد في ظل سمرة، وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أراد، ثم قالا: يا رسول الله، إنّا لا ندرى قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من تستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مفزعاً؟ فقال لهما: أمّا إني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثم خرجا، فلما خرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، قلت له، وكنت أجرأ عليه منا: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل، فنظرنا فلم نر أحداً إلا علياً، فقلت: يا رسول الله، ما

---

١ - نقبت النعل: ثقبت

أرى إلا علياً فقال هو ذاك، فقالت عائشة: نعم، أذكر ذلك، فقالت: فأي خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت: أنت ورأيك. فانصرفت عائشة عنها، وكتبت أم سلمة بما قالت وقيل لها إلى علي (عليه السلام).

فإن قلت: فهذا نص صريح في إمامة علي (عليه السلام)، فما تصنع أنت وأصحابك المعتزلة به؟ قلت: كلا إنه ليس بنص كما ظننت، لأنه صلى الله عليه وآله لم يقل: قد استخلفته، وإنما قال: (لو قد استخلفت أحداً لاستخلفته) وذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف، ويجوز أن تكون مصلحة المكلفين متعلقة بالنص عليه لو كان النبي صلى الله عليه وآله مأموراً بأن ينص على إمام بعينه من بعده، وأن يكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا تركهم النبي صلى الله عليه وآله وآراءهم ولم يعين أحداً[1].

وروى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل أن أم سلمة كتبت إلى علي (عليه السلام) من مكة: أما بعد، فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة، يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز، ويذكرون أن عثمان قتل مظلوماً، وإنهم يطلبون بدمه، والله كافيهم بحوله وقوته، ولولا ما نهانا الله عنه

---

١ - عجيب عناد ابن أبي الحديد! لأنه يقر بأن قوله تعالى:(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (مائدة٥٥)، قد نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ وهو نص صريح من الله عز وجل على الخلافة وكذا فإنه يقر بأن النبي ﷺ قال في غدير خم: (اللهم من كنت مولاه فهذا علي مولاه) وهو مع ذلك كله يراوغ ويحاول أن يتنصل من ذلك.

من الخروج، وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك، والنصرة لك، ولكني باعثة نحوك ابني، عدل نفسي (عدل نفسي: مثلها) عمر بن أبي سلمة، فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً.

قال: فلما قدم عمر على علي (عليه السلام) أكرمه، ولم يزل مقيماً معه حتى شهد مشاهده كلها، ووجّهه أميراً على البحرين. وقال لابن عمٍّ له: بلغني أن عمر يقول الشعر، فابعث إليَّ من شعره، فبعث إليه بأبيات له أولها:

جزتك أمير المؤمنين قرابة رفعت بها ذكري جزاءا موفرا

فعجب علي (عليه السلام) من شعره واستحسنه.

رد النص له (عليه السلام):

وقال ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة الجزء الثالث (صفحة ١٦٨):

قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، عن محمد بن مخنف بن سليم قال: إني لأنظر إلى أبي وهو يساير علياً (عليه السلام)، وعلي يقول له: إن بابل أرضٌ قد خُسِّفَ بها، فحرك دابتك لعلنا نصلي العصر خارجاً منها. فحرك دابته، وحرك الناس دوابهم في أثره، فلما جاز جسر الفرات نزل فصلى بالناس العصر. قال: حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مره الثقفي، عن أبيه، عن عبد خير، قال: كنت مع علي أسير في أرض بابل، قال: وحضرت الصلاة صلاة العصر، قال: فجعلنا (لا) نأتي مكاناً إلا رأيناه أفيح (أفيح من الفيح وهو السعة) من الآخر،

قال: حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب. قال: فنزل علي (عليه السلام)، فنزلت معه، قال: فدعا الله، فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر. قال: فصليت العصر، ثم غابت الشمس.

بعض الأحاديث التي أوردها ابن أبي الحديد في فضائل علي عليه السلام

وفي ذات يوم عندما كنت أقرأ في كتاب شرح نهج البلاغة وصلت إلى مكان ذكر فيه ابن أبي الحديد ما أدهشني لا لأن الذي ذكره غريب في حق أمير المؤمنين عليه السلام ولكن لأن الشيء الذي ذكره كفيل لكل أحد بالإقرار بأنه لا يوجد أحد أحق بأن يتبع أو يكون له الفضل والطاعة الواجبة كإمام نص عليه الرسول عن لسان الباري عز وجل وخليفة للرسول إلا علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة بعد ما سأذكره لك من الروايات التي أقر بها ابن أبي الحديد فضلاً عمن رواها وقال بصحتها وأنها صدرت عن النبي صلى الله عليه وآله وهو الذي قال فيه المولى عز وجل {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ}[1] فكيف لعاقل بعد هذا الإقرار(وإقرار العقلاء على أنفسهم جائز) أن يتغافل عما أراده الله من عباده وبأي تصريح يريدون من الله ورسوله صلى الله عليه وآله أن يصرحا لهم حتى يعترفوا..!!! وإليك ما أورده:

---

١ - سورة النجم (٤).

(واعلم أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لو فخر بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته، التي آتاه الله تعالى إياها، واختصه بها، وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره، ولست أعني بذلك الأخبار العامة الشائعة التي يحتج بها الإمامية على إمامته، كخبر الغدير، والمنزلة، وقصة براءة، وخبر المناجاة، وقصة خيبر، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة، ونحو ذلك، بل الأخبار الخاصة التي رواها فيه أئمة الحديث، التي لم يحصل أقل القليل منها لغيره، وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه، وجلّهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضائله توجب سكون النفس مالا يوجبه رواية غيرهم).

الخبر الأول:

(يا عليُ، إن الله قد زيّنك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها، هي زينة الأبرار عند الله تعالى، الزهد في الدنيا، جعلك لا ترزأ[1] من الدنيا شيئاً، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً). رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بـ "حلية الأولياء" وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في "المسند": فطوبى لمن أحبك وصدق فيّك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك!

---

٢ - إرتزأ الشيء: انتقص (الصحاح ج١ ص٥٣).

الخبر الثاني:

قال ﷺ لوفد ثقيف: (لتسلمن، أو لأبعثن إليكم رجلاً مني أو قال: عديل نفسي فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم. قال عمر: فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول: هو هذا. فالتفت فأخذ بيد علي وقال: هو هذا! مرتين)).

رواه أحمد في "المسند"، ورواه في كتاب فضائل علي (عليه السلام)، أنه قال: (لتنتهن يا بني وليعة[1]، أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي، يمضي فيكم أمري، يقتل المقاتلة، ويسبي الذرية، قال أبو ذر: فما راعني إلا برد كف عمر في حجزتي[2] من خلفي، يقول: من تراه يعني؟ فقلت: إنه لا يعنيك، وإنما يعني خاصف النعل، وإنه قال: هو هذا).

---

١ - بنو وليعة: وفد كنانة، وفد حضرموت (تاريخ ابن خلدون ج٢ ص٥٦).

٢ - احتجز الرجل بإزار أي شده على وسطه (الصحاح ج٣ ص٨٧٢).

الخبر الثالث:

(إن الله عهد إليّ في عليٍّ عهداً، فقلت: يا رب بيّنْه لي، قال: اسمع، إن علياً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه فقد أحبني، ومن أطاعه فقد أطاعني، فبشره بذلك. فقلت: قد بشرته يا رب فقال: أنا عبد الله وفي قبضته، فإن يعذبني فبذنوبي لم يظلم شيئاً، وإن يتم لي ما وعدني فهو أولى، وقد دعوت له فقلت: اللهم أجل قلبه، واجعل ربيعه الإيمان بك. قال: قد فعلت ذلك، غير أني مختصه بشيءٍ من البلاء لم أختص به أحداً من أوليائي، فقلت: رب، أخي وصاحبي! قال: إنه سبق في علمي أنه لمبتلٍ ومبتلى).

ذكره أبو نعيم الحافظ في "حلية الأولياء" عن أبي برزة الأسلمي، ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر، عن أنس بن مالك: (إن رب العالمين عهد، في عليٍّ إلي عهداً أنه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني، إن علياً أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي، بيد علي مفاتيح خزائن رحمة ربي).

الخبر الرابع:

(من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب). رواه أحمد بن حنبل في "المسند" ورواه أحمد البيهقي في صحيحه.

الخبر الخامس:

(من سره أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويتمسك بالقضيب من الياقوتة التي خلقها الله تعالى بيده، ثم قال لها: كوني فكانت، فليتمسك بولاء علي بن أبي طالب). ذكره أبو نعيم الحافظ في كتاب "حلية الأولياء"، ورواه أبو عبد الله بن حنبل في "المسند"، وفي كتاب فضائل علي بن أبي طالب، وحكاية لفظ أحمد رضي الله عنه: (من أحب أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله في جنة عدن بيمينه، فليتمسك بحب علي بن أبي طالب).

الخبر السادس:

(والذي نفسي بيده، لولا أن تقول طوائفُ من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً: لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة).

ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في "المسند".

الخبر السابع:

(خرج صلى الله عليه وآله على الحجيج عشية عرفة، فقال لهم: إن الله قد باهى بكم الملائكة عامة، وغفر لكم عامة، وباهى بعلي خاصة، وغفر له خاصة. إني قائل لكم قولاً غير محابٍ فيه لقرابتي، إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته). رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائل علي (عليه السلام)، وفي "المسند" أيضاً.

الخبر الثامن:

رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في الكتابين المذكورين: (أنا أول من يدعى به يوم القيامة، فأقوم عن يمين العرش في ظله، ثم أكسى حلة ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض، فيقومون عن يمين العرش ويكسون حللاً، ثم يدعى بعلي ابن أبي طالب لقرابته مني ومنزلته عندي، ويدفع إليه لوائي لواء الحمد، آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء. ثم قال لعلي: فتسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل، ثم تكسى حلة، وينادي مناد من العرش: نعم العبد أبوك إبراهيم! ونعم الأخ أخوك علي! أبشر فإنك تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتحيا إذا حييت).

الخبر التاسع:

(يا أنس، اسكب لي وضوءاً، ثم قام فصلى ركعتين، ثم قال: أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين. قال أنس: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمت دعوتي، فجاء علي، فقال: صلى الله عليه (وآله) وسلم: من جاء يا أنس؟ فقلت: علي، فقام إليه مستبشراً، فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق وجهه. فقال عليٌّ يا رسول الله، صلى الله عليك وآلك، لقد رأيت منك اليوم تصنع بي شيئاً ما صنعته بي قبل! قال: وما يمنعني وأنت تؤدي عني، وتسمعهم

صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي!) رواه أبو نعيم الحافظ في "حلية الأولياء".

الخبر العاشر:

(ادعوا لي سيد العرب علياً "فقالت: عائشة: ألست سيد العرب؟ فقال: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب فلما جاء أرسل إلى الأنصار، فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي، فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، فإن جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل). رواه الحافظ أبو نعيم في "حلية الأولياء".

الخبر الحادي عشر:

(مرحباً بسيد المؤمنين، وإمام المتقين! فقيل لعلي (عليه السلام): كيف شكرك؟ فقال: أحمد الله على ما آتاني، وأسأله الشكر على ما أولاني وأن يزيدني مما أعطاني). ذكره صاحب "الحلية" أيضاً.

الخبر الثاني عشر:

(من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً. فويل للمكذبين من أمتي! القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي). ذكره صاحب "الحلية" أيضاً.

الخبر الثالث عشر:

(بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد في سرية، وبعث علياً (عليه السلام) في سرية أخرى، وكلاهما إلى اليمن، وقال: إن اجتمعتما فعلي على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكما على جنده، فاجتمعا وأغارا وسبيا نساء، وأخذا أموالا، وقتلا ناساً، وأخذ علي جارية فاختصها لنفسه، فقال خالد لأربعة من المسلمين، منهم بريدة الأسلمي: اسبقوا إلى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، فاذكروا له كذا، واذكروا له كذا، لأمور عددها على علي، فسبقوا إليه فجاء واحد من جانبه، فقال: إن علياً فعل كذا، فأعرض عنه، فجاء الآخر من الجانب الآخر، فقال: إن علياً فعل كذا، فأعرض عنه فجاء بريدة الأسلمي فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل ذلك، فأخذ جارية لنفسه، فغضب صلى الله عليه وآله، حتى احمّر وجهه، وقال: دعوا لي علياً! يكررها، إن علياً مني وأنا من علي، وإن حظه في الخمس أكثر مما أخذ، وهو وليٌّ كل مؤمن من بعدي). رواه أبو عبد الله أحمد في "المسند" غير مرة، ورواه في كتاب فضائل علي، ورواه أكثر المحدثين.

الخبر الرابع عشر:

(كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزأين، فجزء أنا وجزء علي). رواه أحمد في "المسند" وفي كتاب فضائل علي

(عليه السلام)، وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه: ثم انتقلنا حتى صرنا في عبد المطلب، فكان لي النبوة ولعلي الوصية.

الخبر الخامس عشر:

(النظر إلى وجهك يا علي عبادة أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة من أحبك أحبني وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك!). رواه أحمد في "المسند"، قال: وكان ابن عباس يفسره، ويقول: إن من ينظر إليه يقول: سبحان الله! ما أعلم هذا الفتى! سبحان الله ما أشجع هذا الفتى! سبحان الله، ما أفصح هذا الفتى!

الحديث السادس عشر:

(لما كانت ليلة بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من يستقي لنا ماء؟، فأحجم الناس، فقام علي فاحتضن قربة، ثم أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل: أن تأهبوا لنصر محمد وأخيه وحزبه، فهبطوا من السماء، لهم لغط يذعر من يسمعه، فلما حاذوا البئر، سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً). رواه أحمد في كتاب فضائل علي (عليه السلام)، وزاد فيه في طريق أخرى عن أنس بن مالك:(لتؤتين يا علي يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها، وركبتك مع ركبتي، وفخذك مع فخذي، حتى تدخل الجنة).

الحديث السابع عشر:

(خطب صلى الله عليه وآله الناس يوم جمعة، فقال: أيها الناس، قدموا قريشاً ولا تقدموها، وتعلموا منها ولا تعلموها، قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم، وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم. أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرباها، أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني عذبه الله بالنار). رواه أحمد رضي الله عنه في كتاب فضائل علي (عليه السلام).

الحديث الثامن عشر:

(الصديقون ثلاثة: حبيب النجار، الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، وعلي بن أبي طالب، وهو أفضلهم). رواه أحمد في كتاب فضائل علي (عليه السلام).

الحديث التاسع عشر:

(أعطيت في علي خمساً، هن أحب إلي من الدنيا وما فيها، أما واحدة فهو كاب[1] بين يدي الله عز وجل، حتى يفرغ من حساب الخلائق، وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولد تحته، وأما الثالثة فواقف على عقر[2] حوضي، يسقي من عرف من أمتي، وأما الرابعة

---

١ – كبا لوجهه يكبو كبواً: سقط فهو كاب (الصحاح ج٦ص٢٤٧١).

٢ – عقر الحوض: مؤخره (الصحاح ج٢ ص٧٥٥).

فساتر عورتي ومسلّمي إلى ربي، وأما الخامسة فإني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان، ولا زانيا بعد إحصان). رواه أحمد في كتاب الفضائل.

الحديث العشرون:

(كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه الصلاة والسلام يوماً: سدّوا كل باب في المسجد إلا باب علي، فسُدّت، فقال في ذلك قوم، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فقام فيهم، فقال: إن قوماً قالوا في سد الأبواب وتركي باب علي، إني ما سددت ولا فتحت، ولكني أُمرت بأمرٍ فاتبعته). رواه أحمد في "المسند" مراراً، وفى كتاب الفضائل.

الحديث الحادي والعشرون:

(دعا صلى الله عليه وآله علياً في غزاة الطائف، فانتجاه، وأطال نجواه حتى كره قوم من الصحابة، ذلك، فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه، فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك فجمع منهم قوماً، ثم قال: إن قائلاً قال: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه. أما إني ما انتجيته، ولكن الله انتجاه). رواه أحمد رحمه الله في "المسند".

الحديث الثاني والعشرون:

(أخصمك[1] يا علي بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع، لا يجاحد فيها أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد

---

١ - أخصمك: أغلبك

الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية). رواه أبو نعيم الحافظ في "حلية الأولياء".

الخبر الثالث والعشرون:

(قالت فاطمة: إنك زوجتني فقيراً لا مال له، فقال: زوجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً! ألا تعلمين أن الله اطلع إلى الأرض اطلاعة، فاختار منها أباك، ثم اطلع إليها ثانية فاختار منها بعلك). رواه أحمد في المسند.

الحديث الرابع والعشرون:

(لما أُنزل: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ}[1] بعد انصرافه (عليه السلام) من غزاة حنين، جعل يكثر من سبحان الله! أستغفر الله، ثم قال: يا علي إنه قد جاء ما وعدت به، جاء الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي، لقدمك في الإسلام، وقربك مني، وصهرك، وعندك سيدة نساء العالمين، وقيل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، فأنا حريص على أن أراعي ذلك لولده). رواه أبو إسحاق الثعلبي في "تفسير القرآن".

واعلم أنّا إنما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا، لأن كثيراً من المنحرفين عنه (عليه السلام) إذا مروا على كلامه في "نهج البلاغة" وغيره

---

١ - سورة النصر (١).

المتضمن التحدث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول له صلى الله عليه وآله، وتميزه إياه عن غيره، ينسبونه إلى التيه[1] والزهو والفخر، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة، قيل لعمر: ولِّ علياً أمرَّ الجيش والحرب، فقال: هو أَتْيَه من ذلك! وقال زيد بن ثابت: ما رأينا أزهى من علي وأسامة! فأردنا بإيراد هذه الأخبار هاهنا عند تفسير قوله: (نحن الشعار والأصحاب، ونحن الخزنة والأبواب) أن ننبه على عظم منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله، وأن من قيل في حقه ما قيل لو رقى إلى السماء، وعرج في الهواء، وفخر على الملائكة والأنبياء، تعظماً وتبجحاً، لم يكن ملوماً، بل كان بذلك جديراً، فكيف وهو (عليه السلام) لم يسلك قط سلم التعظم والتكبر في شيء من أقواله ولا من أفعاله، وكان ألطف البشر خلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدهم تواضعاً، وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشراً، وأطلقهم وجهاً، حتى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح، وهما خُلقَان ينافيان التكبر والاستطالة، وإنما كان يَذكُرُ أحيانا ما يذكره من هذا النوع، نفثة مصدور، وشكوى مكروب، وتنفس مهموم، ولا يقصد به إذا ذكره إلا شكر النعمة، وتنبيه الغافل على ما خصه الله به من الفضيلة، فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف، والحض على اعتقاد الحق والصواب في أمره والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه

---

١ - وتاه أي تكبر (الصحاح ج٦ ص٢٢٢٩).

عن ذلك فقال: {أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}[1].

وذكر أيضاً في الجزء التاسع صفحة ٢٨٠:

روى الزمخشري في "ربيع الأبرار" ومذهبه في الاعتزال ونصرة أصحابنا معلوم وكذلك في انحرافه عن الشيعة وتسخيفه لمقالاتهم[2] أن رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله قال: (لما أسري بي، أخذني جبرئيل، فأقعدني على درنوك من درانيك الجنة، ثم ناولني سفرجلة، فبينا أنا أقلبها انفلقت، فخرجت منها جارية لم أر أحسن منها، فسلمت فقلت: من أنت، قالت: أنا الراضية المرضية، خلقني الجبار من ثلاثة أصناف: أعلايَّ من عنبر، وأوسطي من كافور، وأسفلي من مسك. ثم عجنني بماء الحيوان، وقال لي: كوني كذا فكنت. خلقني لأخيك وابن عمك علي بن أبي طالب). قلت: الدرنوك: ضرب من البسط ذو خمل، ويشبه به فروة البعير.

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٩ ص١٦٧- ١٧٢).

٢ - أخرج ابن عدي عن ابن عباس قال: لما نزلت (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم لعلي: "هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين". (الدر المنثور ج٦ ص٣٧٩). ومع ذلك فإن الزمخشري يسخّف قول خير البرية (أي الشيعة) وابن أبي الحديد يرى أن من يسخف رأي الشيعة يكون سديداً، فيعتمد قوله عندها. فياللعجب!

(فصل في حسن الخلق ومدحه)

فأما سوء الخلق فلم يكن من سجاياه، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله:(خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق). وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}[1]، وقال أيضاً: {وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}[2].

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما الشؤم؟ فقال: سوء الخلق. وفي الحديث المرفوع أنه صلى الله عليه وآله قال: (ألا أنبئكم بشر الناس)؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال:(من نزل وحده، ومنع رفده[3]، وضرب عبده)، ثم قال: (ألا أنبئكم بشرٍ من ذلك)؟ قالوا: بلى، قال: (من لم يقل عثرة، ولا يقبل معذرة). وقال إبراهيم بن عباس الصولي: لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله بمحاسن الخلق كلها لرجحت، قوله: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم). وفي الخبر المرفوع: (حسن الخلق زمام من رحمة الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الملك، والملك يجره إلى الخير، والخير يجره إلى الجنة، وسوء الخلق زمام من عذاب الله في أنف صاحبه، والزمام بيد الشيطان، والشيطان يجره إلى الشر، والشر يجره إلى النار). وروى الحسن بن علي (عليه السلام) عن النبي صلى الله عليه وآله: (إن

---

١ – سورة القلم (٤).

٢ – سورة آل عمران (١٥٩).

٣ – رفد: الرِّفْد، بالكسر: العطاء والصلة (الصحاح ج٢ ص٤٧٥).

الرجل يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، وإنه ليكتب جباراً ولا يملك إلا أهله).

وروى أبو موسى الأشعري، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وامرأة بين يديه، فقلت: الطريق لرسول الله صلى الله عليه! فقالت: (الطريق معرض، إن شاء أخذ يميناً وإن شاء أخذ شمالاً. فقال صلى الله عليه وآله: (دعوها فإنها جبارة). وفي الحديث المرفوع: (أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن). وجاء مرفوعاً أيضاً:(المؤمن هين لين كالجمل الأنف[1]، إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ). وجاء مرفوعاً أيضاً: (ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً[2]، الذين يألفون ويؤلفون. ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة: الثرثارون المتفيهقون[3]). فروى فرقد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قيل له: على من حرمت النار يا رسول الله؟ قال: (على الهين اللين السهل القريب). فلم يجد محمد بن واسع بياضا يكتب ذلك فيه، فكتبه على ساقه. عبد الله بن الداراني: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة

---

١ – في الحديث المؤمن كالجمل الأنف..... إن قيد انقاد وإن استنيخ على صخرة استناخ فهو ذلول منقاد (الصحاح ج٤ ص١٣٣٤).

٢ – هذا مثل، وحقيقتُه من التَّوطئة، وهي التَّمهيد والتَّذليل. وفِرَاشٌ وَطِيءٌ: لا يؤذي جَنْبَ النَّائم. والأكنافُ: الجوانب. أراد الذين جوانبُهم وطيئةٌ، يتمكَّن فيها من يُصاحِبُهم ولا يتأذَّى.(النهاية في غريب الحديث باب الواو مع الطاء. ج٥ ص٢٠١).

٣ – والثرثرة: كثرة الكلام وترديده (الصحاح ج٢ ص٦٠٤). معناه هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجا عن الحق.

القلب. عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب رفق). وعنها، عنه صلى الله عليه وآله: (من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة).

جرير بن عبد الله البجلي رفعه: (إن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق، فإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق). وكان يقال: (ما دخل الرفق في شيء إلا زانه). سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: كان خلقه القرآن: {**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ**}[1].

علي (عليه السلام): ما من شيء في الميزان أثقل من خلق حسن. وعنه (عليه السلام): عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه. وعنه (عليه السلام) مرفوعاً: عليكم بحسن الخلق، فإنه في الجنة، وإياكم وسوء الخلق فإنه في النار.

(بعض ما مني به أمير المؤمنين عليه السلام من الأذى والاضطهاد):

وقد روى أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) قال لبعض أصحابه يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ثم

---

١ - سورة الأعراف (١٩٩).

تداولتها قريش واحداً بعد واحد حتى رجعت إلينا فكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود[1] حتى قتل فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل ثم بايع الحسين (عليه السلام) من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن (عليه السلام) فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (عليه السلام) ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة حتى إن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ولعله يكون ورعاً صدوقاً يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل

---

١ - عقبة كئود: شاقة المصعد (الصحاح ج٢ ص٥٢٩).

بعض من قد سلف من الولاة و لم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب إنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع.

وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب "الأحداث" قال كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام) فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي (عليه السلام) فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم[1] وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في

١- طرفه عنه: أي صرفه ورده. ومنه قول الشاعر: (إنك والله لذو ملة ❁ يطرفك الأدنى عن الأبعد) (الصحاح ج٤ ص١٣٩٥).

العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حيناً. ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجَّد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقيَ إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلَّموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله. ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشَفَّعَ ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة علي (عليه السلام) ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى

على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تديّنوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي (عليه السلام) فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض. ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين (عليه السلام) وولّي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة وولّى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغض من علي (عليه السلام) و عيبه والطعن فيه والشنآن له حتى أن إنساناً وقف للحجاج ويقال أنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب فصاح به أيها الأمير إن أهلي عقوّني فسموني علياً وإني فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج فتضاحك له الحجاج وقال للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال إن أكثر الأحاديث

الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم.

(نبذة عن حرب صفين)

قال نصر: فحدثنا عمر بن سعد، قال فبينا علي (عليه السلام) واقفاً بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفناء[1] قحطان، إذ نادى رجل من أهل الشام: من دل على أبي نوح الحميري؟ فقيل له: قد وجدته، فما ذا تريد؟ قال: فحسر عن لثامه، فإذا هو ذو الكلاع الحميري، ومعه جماعة من أهله ورهطه، فقال لأبي نوح: سر معي، قال: إلى أين؟ قال: إلى أن نخرج عن الصف، قال: وما شأنك، قال: إن لي إليك لحاجة، فقال أبو نوح: معاذ الله أن أسير إليك إلا في كتيبة، قال ذو الكلاع: بلى فسر فلك ذمة الله وذمة رسوله وذمة ذي الكلاع، حتى ترجع إلى خيلك، فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه. فسار أبو نوح، وسار ذو الكلاع، فقال له: إنما دعوتك أحدثك حديثاً حدثناه عمرو بن العاص قديماً في خلافة عمر بن الخطاب، ثم أذكرناه الآن به فأعاده. إنه يزعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه (وآله) قال: "يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وفي إحدى الكتيبتين الحق، وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر". فقال أبو نوح: نعم والله إنه لفينا. قال: نشدتك الله أجادٌّ هو على قتالنا؟ قال أبو نوح: نعم ورب الكعبة، لهو أشد على قتالكم مني، ولوددت أنكم خلق

---

١ – يقال من أفناء الناس: إذا لم يعلم ممن هو (الصحاح ج٦ ص٢٤٥٦).

واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمي. قال ذو الكلاع: ويلك! علام تمنّي ذلك منا! فو الله ما قطعتك فيما بيني وبينك قط، وإن رحمك لقريبة، وما يسرني أن أقتلك. قال أبو نوح إن الله قطع بالإسلام أرحاماً قريبة، ووصل به أرحاماً متباعدة، وإني قاتلك وأصحابك، لأنّا على الحق وأنتم على الباطل. قال ذو الكلاع: فهل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشام فأنا لك جار منهم، حتى تلقى عمرو بن العاص، فتخبره بحال عمار وجِدِّه في قتالنا لعله أن يكون صلح بين هذين الجندين!

قال ابن أبي الحديد: (قلت: واعجباه من قوم يعتريهم الشك في أمرهم لمكان عمار، ولا يعتريهم الشك لمكان علي (عليه السلام)! ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم، ولا يعبئون بمكان علي (عليه السلام)! ويحذرون من قول النبي صلى الله عليه وآله سلم: "تقتلك الفئة الباغية" ويرتاعون لذلك، ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله في علي (عليه السلام):"اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"، ولا لقوله:"لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق". وهذا يدلك على أن علياً (عليه السلام) اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في إخمال[1] ذكره وستر فضائله، وتغطية خصائصه حتى محي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلاً منهم).

---

١ - الخامل: الخفي. ويقال: هو خامل الذكر والأمر أي: لا يعرف (كتاب العين ج٤ ص٢٧٣).

قال نصر: فقال له أبو نوح: إنك رجل غادر، وأنت في قوم غدر، وإن لم ترد الغدر أغدروك، وإني أن أموت أحب إليّ من أن أدخل مع معاوية. فقال ذو الكلاع: أنا جار لك من ذلك، ألاّ تقتل ولا تسلب ولا تكره على بيعة، ولا تحبس عن جندك، وإنما هي كلمة تبلغها عمرو بن العاص، لعل الله أن يصلح بذلك بين هذين الجندين، ويضع عنهم الحرب. فقال أبو نوح: إني أخاف غدراتك وغدرات أصحابك. قال ذو الكلاع: أنا لك بما قلت زعيم، قال أبو نوح: اللهم إنك ترى ما أعطاني ذو الكلاع، وأنت تعلم ما في نفسي، فاعصمني واختر لي وانصرني، وادفع عني. ثم سار مع ذي الكلاع حتى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس، وعبد الله بن عمر يحرض الناس على الحرب، فلما وقفا على القوم، قال ذو الكلاع لعمرو: يا أبا عبد الله، هل لك في رجل ناصح لبيب مشفق، يخبرك عن عمار بن ياسر فلا يكذبك؟ قال: ومن هو؟ قال: هو ابن عمي هذا، وهو من أهل الكوفة. فقال عمرو: أرى عليك سيما أبي تراب! فقال أبو نوح: علي سيما محمد وأصحابه، وعليك سيما أبي جهل وسيما فرعون! فقام أبو الأعور فسل سيفه، وقال: لا أرى هذا الكذاب اللئيم يسبنا بين أظهرنا وعليه سيما أبي تراب! فقال ذو الكلاع: أقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف، ابن عمي وجاري، عقدت له ذمتي، وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه. فقال له عمرو بن العاص: يا أبا نوح، أذكرك بالله إلاّ ما صدقتنا و لم تكذبنا، أفيكم عمار بن ياسر؟

قال أبو نوح: ما أنا بمخبرك حتى تخبرني لم تسأل عنه ومعنا من أصحاب محمد صلى الله عليه (وآله) عدة غيره، وكلهم جاد على قتالكم؟ فقال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) يقول: (إن عماراً تقتله الفئة الباغية، وإنه ليس لعمار أن يفارق الحق، ولن تأكل النار من عمار شيئاً)، فقال أبو نوح: لا إله إلا الله، والله أكبر، والله إنه لفينا جاد على قتالكم! فقال عمرو: الله الذي لا إله إلا هو إنه لجاد على قتالنا! قال: نعم والله الذي لا إله إلا هو، ولقد حدثني يوم الجمل أنا سنظهر على أهل البصرة ولقد قال لي أمس إنكم لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجر[1] لعلمنا أنّا على الحق، وأنكم على باطل ولكانت قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

قال عمرو: فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه؟ قال: نعم، فركب عمرو بن العاص وابناه وعتبة بن أبي سفيان وذو الكلاع، وأبو الأعور السلمي، وحوشب، والوليد بن عقبة وانطلقوا، وسار أبو نوح ومعه شرحبيل بن ذي الكلاع يحميه، حتى انتهى إلى أصحابه، فذهب أبو نوح إلى عمار، فوجده قاعداً مع أصحاب له، منهم الأشتر وهاشم وابنا بديل، وخالد بن معمر، وعبد الله بن حجل، وعبد الله بن العباس. فقال لهم أبو نوح: إنه دعاني ذو الكلاع، وهو ذو رحم، فقال: أخبرني عن عمار ابن ياسر، أفيكم هو؟ فقلت: لم تسأل؟

---

١ - السعفات: جمع سعفة، بالتحريك، وهي أغصان النخيل، وقيل: إذا يبست سميت سعفة، وإذا كانت رطبة، فهي شطبة، وإنما خص هجر للمباعدة في المسافة، ولأنها موصوفة بكثرة النخيل (النهاية في غريب الحديث ج٢ ص٣٦٨).

فقال: أخبرني عمرو بن العاص في إمرة عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه (وآله)، يقول: (يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وعمار مع أهل الحق، وتقتله الفئة الباغية)، فقلت: نعم، إن عماراً فينا، فسألني أجاد هو على قتالنا؟ فقلت: نعم والله، إنه لأجدُّ مني في ذلك ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك يا ذا الكلاع، فضحك عمار، وقال: أيسرك ذلك؟ قال: نعم، ثم قال أبو نوح: أخبرني الساعة عمر بن العاص، إنه سمع رسول الله صلى الله عليه (وآله) يقول: "تقتل عماراً الفئة الباغية"، قال عمار أقررته بذلك؟ قال: نعم، لقد قررته بذلك فأقر، فقال عمار: صدق، وليضرنه ما سمع ولا ينفعه. قال أبو نوح: فإنه يريد أن يلقاك، فقال عمار لأصحابه: اركبوا، فركبوا وساروا. قال: فبعثنا إليهم فارساً من عبد القيس يسمى عوف بن بشر فذهب، حتى إذا كان قريباً منهم، نادى: أين عمرو بن العاص؟ قالوا: هاهنا فأخبره بمكان عمار وخيله، قال عمرو: قل له: فليسر إلينا، قال عوف: إنه يخاف غدارتك وفجراتك، قال عمرو: ما أجرأك عليَّ وأنت على هذه الحال؟ قال عوف: جرأني عليك بصري فيك وفي أصحابك، وإن شئت نابذتك الآن سواء (وإن شئت التقيت أنت وخصماؤك، وأنت كنت غادراً). فقال عمرو: إنك لسفيه، وإني باعث إليك رجلاً من أصحابي يواقفك، قال ابعث من شئت، فلست بالمستوحش، وإنك لا تبعث إلا شقياً، فرجع عمرو وأنفذ إليه أبا الأعور، فلما تواقفا تعارفا، فقال عوف: إني لأعرف الجسد وأنكر القلب، وإني لا أراك مؤمناً ولا أراك إلا من أهل النار.

قال أبو الأعور: يا هذا، لقد أعطيت لساناً يكبك الله به على وجهك في النار، قال عوف: كلا والله إني لأتكلم بالحق وتتكلم بالباطل، وإني أدعوك إلى الهدى وأقاتلك على الضلال وأفر من النار، وأنت بنعمة الله ضال، تنطق بالكذب وتقاتل على ضلالة، وتشتري العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى، انظر إلى وجوهنا ووجوهكم وسيمانا وسيماكم، واسمع دعوتنا ودعوتكم، فليس أحد منا إلا وهو أولى بالحق وبمحمد، وأقرب إليه منكم. فقال أبو الأعور: لقد أكثرت الكلام، وذهب النهار، ويحك! ادع أصحابك وأدعو أصحابي وليأت أصحابك في قلة إن شاءوا أو كثرة، فإني أجيء من أصحابي بعددهم، (فإن شاء أصحابك فليقلوا، وإن شاءوا فليكثروا) فسار عمار في اثني عشر فارساً حتى إذا كانوا بالمنصف سار عمرو بن العاص في اثني عشر فارساً حتى اختلفت أعناق الخيل، خيل عمار وخيل عمرو، ونزل القوم واحتبوا[1] بحمائل سيوفهم، فتشهد عمرو بن العاص، فقال له عمار: اسكت، فلقد تركتها وأنا أحق بها منك، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك، وإن شئت كانت خطبة، فنحن أعلم بفصل الخطاب منك، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك، وتكفرك قبل القيام، وتشهد بها على نفسك ولا تستطيع أن

---

١ - ومنه الحديث : الاحتباء حيطان العرب أي ليس في البراري حيطان ، فإذا أرادوا أن يستندوا احتبوا لأن الاحتباء يمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار (لسان العرب ابن منظور ج٤١ ص١٦١).

تكذبني فيها. فقال عمرو: يا أبا اليقظان، ليس لهذا جئت إنما جئت، لأني رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم. أذكرك الله إلا كففت سلاحهم، وحقنت دماءهم وحرصت على ذلك، فعلام تقاتلوننا! أو لسنا نعبد إلها واحداً، ونصلي إلى قبلتكم وندعو دعوتكم، ونقرأ كتابكم، ونؤمن بنبيكم! قال عمار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك، إنها لي ولأصحابي: القبلة والدين وعبادة الرحمن، والنبي، والكتاب من دونك ودون أصحابك. الحمد لله الذي قررك لنا بذلك، وجعلك ضالاً مضلاً أعمى، وسأخبرك على ما أقاتلك عليه وأصحابك، إن رسول الله صلى الله عليه (وآله) أمرني أن أقاتل الناكثين، فقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين وأنتم هم، وأما المارقون فلا أدري أدركهم أو لا أيها الأبتر، ألست تعلم أن رسول الله صلى الله عليه (وآله) قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه!)، فأنا مولى الله ورسوله وعلي مولاي بعدهما. قال عمرو: لم تشتمني يا أبا اليقظان ولست أشتمك قال عمار: وبم تشتمني؟ أتستطيع أن تقول: إني عصيت الله ورسوله يوماً قط! قال عمرو: إن فيك لمساب سوى ذلك، قال عمار: (إن الكريم من أكرمه الله! كنت وضيعاً فرفعني الله، ومملوكاً فأعتقني الله، وضعيفاً فقواني الله، وفقيراً فأغناني الله!).

قال عمرو: فما ترى في قتل عثمان، قال: فتح لكم باب كل سوء، قال عمرو: فعليٌ قتله؟ قال عمار: بل الله ربُ عليٍ قتله وعليٌ معه، قال عمرو: فكنت فيمن قتله؟ قال: كنت مع من قتله، وأنا اليوم

أقاتل معهم، قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمار: إنه أراد أن يغير ديننا فقتلناه، فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد إعترف بقتل إمامكم! فقال عمار، قد قالها فرعون قبلك لقومه: "ألا تستمعون". فقام أهل الشام ولهم زجل فركبوا خيولهم، ورجعوا، وقام عمار وأصحابه فركبوا خيولهم ورجعوا، وبلغ معاوية ما كان بينهم، فقال: هلكت العرب إن حركتهم خفة العبد الأسود يعني عماراً.

قال نصر: فحدثنا عمرو بن شمر، قال: فخرجت الخيول إلى القتال واصطفت بعضها لبعض، وتزاحف الناس وعلى عمار درع بيضاء، وهو يقول: أيها الناس، الرواح إلى الجنة. فقاتل القوم قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بمثله، وكثرت القتلى حتى أنْ كان الرجل ليشد طنب[1] فسطاطه بيد الرجل أو برجله. وحكى الأشعث بعد ذلك، قال لقد رأيت أخبية صفين وأروقتها، وما فيها خباء ولا رواق ولا فسطاط إلا مربوطاً بيد إنسان أو برجله. قال نصر: وجعل أبو السماك الأسدي يأخذ اداوة من ماء وشفرة حديدة، فيطوف في القتلى، فإذا رأى رجلاً جريحاً وبه رمق أقعده فيقول له: مَنْ أمير المؤمنين؟ فإذا قال: "علي" غسل الدم عنه، وسقاه من الماء، وإن سكت وجأه بالسكين حتى يموت ولا يسقيه. قال نصر: وحدثنا عمرو بن شمر، عن جابر، قال: سمعت الشعبي، يقول: قال الأحنف بن قيس: والله إني إلى جانب عمار بن ياسر، (بيني وبينه رجل من بني

---

١ - والطنب: حبل الخباء، والجمع أطناب (الصحاح ج١ ص١٧٢).

الشعيراء). فتقدمنا حتى دنونا من هاشم بن عتبة، فقال له عمار: احمل فداك أبي وأمي! فقال له هاشم: يرحمك الله يا أبا اليقظان! إنك رجل تأخذك خفة في الحرب، وإني إنما أزحف باللواء زحفاً، أرجو أن أنال بذلك حاجتي، وإن خففت لم آمن الهلكة، وقد كان قال معاوية لعمرو: ويحك! إن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة، وقد كان من قبل يرقل[1] به إرقالاً، وإن زحف به اليوم زحفاً إنه لليوم الأطول على أهل الشام، فإن زحف في عنق من أصحابه، إني لأطمع أن تقتطع. فلم يزل به عمار حتى حمل، فبصر به معاوية، فوجه إليه حماةَ أصحابه ومن يُزَّنْ بالبأس والنجدة منهم في ناحية وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص، ومعه يومئذ سيفان قد تقلد بأحدهما، وهو يضرب بالآخر، فأطافت به خيول علي (عليه السلام)، وجعل عمرو يقول: يا الله، يا رحمن! ابني، ابني! فيقول معاوية اصبر فلا بأس عليه. فقال عمرو: لو كان يزيد بن معاوية أصبرت! فلم يزل حماة أهل الشام تذب عن عبد الله حتى نجا هارباً على فرسه (ومن معه، وأصيب هاشم في المعركة) قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، قال: وفي هذا اليوم قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، أصيب في المعركة، وقد كان قال حين نظر إلى راية عمرو بن العاص: والله إنها لراية قد قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهن، ثم قال:

---

١ - الإرقال: ضرب من الخبب (العَدْو الخفيف) (الصحاح ج٤ ص١٧١٢).

نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله

ثم استسقى وقد اشتد عطشه، فأتته امرأة طويلة اليدين، ما أدري أعس معها أم إداوة[1] فيها ضياح[2] من لبن! فقال حين شرب:

الجنة تحت الأسنة، اليوم ألقى الأحبة، محمداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق، وأنهم على الباطل. ثم حمل وحمل عليه ابن حوى السكسكي وأبو العادية، فأما أبو العادية فطعنه، وأما ابن حوى فاحتز رأسه، وقد كان ذو الكلاع يسمع عمرو ابن العاص، يقول: إن النبي صلى الله عليه (وآله) يقول لعمار: (تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربك ضياح من لبن)، فقال ذو الكلاع لعمرو: ويحك ما هذا! قال عمرو: إنه سيرجع إلينا، ويفارق أبا تراب، وذلك قبل أن يصاب عمار، فلما أصيب عمار في هذا اليوم أصيب ذو الكلاع، فقال عمرو لمعاوية: والله ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً! والله لو بقى ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه إلى علي، ولأفسد علينا أمرنا.

---

١ - الإداوة: بالكسر: إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطيحة ونحوها. (لسان العرب ج١٤ ص٢٥).

٢ - الضيح والضياح بالفتح: اللبن الرقيق الممزوج (الصحاح ج١ ص٣٣٥).

قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، قال: كان لا يزال رجل يجيء فيقول لمعاوية وعمرو أنا قتلت عماراً، فيقول له عمرو: فما سمعته يقول؟ فيخلط، حتى أقبل ابن حوى فقال: أنا قتلته، فقال عمرو: فما كان آخر منطقه، قال: سمعته يقول: (اليوم ألقى الأحبه، محمداً وحزبه). فقال: صدقت، أنت صاحبه، أما والله ما ظفرت يداك، ولقد أسخطت ربك.

فصل في ذكر المنحرفين عن علي (عليه السلام):

وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي (عليه السلام)، قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا، وإيثاراً للعاجلة، فمنهم أنس بن مالك، ناشد علي (عليه السلام) الناس في رحبة القصر أو قال رحبة الجامع بالكوفة: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها، وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا أنس، ما يمنعك أن تقوم فتشهد، ولقد حضرتها! فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال: اللهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامة قال طلحه بن عمير: فو الله لقد رأيت الوضح[1] به بعد ذلك أبيض بين عينيه.

---

١ - الوضح: الضوء والبياض، وقد يكنى به عن البرص (الصحاح ج١ ص٤١٦).

وروى عثمان بن مطرف أن رجلاً سأل أنس بن مالك في آخر عمره عن علي بن أبي طالب، فقال: إني آليت ألا أكتم حديثاً سئلت عنه في علي بعد يوم الرحبة، ذاك رأس المتقين يوم القيامة، سمعته والله من نبيكم. وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن، أن علياً (عليه السلام) نشد الناس من سمع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، يقول: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم، فلم يشهد وكان يعلمها، فدعا علي (عليه السلام) عليه بذهاب البصر فعمي، فكان يحدث الناس بالحديث بعد ما كف بصره.

قالوا: وكان الأشعث بن قيس الكندي وجرير بن عبد الله البجلي يبغضانه، وهدم علي (عليه السلام) دار جرير بن عبد الله. قال إسماعيل بن جرير: هدم علي دارنا مرتين. وروى الحارث بن حصين، أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع إلى جرير بن عبد الله نعلين من نعاله، وقال: احتفظ بهما، فإن ذهابهما ذهاب دينك، فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداهما، فلما أرسله علي (عليه السلام) إلى معاوية ذهبت الأخرى، ثم فارق علياً واعتزل الحرب. وروى أهل السيرة أن الأشعث خطب إلى علي (عليه السلام) ابنته، فزبره، وقال: يا بن الحائك، أغرك ابن أبي قحافه! وروى أبو بكر الهذلي عن الزهري، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار بن نوفل بن عبد مناف، قال: قام الأشعث إلى علي (عليه السلام)، فقال: إن الناس يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليك عهداً لم يعهده إلى غيرك، فقال: إنه

عهد إلي ما في قراب سيفي، لم يعهد إلي غير ذلك. فقال الأشعث: هذه إن قلتها فهي عليك لا لك، دعها ترحل عنك، فقال له: وما علمك بما علي مما لي! منافق ابن كافر، حائك ابن حائك! إني لأجد منك بنة[1] الغزل. ثم التفت إلى عبيد الله بن عدي بن الخيار، فقال: يا عبيد الله، إنك لتسمع خلافاً وترى عجباً، ثم أنشد:

أصبحت هزءاً لراعي الضأن أتبعه ماذا يريبك مني راعي الضان!

وقد ذكرنا في بعض الروايات المتقدمات أن سبب قوله: (هذه عليك لا لك)، أمر آخر، والروايات تختلف.

وروى يحيى بن عيسى الرملي، عن الأعمش: أن جريراً والأشعث خرجا إلى جبان[2] الكوفة، فمر بهما ضَبٌّ يعدو، وهما في ذم علي (عليه السلام)، فناداياه: يا أبا حسن، هلم، يدك نبايعك بالخلافة، فبلغ علياً (عليه السلام) قولهما، فقال: أما إنهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضَبٌّ.

وكان أبو مسعود الأنصاري[3] منحرفاً عنه (عليه السلام)، روى شريك، عن عثمان ابن أبي زرعة، عن زيد بن وهب، قال: تذاكرنا القيام إذا مرت الجنازة عند علي (عليه السلام)، فقال أبو مسعود

---

١ - البنة: رائحة، طيبة كانت أم منتنة (الصحاح ج٥ ص٢٠٨٠).

٢ - الجبان والجبانة بالتشديد: الصحراء (الصحاح ج٥ ص٢٠٩٠). وأهل الكوفة يسمون المقبرة جبانة.

٣ - أبو مسعود الانصاري " ي " اسمه عقبة بن عمر ، هو صحابي جليل مات قبل الاربعين وقيل : بعدها ، وفي شرح ابن أبي الحديد من المنحرفين عن علي عليه السلام والرادين عليه أبا مسعود الانصاري ثم ذكر أخبار ذلك. طرائف المقال السيد علي البروجردي (ج٢ ص١١٩).

الأنصاري: قد كنا نقوم، فقال علي (عليه السلام): ذاك وأنتم يومئذ يهود. وروى شعبة، عن عبيد بن الحسن، عن عبد الرحمن بن معقل، قال: حضرت علياً (عليه السلام)، وقد سأله رجل عن امرأة توفي عنها زوجها وهي حامل، فقال: تتربص أبعد الأجلين، فقال رجل: فإن أبا مسعود يقول: وضعها انقضاء عدتها، فقال علي (عليه السلام): إن فروجاً لا يعلم، فبلغ قوله أبا مسعود، فقال: بلى، والله إني لأعلم أن الآخر شر.

وروى المنهال، عن نعيم بن دجاجة، قال: كنت جالساً عند علي (عليه السلام)، إذ جاء أبو مسعود، فقال علي (عليه السلام): جاءكم فروج، فجاء فجلس، فقال له علي (عليه السلام): بلغني أنك تفتي الناس، قال: نعم، وأخبرهم أن الآخر شر، قال: فهل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً؟ قال: نعم، سمعته يقول: (لا يأتي على الناس سنة مائة وعلى الأرض عين تطرف)، قال: أخطأت إستك الحفرة، وغلطت في أول ظنك، إنما عنى من حضره يومئذ، وهل الرخاء إلا بعد المائة[1]!

وروى جماعة من أهل السير أن علياً (عليه السلام) كان يقول عن كعب الأحبار: إنه لكذاب، وكان كعب منحرفاً عن علي (عليه السلام). وكان النعمان بن بشير الأنصاري منحرفاً عنه، وعدواً له،

---

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٤ ص٧٦).

وخاض الدماء مع معاوية خوضاً، وكان من أمراء يزيد ابنه حتى قتل وهو على حاله.

وقد روي أن عمران بن الحصين كان من المنحرفين عنه (عليه السلام)، وأن علياً سيره إلى المدائن، وذلك أنه كان يقول: إن مات علي فلا أدري ما موته، وإن قتل فعسى أني إن قتل رجوت له، ومن الناس من يجعل عمران في الشيعة.

وكان سمرة بن جندب من شرطة زياد، روى عبد الملك بن حكيم عن الحسن، قال: جاء رجل من أهل خراسان إلى البصرة، فترك مالاً كان معه في بيت المال، وأخذ براءة، ثم دخل المسجد فصلى ركعتين، فأخذه سمرة بن جندب، واتهمه برأي الخوارج، فقدمه فضرب عنقه، وهو يومئذ على شرطة زياد، فنظروا فيما معه فإذا البراءة بخط بيت المال، فقال أبو بكرة: يا سمرة، أما سمعت الله تعالى يقول: {**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ**}[1]!

فقال: أخوك[2] أمرني بذلك. وروى الأعمش، عن أبي صالح، قال: قيل لنا: قد قدم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١ - سورة الأعلى (١٤، ١٥).

٢ - هو نفيع بن الحارث بن كلده ويقال بن مسروح ويقال مولى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أبو بكرة الثقفي البصري أخو زياد لأمه أمهما سمية أخرج البخاري في العلم والصلاة وجزاء الصيد عن الاحنف بن قيس والحسن بن قيس والحسن بن علي وحميد وإبراهيم ابني عبد الرحمن بن عوف عنه عن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أخرج البخاري في التاريخ حدثنا مسدد قال مات أبو بكرة والحسن بن علي في سنة وأمر أبو بكرة أن يصلي عليه أبوبرزة وزياد يومئذ حي. التعديل والتجريح سليمان بن خلف الباجي (ج٢ ص٨٥٩).

وسلم، فأتيناه فإذا هو سمرة بن جندب، وإذا عند إحدى رجليه خمر، وعند الأخرى ثلج، فقلنا: ما هذا؟ قالوا: به النقرس، وإذا قوم قد أتوه، فقالوا يا سمرة، ما تقول لربك غداً؟ تؤتى بالرجل فيقال لك: هو من الخوارج فتأمر بقتله، ثم تؤتى بآخر فيقال لك: ليس الذي قتلته بخارجي، ذاك فتى وجدناه ماضياً في حاجته، فشبه علينا، وإنما الخارجي هذا، فتأمر بقتل الثاني! فقال سمرة: وأي بأس في ذلك! إن كان من أهل الجنة مضى إلى الجنة، وإن كان من أهل النار مضى إلى النار!

وروى واصل مولى أبي عيينة، عن جعفر بن محمد بن علي (عليه السلام) عن آبائه، قال: كان لسمرة بن جندب نخل في بستان رجل من الأنصار، فكان يؤذيه، فشكا الأنصاري ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فبعث إلى سمرة، فدعاه فقال له: بع نخلك من هذا، وخذ ثمنه، قال: لا أفعل، قال: فخذ نخلاً مكان نخلك، قال: لا أفعل، قال: فاشتر منه بستانه، قال: لا أفعل، قال: فاترك لي هذا النخل ولك الجنة، قال: لا أفعل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم للأنصاري: (اذهب فاقطع نخله، فإنه لا حق له فيه).

وروى شريك قال: أخبرنا عبد الله بن سعد عن حجر بن عدي، قال: قدمت المدينة فجلست إلى أبي هريرة، فقال: ممن أنت؟ قلت: من أهل البصرة، قال: ما فعل سمرة ابن جندب؟ قلت: هو حي، قال: ما أحد أحب إلى طول حياة منه. قلت: و لم ذاك؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال لي وله ولحذيفة بن اليمان: (آخركم

موتاً في النار)، فسبقناً حذيفة، وأنا الآن أتمنى أن أسبقه، قال: فبقي سمرة بن جندب حتى شهد مقتل الحسين.

وروى أحمد بن بشير عن مسعر بن كدام، قال: كان سمرة بن جندب أيام مسير الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة على شرطة عبيد الله بن زياد، وكان يحرض الناس على الخروج إلى الحسين (عليه السلام) وقتاله.

ومن المنحرفين عنه المبغضين له عبد الله بن الزبير، وقد ذكرناه آنفاً، كان علي (عليه السلام) يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله، فأفسده. وعبد الله هو الذي حمل الزبير على الحرب، وهو الذي زين لعائشة مسيرها إلى البصرة، وكان سباباً فاحشاً، يبغض بني هاشم، ويلعن ويسب علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وروى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم رحمه الله تعالى، عن نصر بن عاصم الليثي، عن أبيه، قال: أتيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة، فأخذ بيد أبي سفيان، فخرجا من المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لعن الله التابع والمتبوع، رب يوم لأمتي من معاوية ذي الإستاه)، قالوا: يعني الكبير العجز. وقال: روى العلاء بن حريز القشيري أن

رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال لمعاوية: (لتتخذن يا معاوية البدعة سنة، والقبح حسنا، أكلك كثير، وظلمك عظيم)[1].

وروى صاحب كتاب الغارات عن أبي صادق، عن جندب بن عبد الله، قال: ذكر المغيرة بن شعبة عند علي (عليه السلام) وجده مع معاوية، قال: وما المغيرة! إنما كان إسلامه لفجرة وغدرة غدرها بنفر من قومه فتك بهم، وركبها منهم، فهرب منهم، فأتى النبي صلى الله عليه وآله كالعائذ بالإسلام، والله ما رأى أحد عليه منذ ادعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً، ألا وإنه يكون من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة يجانبون الحق، ويسعرون نيران الحرب ويوازرون الظالمين، ألا إن ثقيفاً قومُ غدرٍ، لا يوفون بعهد، يبغضون العرب كأنهم ليسوا منهم، ولرب صالح قد كان منهم.

قال شيخنا أبو القاسم البلخي: من المعلوم الذي لا ريب فيه لاشتهار الخبر به، وإطباق الناس عليه، أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان يبغض علياً ويشتمه، وأنه هو الذي لاحاه[2] في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ونابذه، وقال له: أنا أثبت منك جناناً[3]، وأحد سناناً، فقال له علي (عليه السلام): اسكت يا فاسق، فأنزل الله تعالى فيهما: {**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ**}[4] الآيات

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٤ ص٧٩).

٢ - ولاحيته ملاحاة ولحاء، إذا نازعته. وفي المثل(من لاحاك فقد عاداك) (الصحاح ج٦ ص٢٤٨١).

٣ - والجنان بالفتح: القلب (الصحاح ج٥ ص٢٠٩٤).

٤ - سورة السجدة (١٨).

المتلوة، وسمي الوليد بحسب ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله الفاسق، فكان لا يعرف إلا بالوليد الفاسق. وهذه الآية من الآيات التي نزل فيها القرآن بموافقة علي (عليه السلام). وسماه الله تعالى فاسقاً[1] في آية أخرى، وهو قوله تعالى: {إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ}[2]، وسبب نزولها مشهور، وهو كذبه على بني المصطلق، وادعاؤه أنهم منعوا الزكاة وشهروا السيف، حتى أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتجهيز للمسير إليهم، فأنزل الله تعالى في تكذيبه وبراءة ساحة القوم هذه الآية. وكان الوليد مذموماً معيباً عند رسول الله صلى الله عليه وآله يشنؤه[3] ويعرض عنه، وكان الوليد يبغض رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً ويشنؤه، وأبوه عقبة بن أبي معيط هو العدو الأزرق بمكة، والذي كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وأهله، وأخباره في ذلك مشهورة، فلما ظفر به يوم بدر ضرب عنقه. وورث ابنه الوليد الشنآن والبغضة لمحمد وأهله فلم يزل عليهما إلى أن مات. قال الشيخ أبو القاسم: وهو أحد الصبية الذين قال أبو عقبة فيهم، وقد قدم ليضرب عنقه: من للصبية يا محمد؟ فقال: (النار، اضربوا عنقه).

قال: وللوليد شعر يقصد فيه الرد على رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: (إن تولوها علياً، تجدوه هادياً مهدياً). قال: وذلك أن

---

١ - أي الوليد بن عقبة.

٢ - سورة الحجرات (٦).

٣ - من الشنآن وهي البغضة. راجع (الصحاح ج١ ص٥٧).

علياً (عليه السلام) لما قتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفاً من بني أمية أن يحدثوا في قبره حدثاً، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة - وهي ليلة دفنه- إيهامات مختلفة، فشدوا على جمل تابوتاً موثقاً بالحبال، يفوح منه روائح الكافور، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل صحبة ثقاتهم، يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة عليها السلام، وأخرجوا بغلاً وعليه جنازة مغطاة، يوهمون أنهم يدفنونه بالحيرة، وحفروا حفائر عدة، منها بالمسجد، ومنها برحبة القصر، قصر الإمارة، ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي، ومنها في أصل دار عبد الله ابن يزيد القسري بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد، ومنها في الكناسة، ومنها في الثوية، فعمي على الناس موضع قبره، و لم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه، فإنهم خرجوا به (عليه السلام) وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان، فدفنوه على النجف، بالموضع المعروف بالغري، بوصاة منه (عليه السلام) إليهم في ذلك، وعهد كان عهد به إليهم، وعمي موضع قبره على الناس، واختلفت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافاً شديداً، وافترقت الأقوال في موضع قبره الشريف وتشعبت، وادعى قوم أن جماعة من طيئ وقعوا على جمل في تلك الليلة، وقد أضله أصحابه ببلادهم، وعليه صندوق، فظنوا فيه مالاً، فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به، فدفنوا الصندوق بما فيه،ونحروا البعير وأكلوه، وشاع ذلك في بني أمية

وشيعتهم، واعتقدوه حقاً، فقال الوليد بن عقبة من أبيات يذكره (عليه السلام) فيها:

فإن يك قد ضل البعير بحمله فما كان مهدياً ولا كان هاديا

وروى الشيخ أبو القاسم البلخي أيضاً، عن جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة الضبي، قال: مر ناس بالحسن بن علي (عليه السلام)، وهم يريدون عيادة الوليد بن عقبة، وهو في علة له شديدة، فأتاه الحسن (عليه السلام) معهم عائداً، فقال للحسن: أتوب إلى الله تعالى مما كان بيني وبين جميع الناس، إلا ما كان بيني وبين أبيك، فإني لا أتوب منه.

قال شيخنا أبو القاسم البلخي: وأكد بغضه له ضربه إياه الحد في ولاية عثمان، وعزله عن الكوفة. وقد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب فيها عند المحدثين، على أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (لا يبغضك إلا منافق، ولا يحبك إلا مؤمن). قال: وروى حبة العرني، عن علي (عليه السلام) أنه قال: إن الله عز وجل أخذ ميثاق كل مؤمن على حبي وميثاق كل منافق على بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبني. وروى عبد الكريم بن هلال، عن أسلم المكي، عن أبي الطفيل، قال: سمعت علياً (عليه السلام)، وهو يقول: لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضني ولو نثرت على المنافق ذهباً وفضة ما أحبني، إن الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبي، وميثاق المنافقين ببغضي، فلا يبغضني مؤمن، ولا يحبني منافق أبداً.

قال الشيخ أبو القاسم البلخي: وقد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة، قالوا: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ببغض علي بن أبي طالب. ذكر إبراهيم بن هلال صاحب كتاب "الغارات" فيمن فارق علياً (عليه السلام) والتحق بمعاوية يزيد بن حجية التيمي، من بني تيم بن ثعلبة بن بكر بن وائل، وكان (عليه السلام) قد استعمله على الري ودستبي[1]، فكسر الخوارج، واحتجن المال لنفسه، فحبسه علي (عليه السلام)، وجعل معه سعداً مولاه، فقرب يزيد ركائبه، وسعد نائم، فالتحق بمعاوية وقال:

خادعت سعداً وارتمت بي ركائبي إلى الشام واخترت الذي هو أفضل

وغادرت سعداً نائماً في عباءة وسعد غلام مستهام مضلل

ثم خرج حتى أتى الرقة، وكذلك كان يصنع من يفارق علياً (عليه السلام)، يبدأ بالرقة حتى يستأذن معاوية في القدوم عليه، وكانت الرقة والرها وقرقيسيا[2] وحران من حيز معاوية، وعليها الضحاك بن قيس، وكانت هيت وعانات ونصيبين ودارا وآمد وسنجار من حيز علي (عليه السلام)، وعليها الأشتر، وكانا يقتتلان في كل شهر.

وقال يزيد بن حجية وهو بالرقة يهجو علياً (عليه السلام):

---

١ - دستبى، بالفتح، ثم السكون وفتح التاء: كورة كانت مشتركة بين الري وهمدان.(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل ج٤ ص٨٣).

٢ - قرقيسياء: بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق (معجم البلدان) (الأنساب ج٥ ص٢٢٦).

يا طول ليلي بالرقـــات لم أنم من غير عشق صبت نفسي ولا سـقم
لكن لذكر أمور جمـــة طرقـــت أخشى على الأصل منـــها زلـــة القـــدم
أخشى علياً عليهم أن يكـــون لهـــم مثل العقور الـــذي عفـــى علـــى إرم

وبعد ذلك ما لا نذكره[1].

قال إبراهيم بن هلال: وقد كان زياد بن خصفة التيمـــي، قـــال لعلـــي (عليه السلام) يوم هرب يزيد بن حجية: ابعثني يا أمـــير المـــؤمنين في أثـــره أرده إليك، فبلغ قوله يزيد بن حجية، فقال في ذلك[2]:

أبلغ زياداً أنني قـــد كفيتـــه أموري وخليت الـــذي هـــو عاتبـــه
وباب شديد موثق قـــد فتحتـــه عليك، وقد أعيـــت عليـــك مذاهبـــه
هبلت أما ترجو عنـــائي ومشـــهدي إذ الخصم لم يوجد لـــه مـــن يجاذبـــه!
فأقسم لـــولا أن أمـــك أمنـــا وأنك مولى ما طفقـــت أعاتبـــه
وأقسم لو أدركتني ما رددتـــني كلانا قد اصطفت إليه جلائبـــه[3]

هذا آخر ما أردت إيراده في هذا الكتـــاب والحمـــد لله الـــذي هـــدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

١ – هذا يدل على قبح ماذكر وحقد الذاكر على أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٤ ص٨٥).

٣ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (ج٤ ص٨٥).

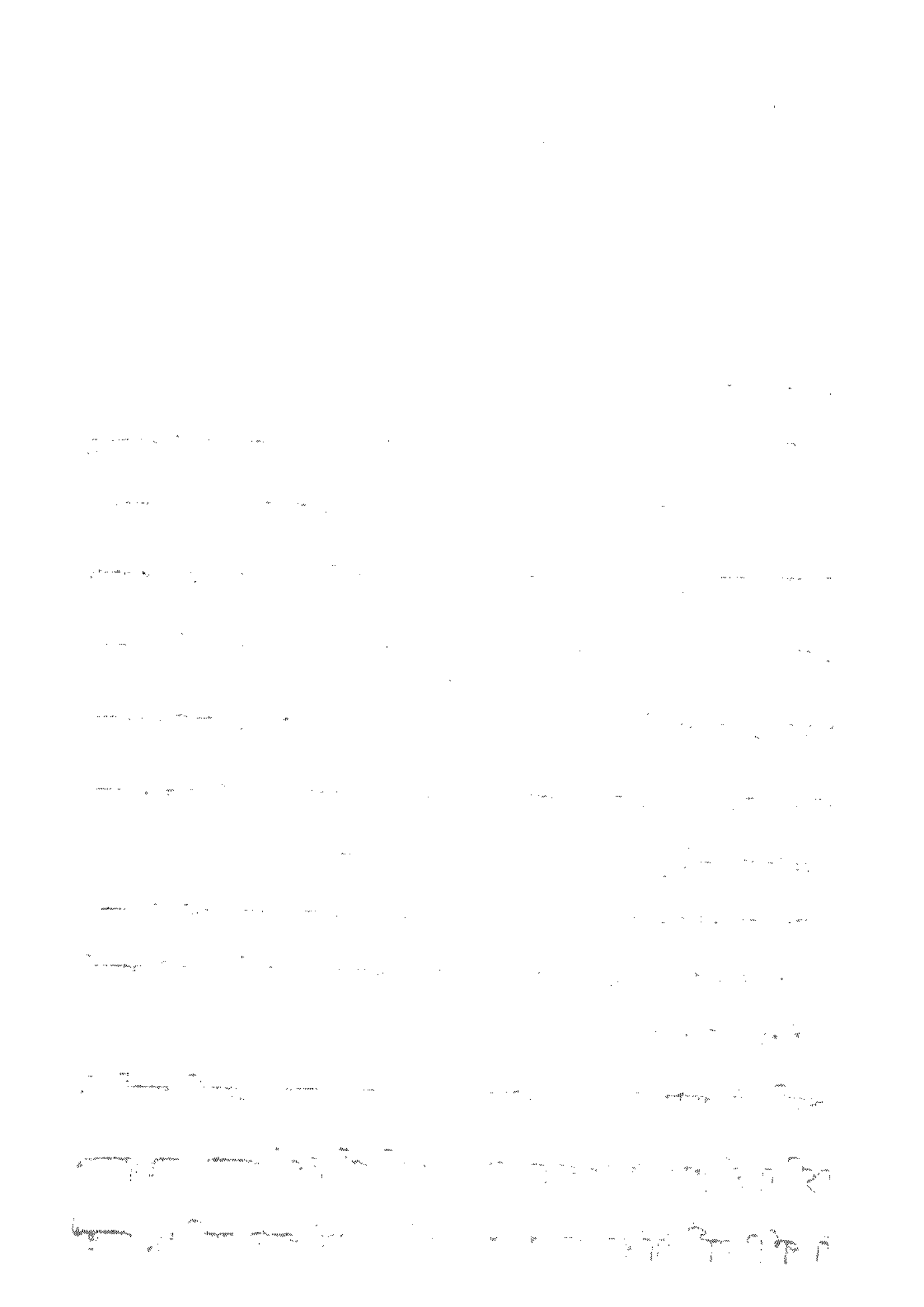

(الفهرس)

المقدمة ٩

أولاً ـ (أن علياً عليه السلام أفضل الصحابة) ١٠

١ ـ (أنه عليه السلام وصي النبي صلى الله عليه وآله): ١٣

٢ ـ (أنه عليه السلام وارث النبي صلى الله عليه وآله): ١٥

٣ ـ (أنه عليه السلام أفضل البشر بعد النبي صلى الله عليه وآله): ١٦

٤ ـ (أنه عليه السلام له الولاية على الخلق بعد النبي صلى الله عليه وآله): ١٦

٥ ـ (أنه عليه السلام صاحب فضل ونعمة على الخلق): ١٧

٦ ـ (أسمائه عليه السلام أفضل الأسماء): ١٨

٧ ـ (أن أمه عليها السلام من أفضل الأمهات): ٢٠

٨ ـ (أنه عليه السلام ولد في أشرف الأمكنة): ٢٢

٩ ـ (أنه عليه السلام أول الناس إسلاماً): ٢٣

١٠ ـ (أنه عليه السلام ترعرع في حجر النبي صلى الله عليه وآله): ٢٤

١١ ـ (أنه عليه السلام عبد الله قبل الناس): ٢٤

١٢ ـ (نيله شرف الشهادة عليه السلام): ٢٥

١٣ ـ (مكان قبره عليه السلام): ٢٦

ثانياً ـ (مزاياه عليه السلام): ٢٦

١ ـ (أنه عليه السلام أعلم الخلق ومبدع العلوم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله): ٢٨

٣ ـ (علم الكلام): ٢٨
٣ ـ (علم الفقه): ٣٧
٣ ـ (علم تفسير القرآن): ٣٩
٣ ـ (علم النحو): ٤٠
٣ ـ (أنه عليه السلام إمام علم البديع): ٤١
٣ ـ (أنه عليه السلام إمام الأئمة وحكيم العرب): ٤٤
٢ ـ (أنه عليه السلام أقوى الناس): ٤٥
٣ ـ (قوته البدنية): ٤٥
٣ ـ (شجاعته عليه السلام): ٤٧
٣ ـ (أنه عليه السلام سيد المجاهدين): ٤٨
٤ ـ (سخاؤه عليه السلام): ٤٨
٥ ـ (أنه عليه السلام أحلم الناس): ٥٠
٦ ـ (أنه عليه السلام إمام الفصحاء): ٥١
ثالثاً ـ (أخلاقه عليه السلام): ٥٨
١ ـ (أنه عليه السلام أزهد الناس) ٦١
٢ ـ (أنه عليه السلام أعبد الناس): ٦٤
٣ ـ (أنه عليه السلام أول من جمع القرآن وحفظه): ٦٥
٤ ـ (أنه عليه السلام أكثر الخلق إقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله): ٦٦
٥ ـ (أن سيرته عليه السلام مثل سيرة النبي صلى الله عليه وآله): ٧٤
٦ ـ (كلام أبي جعفر الحسن في الأسباب التي أوجبت محبة الناس لعلي عليه السلام): ٨٦

٧ ـ (أنه عليه السلام أكثر الناس مواساة للنبي صلى الله عليه وآله): ٨٩
٨ ـ (أن الله عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة): ٩١
٩ ـ (أنه عليه السلام أكمل الناس عدالة بعد النبي صلى الله عليه وآله): ١٠٢
رابعاً ـ (أنه عليه السلام من عترة النبي صلى الله عليه وآله): ١٠٥
(أنه عليه السلام معصوم): ١١٠
(أن جسده عليه السلام لا يفنى): ١١١
خامساً ـ (أن علياً عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله والنبي منه): ١١٣
سادساً ـ (الرأي والتدبير): ١١٥
سابعاً ـ (أنه عليه السلام قدوة للجميع): ١١٦
ثامناً ـ (أنه عليه السلام أول الناس اتباعاً للنبي صلى الله عليه وآله): ١١٨
تاسعاً ـ (أنه عليه السلام مذكور في كتب النصارى والأبرار): ١١٩
(أنه عليه السلام يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على التنزيل): ١٢١
(النبي صلى الله عليه وآله سلم لمن سالم علياً عليه السلام وحرب لمن حاربه): ١٢٢
عاشراً ـ (إخباره عليه السلام بالمغيبات): ١٢٣
١ ـ (سلوني قبل أن تفقدوني): ١٢٦
٢ ـ (قصة وقعت للأحمر الوعاظ ببغداد): ١٢٩
٣ ـ (ذكره عليه السلام للملاحم): ١٣٥
٤ ـ (إخباره عليه السلام بجري في كربلاء): ١٤٣
٥ ـ (خطبة علي عليه السلام بعد نوح الحمراء): ١٤٦
٦ ـ (تعليل ابن أبي الحديد حول الإخبار بالغيب): ١٤٩

(الرد على النظام): ١٥٣
(جواز الصلاة عليه): ١٦٠
(تشبيه عليه السلام بالنبي هارون عليه السلام وأنه معصوم مثله): ١٦٣
(تشبيه عليه السلام بعيسى عليه السلام): ١٦٥
(بدء ظهور الغلاة): ١٦٥
(حوار ابن أبي الحديد مع أستاذه حول النص على الخلافة): ١٦٩
(أنه عليه السلام الأحق بالخلافة): ١٧٤
(إخبار عائشة بفضيله عليه السلام): ١٧٦
(حديث أم سلمة رضي الله عنها لعائشة بفضل علي عليه السلام): ١٧٧
(رد الشمس له عليه السلام): ١٨١
(بعض الأحاديث التي أوردها ابن أبي الحديد في فضائل علي عليه السلام) ١٨٢
(فصل في حسن الخلق ومدحه) ١٩٦
(بعض ما مني به أمير المؤمنين عليه السلام من الأذى والاضطهاد): ١٩٨
(نبذة عن حرب صفين) ٢٠٣
(فصل في ذكر المنحرفين عن علي عليه السلام): ٢١٣
(الفهرس) ٢٢٧

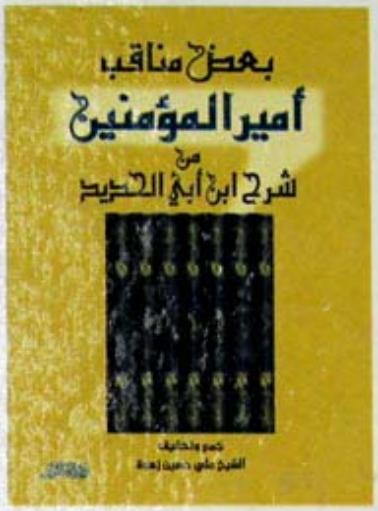

تعريف بالكتاب

هذه المناقب مأخوذة من الكتاب المشهور (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي) وأحببت أن أستخلصها منه لأن الرجوع إلى الكتب المطولة غالباً ما يكون لأصحاب الاختصاصات من مؤلفين وكتاب وحتى تعم الفائدة لجميع المستويات خاصة بالتعرف على رجل عظيم كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) سارعت في تحقيق مثل هذا المطلب.

الشيخ علي حسين زهوة
دمشق. هاتف 093/518598

دار الكوثر
دمشق : هاتف 5414794 ـ ص.ب 26126 ـ فاكس 2248180